سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي

الكردي - العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الثالثة - العدد (٣٠) ربيع ٢٠١١

موقع المجلة على الانترنيت

www.serdam.org

المراسلات

تلفاكس: 00447043129839

ايميل

info@serdam.org

او عن طريق المشرف على التحرير

danaahmad78@yahoo.com

موبايل: 07701551153

المقالات تعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة

يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية

محتويات العدد

العدد (٣٠) ربيع ٢٠١١

المقدمة

لقـــد علمنا التأريخ، وخصوصاً من منظـــور فينومينولوجي، ان ما يطرأ على البســيطة ســيؤثر فيما يتجلّى في العقل، بقدر ما يتأثــر به. وبناءً على ذلك، فقد رأينـــا أن تكون العلاقة بين ما نعيشـــه على أرض الواقع وما نتصوره في أذهاننا، علاقة جدلية، والا فإن هوةً ســـتبرز بين بنية الواقع المتجســـدة في المكان وبنية الخطاب المتجسدة في الزمان، وان ردمها سيكون على حساب إحدى البنيتين، والنتيجة ســـتكون كارثية كما حدث في تأريخ شـــعوب العراق في الماضي.

***

إنّ ما نـراه اليوم، يوسع الآفاق والامكانات والفرص بقدر ما يؤذن باشـــكاليات وتحديات تستدعي التحضير لها بجدية. من هنا فلا غرو أن رأينـــا العديد من الرموز الثقافية العربية وهي تتخذ مواقف ســـلبية تجاه الاحداث التي تجري في العراق، رغم ميولها واتجاهاتهـــا المتعارضة، من أصحاب الخطابـــات التقليدية وحتى ذوي الخطابـــات الحداثوية، من دعاة المشـــاريع الأصولية وحتى دعاة المشـــاريع العلمانية... وفي مقابل هذا الخطاب، ثمة خطاب ينتج الصمت المشـــحون بالمعنى. ويدخـــل كلاهما في تحالف قائم على ثنائية إظهار ما هو ظاهر، وإكفار ما يفتقر الى الإبراز.

ولعـــل تناول القضيـــة الكردية في الميدانـــين الفكري والاعلامي العربيـــين، وكيفية التعاطـــي مع أبعادها الخطـــيرة على الصعد السياســـية والفكرية والانســـانية البحتة، خـــير دليل على مدى فشل ذلك التحالف بين الملفوظ والمسكوت عنه في الثقافة والفكر العربيين.

***

وبعد أفول النظام السـابق، يمكننا القـول: إننا إزاء زمن جديد، زمن على كل مثقف أن يساهم في بناء العراق من جديد، منطلقا من قيم الاخاء والتسامح والانسانية، وجميع القيم التي استأصلها النظام السابق في أفئدة العراقيين، بغية إرساء أسس سليمة لثقافة سليمة، ثقافة من أجل الحياة والانسان، وتحرر الانسان العراقي، لكي يحتضن الحياة من جديد بروح حرّة.

في هـذا الزمـن (زمن ما بعـد صدام)، ما أحوجنـا نحن (الكرد والعرب) الى استئناف الحوار من جديد، بهدف التواصل والتفاهم ومدّ الجسـور بـين ثقافتينا، منطلقـين من إيماننـا بالحوار والانفتاح الثقافي والحضاري.

ثمـة طريق طويل نحـو الديمقراطية، والسـير في هذا الطريق لحـين الوصـول الى المبتغى ليس بالهيّن، في بلـد لا تندمل فيه الجـروح بسـهولة، ويطفح تأريخـه بالعنف الدمـوي، وواجهت شعوبه شتى أنواع العذابات والآلام طوال عهود مظلمة وخصوصا منذ تأسيس الدولة العراقية. فقد تكوّن لدى كل عراقي قاموس مرعب من الخوف والقلق والتردد المهدد للحياة اليومية والفكرية والاجتماعية.

ان مـا يريـده الكرد، هـو بالدرجة الاسـاس، إرجـاع الحقوق اليهـم، وإزالة جميع الآثـار التي خلّفها النظـام البعثي المخلوع في كردسـتان من تعريب وتشـويه الواقع الديموغرافي وترحيل العوائل الكردية، وخصوصاً في مناطق كركوك وخانقين والموصل وتعويض جميع المتضررين الذين راحوا ضحايا لتلك الممارسـات البشعة التي تخلّ بقيم الشراكة والتعايش السلمي بين القوميات.

ان الشـعب الكردي الذي ذاق شتى أنواع العذابات والآلام على يد البعثيـين طوال تأريخه المعاصر، وارتكبت بحقه جرائم بشـعة كقصف أبنائه بالاسـلحة الكيمياوية في حلبجـة وغيرها، وابادة عشـرات الآلاف منهم في حملات الانفال السـيئة الصيت، والذي تمكـن بفضل انتفاضته الميمونة عام ١٩٩١ والحماية الدولية بعد هجرتـه المليونية الى المناطق الحدوديـة من تحرير جانب كبير من أرضه وتشـكيل برلمانه وحكومته الاقليمية... وهو مع ذلك لمّا يزل يختار التعايش مع الشـعب العربي في العراق على الرغم من حقه المشـروع في الاستقلال كبقية شعوب العالم. وذلك نابع

من قناعته الصارمة بأن الشعب العربي لم يكن مسؤولا عن تلك الجرائم اللاانسانية بل المسؤول هو النظام السابق. عليه فان على الشعب العربي وخصوصاً مثقفيهم الاقرار بجميع الحقوق القومية للشعب الكردي، وفي مقدمتها اعادة جميع المناطق المتنازع عليها وكذلك تطبيق المادة ١٤٠ بخصوص مدينة كركوك، طريقاً صوب التعايش الحقيقي الذي ننشده.

★★★

من هنا ولهذه الاسباب وغيرها، برزت ضرورة بناء هذا التواصل، لا للتواصل بين جنسين مختلفين من البشر، بل للتواصل الذهني بين الافكار والرموز والعقول التي تشكل البناء التحتي لواقعنا المعاش.

ان مجلة (سردم العربي) لا تنحصر اهتماماتها ضمن نطاق محدد، بل هي مجلة ثقافية فكرية عامة تعنى بالتواصل الثقافي بين الكرد والعرب كما كانت في أعدادها السابقة، ومن وحي هذا المنظور نتقدم بالدعوة الى جميع الباحثين والمؤرخين بشؤون الكرد برفدنا بما لديهم من الدراسات والبحوث من أجل تطوير مجلتنا وعلاقتنا بالاخوة العرب، وهذا ما ترنو اليه مجلة (سردم العربي).

المشرف
على التحرير

بروز التصوف في كردستان

الدكتور عبدالوهاب عبدالله الچروستاني

التصـوف فـي كـردسـتان

اسلم الكرد وكان اسلامه من منبع صاف، هذا هو قـدر الكرد تبعا للمقولة المشـهورة اذا قـال الكرد (نعم..... نعـم)، فقال الكرد للاسلام نعم، فصدق واستقام في قوله وقبل الاسلام كدينه قبولا حسنا تبعا لقوله تعالى: ((ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين))[١]، الدين الذي جمع تحـت خيمته الجميع بـدون تمييز، وكان من اجل امارات عدالة الاسـلام المساواة بين المسلمين من دون تفضيل احد على اخر، فـكان اقرب الناس الى محمد (صلى الله عليه وسلم) (سـلمان الفارسـي و صهيب الرومي وبـلال الحبشـي)، نعم حطم الاسـلام كل مسـتندات مظاهر التعصب بجميع اشكالها، فـاذن ليس مـن العجـب ان يتبـع محمدا (صلى الله عليه وسـلم) الناس وما يزال بعد خمسـة عشر قرنا تقريبا وان يسود الاسلام العالـم، قال تعالى:((وما ارسـلناك الا رحمة للعالمين))[٢].

اسـلم الكرد ولم يقف اسـلامه عند حد، وانما قدم لـه التضحيات بالنفس والنفيس، وجاهـد من اجل الاسـلام، ويكفي الافتخار

على هـذا الدرب ذكر اسـم (صـلاح الدين الايوبـي) الذي صار رمـزا للبطولة والفداء والشـجاعة وآية للانتصار، هـذه فضلا عن جل اهتمامه بميادين حياتية اخرى: كفتح المدارس وبناء المسـاجد في كثير من الحواضر وانشاء المستشفيات وحفر الترع وخير ما يدل على نزاهته واخلاصـه لدينه انه لم يترك يوم وفاتـه اكثر من ٤٧ درهما وقطعة نقود ذهبيـة واحدة[٣]، وقد برز افـذاذ من ابناء الامـة الكردية، علماء اجـلاء خدموا الدين الاسلامي في جميع ميادين العلوم الاسلامية، ولـم يبق باب للعلم الا وطرقه علماء الكرد، امثال (ابن الصلاح الشـهرزوري، وابن الحاج، وملا عبدالرحيم المولوي، وملا عبدالرحمن البينجويني، وملا عبدالله البيتوشـي، وملا محمد الزهاوي)[٤]، وغيرهم باعداد لا يحصى مـن الذين بيضوا بجهودهـم المتفانية وجه الاسـلام والمسـلمين، وهكذا في مجـال علم القلـوب، فقد نبـغ زهـاد ومتصوفة اجلاء كرسوا حياتهم للتقوى والعبادة، وصرفوا عز عمرهم في سبيل الحفاظ على نصاعة صفحة الاسلام، نقيا من الكدرات ولم يتوانوا لحظة في ارشاد الناس ارشادا اخلاقيا ونفسيا.

وفي مجال الادب: لقد نبغ شـعراء فحول زينـوا الادب الكردي بمعالـم الادب الصوفي ورمـوزه ومصطلحاتـه، ومن اشـهر هؤلاء الشـعراء (الملا الجـزري، و احمدى خاني، و مولوي، و محـوي)، واذا تقهقرنا في التاريخ الى الـوراء سـنجد (بابـا طاهـر الهمداني) وهـو في القـرن الثالـث الهجري من اشـهر الشـعراء الصوفية في الادب الكردي ولاسيما برباعياته.

ومن الجدير بالذكر انه قلما نجد الحاق الشـيخ بالصوفية، وانما اشتهروا بـ(ملا) او (الزاهـد) او (بير) او (بابـا)، ملا الجزري و بابا طاهر الهمداني و بير خدر الشـاهوئي و محمد الزاهد.

الطـرق الصـوفية في كـردسـتان

في الحقيقـة ان المصـادر المتوفـرة عن التصـوف في كردسـتان لا تفـي بالمطلوب، فاعتمدنا على ما وقعت في متناول اليد، وقد تبدد الايام ضباب الجهل بمعلومات اخرى اذا ما لاحت في الافق منابع جديدة من المعلومات حول التصوف في كردستان والله المستعان.

هنـاك اسـرتان اسـتقرتا في بـلاد الكرد تعـدان من اقدم طلائع حركـة التصوف في كردستان[٥].

الاسـرة الاولى:- اسرة سادة نهري، وهم من سـلالة الشـيخ عبدالعزيز بن الشـيخ عبدالقادر الكيلاني، ولد الشـيخ عبدالعزيز عـام ٥٣٢ هــ، تتلمذ على يد والـده وعلماء اجلاء، فحصل على قسـط كبـير من العلوم الظاهـرة والباطنـة، بعـد اكمال دراسـته انكب على التدريس والارشـاد، شارك الشيخ عبدالعزيـز في حرب الصليبيـين، زار بيت المقدس، وبعدها يعود الى العراق ويسـتقر في بلدة (عقرة) توفي عـام ٦٠٢ هـ، ودفن قرب بلدة عقرة[٦]، راجت الطريقة القادرية على يده، وبعده على يد احفاده المنتشرة في بلاد الكرد.

الاسـرة الثانيـة:- هـي اسـرة (كاكـو زكريا[٧]، التي ناتي الى الحديث عنها بشـيء من التفصيل.

اول طريقة اوزعت والهمت في كردستان كانت الطريقة الشاذلية وكان ذلك في اواخر القرن السابع الهجري على يد الشيخ خالد ابن الشيخ حسن الشاذلي، استقر الشيخ خالد لفترة في (مريوان) بايران وهناك قام بارشاد الناس ودعاهم الى التمسك، ثم انتقل الى قرية (هزار كوره) في منطقة قرداغ، وبعد ان انتقل الشيخ خالد اليها حول اسم القرية الى (خالدية)، ذاع صيت الشيخ وكثر اتباعه ومريدوه، ودأب على الارشاد الى حين وفاته، انتقل خلافة الشيخ الى ابنه (سليمان)، سار الشيخ الجديد على سكة والده في ارشاد الناس، شاءت الاقدار ان استشهد الشيخ سليمان مع ابنه (الشيخ حسن)[٨]، وقد خلف الشيخ حسن ابنه الوحيد الشيخ عبدالرحمن الملقب بـ(الاهدل).

عبدالرحمن الاهدل

هو الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ سليمان، ولد بقرية (كاكو زكريا) في حدود سنة سبع مئة هجرية[٩]، كان الشيخ عبدالرحمن في الحادية عشرة من عمره حين استشهد والده وجده، مع ان الحادثة تركت اثرا بليغا في نفسه ولكنه لم يتوان في تحصيل العلم، فبعد ان تعلم القران والكتب الاولية الاخرى، اهتم بعلوم الحكمة والادب، سافر الى مصر وفيها انهى دراسته ثم توجه الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج، بعدها الى المدينة المنورة، ثم الى (بخارى)، وفيها اهتدى الى الطريقة الطيفورية التي تعرف اليوم بالطريقة النقشبندية عند بعضهم[١٠]، ثم عاد الى موطنه، كان عبدالرحمن الاهدل متضلعا في العلوم الظاهرة والباطنة، وبعد وفاته خلف هو الاخر ابنا وحيدا باسم (زكريا).

الشيخ زكريا

هو الشيخ زكريا بن الشيخ عبدالرحمن الاهدل بن الشيخ حسن بن الشيخ سليمان، ولد بقرية الخالدية، كان الشيخ زكريا في مقتبل عمره عندما توفي والده، اهتم منذ صغره بتعليم القران والكتب الاولية الاخرى وبعد ان شب رحل الى بلاد مصر، تتلمذ في جامعة الازهر وحظي فيها بنيل الاجازة العلمية، ترك مصر قاصدا مكة المكرمة بعد اداء فريضة الحج غادرها الى المدينة المنورة وبقي فيها لمدة ثلاث سنوات، شد رحاله متجها صوب بغداد، يهتدي في بغداد الى الطريقة القادرية والطريقة الطيفورية، نبغ في الطريقتين نبوغ الاولياء المكملين لذلك اشتهر بـ(كمال الدين)، يغادر بغداد الى بخارى يحط رحاله في بلخ ويتزوج هناك، بعد جولاته الكثيرة يعود الى موطنه ويستقر فيه، ويغير اسم القرية من خالدية الى كاكو زكريا، كان للشيخ زكريا نشاط ملحوظ في التدريس والارشاد[١١]، استشهد الشيخ زكريا في سنة ٧٧٥ هـ، ودفن في موضع استشهاده على رأس تل في قرية كاكو زكريا مرقده مزار المرتادين[١٢]، الى جانب اسرة الشاذلية كانت هناك الاسرة البرزنجية التي عملت على نشر الصوفية في كردستان الجنوبية، وهذه اسرة شريفة يعود نسبها الى (بابا علي الهمذاني) الولي والعالم المشهور، لقد خلف الشيخ بابا علي ثلاثة اولاد بعد وفاته

وهـم: (السـيد محمد النور بخش والشـيخ موسـى والشيخ عيسى)، نـزح الاخوة الثلاثة الى برزنجة سـنة ٧٦٠ هــ - ١٣٥٩ م، غير ان السيد محمد نور بخش هاجر الى (هرات) في افغانستان واستقر هناك، اما (السيد موسى) فقد اسـتقر في برزنجة وتـزوج فيها، ذهب الى (اغجلـر) لغرض الارشـاد فقتـل هناك، اعيـد جثمانه ليدفن في برزنجة، ولم يخلف اولادا، تزوج الشـيخ عيسى من زوجة اخيه بعـد وفاته فخلـف منها اثني عشـر ولدا، انتشـر هؤلاء في كردستان وقضوا حياتهم في التدريس والارشـاد[١٣]، اسـتحدثت الطريقة النوربخشية في عهد محمد النور بخش قبل هجرته الى افغانسـتان، كانت هذه الطريقة شائعة حتى عهد السيد (بابا رسول) فاضاف الاخـير اليها الطريقة العلوية، وهي فرع من الطريقة الخلوتية[١٤]، وتمسـك بالطريقتين، فانتشرت الطريقة الثانية ايضا بين السادات البرزنجية[١٥]، وعمت انحاء كردستان الى عهد السـيد محمـد النودهي وفي القـرن الحادي العشر الهجري، شرع (الشيخ شهاب الدين بن الشـيخ رضي الدين)، ـ وهو من احفاد كاكو زكريا ـ بالدعوة لنشر الطريقة النقشبندية في (امارة اردلان)[١٦] الكردية، ويبدو ان الاقبال على الاخذ بالطريقة النقشـبندية تجـاوز الى اماكن اخـرى مثل (امارة بابـان)[١٧]، ثم امتد نفـوذها الـى منطـقـة (بهدينان[١٨]، ولكن النقشبندية اقبلت على الافول الى عهد مولانا خالد النقشبندي[١٩].

اما الجيل الجديد من مشـايخ الطريقة القادرية فيبدأ بـ(الشـيخ اسماعيل القازاني الولياني) ابن (الشـيخ محمـد النودهي) في اوائل القرن الحادي عشر الهجري، زار بغداد التقى فيها بالشيخ (احمد الاحسائي)، واخذ علـى يده الطريقـة القادريـة، بعد عودته الى السـليمانية اجتمـع حوله عدد كبير من المريدين فتوسعت دائرة منتسبيه، ولا سيما من العلماء[٢٠]، لم تكـن العلاقة بيـن علماء الـدين (اهل الشـريعة) مع شيوخ الصوفية علـى ما يرام، وانمـا كان هناك صراع خفي ومكشـوف احيانـا بينهما، و اظـن ان هذا الصراع قد اشـتد بعـد ادراك صوفية الكرد لافكار الشـيوخ القائلين بالاتحـاد او الحلول او بوحـدة الوجـود وغير ذلك مـن الافكار الفلسـفية التصوفية، وحتـى اذا كانت هذه الافكار قائمة في الماضي بين الزهاد والصوفية والعلماء فان الالتزام الشديد بالشريعة طغى علـى تلك الافكار فغلبت الحياة الدينية على الحياة الروحيـة، او اخذ بالاثنين على حد سواء (الشريعة والطريقة) دون التقليل من شأن احدهما، ولكن في القرنين الاخيرين بدأ صوفية الكرد يؤمنـون جهارا بتلك الافكار، ويصبـون احيانا جام غضبهـم علـى اهل الشـريعة بـل يفضلون الحـب على الجنة، يـقـول (محـوي) المتـوفي عـام ١٣٢٤ هـ في تفضيله اهل الطريقة على اهل الشريع:

بــەر پیـــی ئــەوم بە میـزەرەوە ســەر کــەنـا وتــی

(مـەحــوی) تـەمایـە بـمخەڵەتـیٚنـــی بە تــووری پوت[٢١]

القصيـدة برمتهـا تبين مـدى التزام الشـاعر (محوي) بالحياة الروحية واعتقاده الراسخ بان العشق الالهي هو السبيل الوحيد في الوصـول الى ما يربـو اليه الصوفي عندما

يقول:

دڵ زینــدووه بــه عشــق و بژی تۆ لــه مەرگ ئەمین

بــەم دەردە بمــرە تــا ببیــە حــی لا یمــوت[٢٢]

شرح البيتين على التوالي:-

في البيت الاول يخاطب محوي معشـوقه (ربه) في حالة يصور وضعه عالما دينيا (ملا) قبل ان يتمسـك بالطريقة مفتخرا بنفسه وبعلمه.

اي: عندمـا وضعـت رأسـي الملفـوف بـ(الميزەر) القلنسـوة الخاصـة بعلماء الدين امـام رجليه، تواضعا و املا في رضاه، تمادى وتجافى وقال مسـتهترا: يـا محوي اتريد ان تخدعني بهذا الرأس العفن المثيل والمشـابه للفجل الفاسد، وبذلك يجزم محوي الاعتقاد بان الشـريعة لا يمكـن ان تؤدي الى رضا الله وان العقـول الجامدة لاتفي بشـيء مثلما لا تنفع هذا اللفت المتفسخ.

امـا تفسـير البيـت الثانـي فيبرر فيه التزامـه بالطريقة ويدافـع عنها ويعتبرها ضمانا سرمدية الحياة، يقول: ان القلب خالد مادام الحب ساريا في شريانه وعروقه، الحياة السـرمدية هي ثمرة نهاية الحياة الوهمية، فيسـتحيل الزمن الى وقت سـرمدي وليست امارتـه طلوع الشـمس او غروبها بل القرب والبعد عن المحبوب.

لا تقف نقمة محوي عند حد العلماء بل تشمل الزهاد ايضا فيقول:

زاهید خودا لە ناوی بەریٚ ناوی عاشقان

بۆچـی دەبـا ئەوەنـدە خودایـە بەبـیٚ ئەدەب[٢٣]

يــرد محوي على الزهــاد اللائمين للصوفية الذين يتهمونهم بانهـم اهل البدعة فيصب محوي جام غضبه عليهم ويقول: داعيا من الله ان يضرب بيد قدرته افواه هؤلاء الزهاد المتشـدقين المتطاولـين على اهـل القلوب، كـي يكفوا عن ذكر عشـاق الله بالسـوء بلا استحياء.

هكـذا بـدأت الصوفية تشـعر بوجوده منفصلا عن اهل الشريعة والزهاد، وانطلاقا من هذا الاحسـاس طفح الخلاف ووصل الى اوجه في القرن الثاني عشـر الهجري، مع ان الصوفي كان موجودا قبل هذا التاريخ في بلاد الكرد، يقول (المقدسـي): ـ وهو من مؤرخي القرن التاسـع الميلادي ـــ بانه وجد اربعين صوفيا في كردستان يرتدون المسوح ويتغذون بالبلوط[٢٤].

وقد انضم الى الصـوفية في كردســتان، عدد مــن قطاع الطــرق والمرتديــن مــن الكـــرد امثال (الشــيخ محمد شــونبوكي) الملقب فيمـا بعد بـ(تاج العارفين) فترقى الى درجة عالية من منـازل ومقامات الصوفية حيث صار الرئيــس الروحاني لـ(ابي الوفاء الحلواني) ١١١٠ م اجتمع حوله اربعون مريدا سـبعة عشـر منهم امـراء[٢٥]، لقد انتشـر التصـوف في كردسـتان الى درجـة اذا قيل التصوف قيل كردستان[٢٦].

ابـرز رمـوز اصحـاب النفـوذ الصـوفي في كردستان

كان التصوف في كردسـتان شبه وراثي، ينتقـل مـن الاب الى الاولاد او ينتقـل بين الاخـوة، وهذه حالـة طبيعية ان يتمسـك

الوارث على الموروث ويتعلم على يده اداب الارشاد وعلومه ويحظى بنيل اجازة الشيخ ليتخرج شيخا يرشد الناس ويتمسك على يده الاخرون، وعلى هذا الاساس اشتهرت اسر وافخاذ وطارت شهرتها في الافاق، واحيانا تحول هذا النفوذ التصوفي الى نفوذ سياسي واجتماعي وهذه اهم رموز اصحاب نفوذ التصوف في كردستان.

١- اسرة شمدينان:- المعروفة بسادة (نهري) والتي يعود اصلها الى (الشيخ عبدالقادر الكيلاني)، وان الطريقة القادرية اكثر الطرق الصوفية انتشارا في كردستان بفضل الاصل الكردي الذي ينسب اليه الشيخ عبدالقادر الكيلاني.

٢- اسرة مولانا خالد النقشبندي المجددي:- الذي كانت له سيطرة روحية قوية في منطقة السليمانية خصوصا، وفي انحاء بلاد الكرد عموما وذلك بعد ان تمسك على يد شيخه (عبدالله الدهلوي) في (دلهي) وبقي في جواره لعدة سنوات.

٣- اسرة الشيخ معروف النودهي:- في منطقة السليمانية، من ابرز رموز هذه العائلة العالم المتبحر والشيخ الولي (كاك احمد الشيخ) والاسرة على الطريقة القادرية.

٤- اسرة الطالبانية:- في منطقة كركوك، لهذه الاسرة دور ملحوظ في ارشاد الناس على الطريقة القادرية.

٥- اسرة الشيخ عثمان سراج الدين:- كان له نفوذ روحي كبير وقوي في منطقة هورامان الكائنة بين طرفي حدود ايران والعراق كان لهذا الشيخ اتباع ومريدون في كردستان وخارجها، تولى الارشاد بعده ابناؤه واحفاده.

٦- اسرة الشيخ نورالدين البريفكي:- وهي من الشيوخ القادرية المعروفة خصوصا من (اماد).

٧- وفي منطقتي (بتليس وفان) اشتهر الشيخ (بهاء الدين بن الشيخ محمد الكفراوي)، وفي منطقة (هكاري) سلالة (الشيخ فهيم اوراسي).

٨- مشايخ (بالو) افراد اسرة (الشيخ سعيد بيران) الذي ثار على الاتراك عام ١٩٢٥ م مستغلا سلطته الروحية والقبلية.

٩- سلالة (الشيخ عبدالسلام البارزاني) واسرة (الشيخ بديع البوجلي)، انتشر نفوذهما في منطقتي (عقرة) و (زيبار)[٢٧].

طريقتا القادرية والنقشبندية

منذ القرن الثاني عشر الهجري طغت طريقتا القادرية والنقشبندية على بقية الطرق الصوفية الاخرى في كردستان، لذلك نرى لزاما علينا ان نقدم نبذة مختصرة عن هاتين الطريقتين.

الطريقة القادرية

ارسى (الشيخ عبدالقادر الكيلاني) في اواخر القرن السادس الهجري اسس الطريقة القادرية وقواعدها وبذلك يعد الشيخ عبدالقادر مؤسس هذه الطريقة، و اهم الاسس باختصار هي:

١ – الامتناع عن الحلف بالله، في الصدق والكذب، سهوا وعمدا.

٢ – الوفاء بالوعد قدر المستطاع.

٣ – الامتناع عن الكذب، والتعود على

ترك هذا الخلق الشائن في كل الاحوال.

٤ – ان لا يلعن احدا، والتجنب عن ايذاء احد مثقال ذرة.

٥ – تجنب الدعاء على احد من الخلق وان كان ظالما.

٦ – ان لا يشرك احدا ولا يكفر من اهل القبلة، ولا يسم احدا بالمنافق.

٧ – ان يقي نفسه من المعاصي ظاهرها وباطنها، ويكف عنها الجوارح.

٨ – ان يكون عزيز النفس، وان يرفع مؤنته عن الخلق اجمعين، ان في ذلك سر قوته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٩ – ان يقطع طمعه من الادميين، فلا يطمع نفسه في شيء مما في ايدي الناس، ويبقى توكله على الله وحسب.

١٠ – ان يكون متواضعا، لا يتعالى على احد من الكائنات، وهذه الخصلة اصل الطاعات كلها وفروعها[٢٨].

اضاف الشيخ عبدالقادر الكيلاني الى الامور العشرة الانفة الذكر ضرورة الاكثار في ذكر الله تعالى ليلا ونهارا، ولاسيما بعد الصلواة.

ان للطريقة القادرية فروعا اهمها المنتشرة في كردستان هي البرزنجية والطالبانية والكسنزانية[٢٩].

الطريقة القادرية في كردستان

كان للقادرية سابق عهد في كردستان يعود الى اواخر القرن السابع الهجري، ولقد سبق ان ذكرنا انها انتشرت في كردستان الجنوبية على يد الشيخ (زكريا الشاذلي)، وفي كردستان الشمالية على يد (الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالقادر الكيلاني)، ولكن عهدها تجدد في بداية القرن الثاني عشر من الهجرة على يد (الشيخ اسماعيل الولياني)، الذي تمسك في بغداد على يد (الشيخ احمد الاحساني)، وتشرف في خدمته بنيل اجازة الخلافة وارشاد المسلمين على الطريقة القادرية، وبعد عودته الى منطقة شهرزور استقر في قرية (قازانقايه)، فانكب الناس عليه، وصار قبلة السالكين ذاع صيته فاتبعه خلق غفير من العامة والخاصة من بينهم العلماء في كردستان بشكل خاص وفي العراق عامة، كما تبعه ارباب الحكم[٣٠].

لم ينحصر نشاطه الروحي في شهرزور وانما شد رحاله الى منطقة (بهدينان) وبدأ هناك بالارشاد، ثم الى بلاد الشام للغرض نفسه، وفي طريق عودته عرج على الموصل ليلتقي فيها مريديه، غير انه مرض في الموصل وتوفي عام (١١٥٨ هـ) واعيد جثمانه الى قريته ليدفن فيها[٣١].

ابرز شيوخ الطريقة القادرية

مع ان (الشيخ اسماعيل الولياني) هو اول من جدد القادرية، ولكن الشيخ معروف بعد اخذه الطريقة يعد من ابرز رموزها، لذلك نحاول ان نقدم نبذة مختصرة عن حياته.

الشيخ معروف النودهي

اسمه:- الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى بن الشيخ احمد بن الشيخ محمد الشهير بالكبريت الاحمر[٣٢].

نسبته:- من سلالة الشيخ بابا علي الهمذاني المتوفى (٧٨٤ هـ) والد كل من الشيخ

(عيسى) و الشيخ (موسى) اللذين نزحا الى شهرزور، وعمرا قرية البرزنجة القريبة من محافظة السليمانية، وهي في الوقت الحاضر مركز الناحية وفيها مزاريهما يرتادها الناس تبركا[٣٣].

شهرته:- اشتهر بالشيخ معروف النودهي[٣٤].

ولادته:- ولد الشيخ النودهي سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٣ م بقرية (نوَدي َ) على بعد اميال من مركز محافظة السليمانية[٣٥].

نشأته العلمية والثقافية:- نشأ النودهي في كنف والده وتعلم على يده قراءة القران ومبادئ العلوم الاخرى، انتقل بعدها الى (قلعة جوالان) حاضرة الامارة البابانية تتلمذ فيها على يد اشهر علماء عصره (ملا محمد الغزائي) في المدرسة الغزائية، ثم عاد مضطرا الى قرية (نودى) مسقط رأسه بسبب اغتيال (سليمان باشا الباباني) عام ١١٧٨ هـ كان عمر الشيخ معروف انذاك (اثني عشر عاما)، وعاد يعتمد على والده في التحصيل ثم انتقل الى (هەزارميرد) بمنطقة السليمانية بعد سماعه خبر انتقال (ملا محمد المعروف بابن الحاج) اليها للتدريس، وكان في ضيافة ابن الحاج الشيخ (عبدالله البيتوشي) تشرف النودهي فترة اسابيع بخدمة البيتوشي يعترف الشيخ النودهي بسعة المعلومات التي تلقاها من (البيتوشي) خلال تلك الفترة القصيرة، وفي عام ١١٨٢ هـ عاد النودهي الى المدرسة الغزائية في (قلعة جوالان) وانكب على التحصيل الى ان تشرف بنيل الاجازة العلمية عند العالم الهمام (ملا محمد الغزائي)، وفي عام ١١٨٦ هـ التقى (النودهي) للمرة الثانية بالشيخ (عبدالله البيتوشي) فلازمه ملازمة الظمان للماء، حتى اخذ منه الاجازة في بعض العلوم، وبعد عام ١١٨٦ هـ عاد الى قرية (نودى) مسقط راسه فانكب على التدريس والتحقيق والتاليف، وفي عام ١١٩٠ هـ انتقل مرة اخرى الى (قلعة جوالان) للتدريس في مدارسها[٣٦]، وبقي فيها لحين الانتهاء من بناء السليمانية عام ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م في عهد (ابراهيم باشا الباباني)، واتم معها بناء جامعها المعروف بالجامع الكبير، فينتقل (الشيخ معروف) اليها، وبقي فيها خادما للدين والعلم والارشاد الى وفاته[٣٧] عام ١٢٥٤ هـ , ودفن في مقبرة (سيوان) في السليمانية بناء على وصيته[٣٨].

تصوف الشيخ معروف النودهي

اهتم البابانيون بالحياة الروحية بحكم تربيتهم الدينية، لذلك لم يقصروا من تقديم العون المادي والمعنوي للمشايخ وعلماء الدين، اما بعد نهاية العصر الباباني وسقوط الامارة فقد اشتد دور السادة في سد الفراغ الذي تركه الحكم الباباني ليس في مجال الحياة الدينية والروحية فحسب وانما في الحياة الاجتماعية ايضا.

كانت الطريقة السائدة حتى اوائل (القرن الحادي عشر)[٣٩] الهجري، هي طريقة (النوربخشية) المزوجة مع (العلوية) وهي فرع من طريقة (الخلوتية) حيث اخذ الشيخ (اسماعيل) الطريقة القادرية في بغداد على يد الشيخ (احمد الاحسائي)، وكان الشيخ (معروف النودهي) في هذه الاثناء منكبا على الدراسة ولكن رغبته في السلوك لم

يمنع دراسته في شد الرحال الى قرية (دهليژه) لياخذ الطريقة على يد خاله (الشيخ عبدالرزاق بن اسماعيل الولياني) ولكن الاخير امره بالتريث لحين اكمال دراسته، وبعد ان انهى دراسته اخذ الشيخ (معروف النودهي) الطريقة على يد الشيخ (علي دولپمويى)[٤٠].

المهم في حياة الشيخ معروف النودهي انه ربط بين التدريس والحياة المعنوية، لقد كرس (الشيخ معروف) حياته في سبيل الارشاد والتدريس بالاضافة الى عدد غير قليل من التاليف.

واخيرا مع ان الطريقة القادرية انتشرت على يد الشيخ (اسماعيل الولياني)، ولكنها تقترن باسم الشيخ معروف النودهي بسبب مكانته المرموقة بين جميع شرائح المجتمع، واشتد هذا الاقتران في عهد ابنه العالم والولي (كاك احمد الشيخ) قدس سره، المعروف في جميع الاقطان الاسلامية.

تاليفات الشيخ معروف النودهي[٤١]

للشيخ النودهي عدد غير قليل من المؤلفات من الكتب والمنظومات العلمية والقصائد الادبية، تبلغ نحو ثلاثة وخمسين، نذكر عددا منها على سبيل المثال.

١- الاحمدية:- في ترجمة الكلمات العربية بالكردية شعرا.

٢- الاغراب في نظم قواعد الاعراب.

٣- تخميس قصيدة (بانت سعاد).

٤- التعريف بابواب التصريف.

٥- تنقيح العبارات في توضيح الاستعارات.

٦- تنوير البصائر في التحذير عن الكبائر.

٧- زاد المعاد في مسائل الاعتقاد.

٨- قطر العارض في علم الفرائض.

٩- وسيلة الوصول الى علم الاصول.

الطريقة النقشبندية

تنسب الطريقة النقشبندية الى الخليفة الراشدي (ابي بكر الصديق) (رضي الله عنه) ت ٦٣٢ م، حيث يرى النقشبندية ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقن (ابا بكر) الذكر الخفي وذلك في الغار[٤٢]، قال (ابن حجر) ان الطريقة العالية السالمة من كدرات الجهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية، بل هي ماخوذة من مشرب افضل البشر بعد النبيين (ابي بكر الصديق) (رضي الله عنه)، وان الطريقة ليست بخارجة عن الشريعة بل هي سلوك الى الله تعالى بواسطة اوراد شرعية منها سورة الاخلاص والفاتحة والاستغفار والذكر الخفي[٤٣].

مع ان الطريقة النقشبندية تجسد منهج الخليفة الراشدي الاول (ابي بكر الصديق) في الحياة الدينية، ولكنها استقت مبادئها واسسها التي ميزتها عن باقي الطرق الصوفية الاخرى بفضل تعاليم اربع شخصيات وهي[٤٤]:

١ – سلمان الفارسي:- اصله من اصبهان اسلم على يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد ان هاجر اليها، توفي عام (٣٦ هـ - ٦٥٦ م)[٤٥].

٢ – ابو يزيد البسطامي:- اسمه طيفور بن عيسى ولد ببسطام في خراسان في عام (١٨٨ هـ - ٨٠٤ م) وتوفي عام (٢٦٤ هـ - ٨٧٧ م)[٤٦].

٣ – عبدالخالق الغجدواني:- ولد بقرية

(الغجدوان) القريبة من بخارى، نشأبها وتوفي ودفن، ت ٦١٧ هـ [٤٧].

٤ – محمد بهاءالدين النقشبندي الاويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند ولد عام (٧١٧ هـ - ١٣١٧ م) في قصر عارفان وهي قرية بالقرب من بخارى[٤٨].

اطلقت اسماء مختلفة على النقشبندية تبعا لاسم روادها وهي[٤٩]:

ا – من عهد ابي بكر الصديق حتى ابي يزيد البسطامي كانت تسمى صديقية.

ب – من عهد ابي يزيد البسطامي حتى عهد (عبدالخالق الغجدواني) كانت تسمى (طيفورية).

ج – ومن الغجدواني الى (محمد بهاء الدين) كانت تسمى (خواجكانيه) والخواجة كلمة فارسية تعني الشيخ وتجمع على (خواجكان).

د – ومن محمد بهاء الدين صارت تعرف بالنقشبندية.

وبذلك اذا تعاملنا مع اسم الطريقة فيمكن القول بان المؤسس الاول هو محمد بهاء الدين.

مؤسس الطريقة النقشبندية محمد بهاء الدين النقشبندي

(محمد بهاء الدين النقشبندي الاويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند) شيخ هذه الطريقة بلا منازع، ولد (٧١٧ هـ - ١٣١٧ م) في (قصر عارفان) بالقرب من بخارى وتوفي بها عام (٧٩١ هـ - ١٣٨٨ م)، صحب الشيخ (محمد بابا السماسي)، مزاره بقرية سماس القريبة من بخارى، شيخ طريقة (خواجكان) اي المشايخ، وهي الطريقة التي انتشرت فيما وراء النهر (اسيا الوسطى) بعد الشيخ السماس صحب الشيخ الامير (كلال) خليفة السماسي خلال صحبته للامير (كلال) غلبت النقشبند جذبة، اذ سمع هاتفا يناديه اما ان لك ان تعرض عن الكل وتتوجه الى حضرتنا، فترك شاه نقشبند الكل واخذ يهيم على وجهه مدة شهر تقريبا، وصارت الجذبة من مبادئ هذه الطريقة، واقتصر ذكر شاه نقشبند على الخفي وبذلك خالف شيخه الذي كان يذكر ذكر الجهر مع الجماعة، وذكر الخفي في الانفراد، واصبح الذكر الخفي من اهم سمات الطريقة النقشبندية[٥٠]، امر الشيخ (امير كلال) مريده (محمد بهاء الدين) ان يصحب شيخا اكثر منه ملكة في الحياة المعنوية، ففعل ذلك وصحب الشيخ (مولانا عارف الديك كراني) نسبة الى قرية ديكران لمدة سبع سنوات، وقضى اثنى عشر عاما اخرى مع الشيخ خليل اتا[٥١]، لم تقتصر جهوده على السلوك وانما جاوز الى تحصيل العلوم الشرعية ودراستها، وكانت له اسفار كثيرة منها الى (هرات) و (سمر قند) و (مرو) و (طوس) و (مشهد) وغيرها فضلا عن زيارة بيت الله لاداء فريضة الحج مرتين[٥٢]، نسبة الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند تصل الى الشيخ يوسف الهمداني ت (٥٥٥ هـ) الذي كانت له علاقة روحية بالشيخ (ابي الحسن الخرقاني) توفي عام (٤٢٥ هـ - ١٠٣٣ م) وابي يزيد البسطامي[٥٣]، مع ان محمد بهاء الدين النقشبند تلقى تربيته الروحية مع الشيوخ الاحياء، يقول بانه تلقاها ايضا مع الذين سبقوه مثل

(عبدالخالق الغجدواني) المتوفى قبل ولادته بسنين مع ذلك كان الملهم الروحي في تربيته المعنوية[٥٤].

مبادئ واسس الطريقة النقشبندية

تتبرأ النقشبندية عن الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات ومن الابتداع والشطحيات والرقص والسماع، كما ليس فيها كثرة الجوع والسهر وانما تقوم على:-

اولا – التحقق بكمال الايمان بالله وبرسوله وبكل ما جاء به الرسول.

ثانيا – الالتزام التام بكل احكام الشريعة الغراء مع الخشوع التام والتسليم في الظاهر والباطن.

ثالثا – ان تكون غاية العمل لوجه الله تعالى دون غيره، فلا يكون الهدف الرياء او الاثابة[٥٥]

اهم مبادئ الطريقة النقشبندية

وضع عبدالخالق الغجدواني وشاه نقشبند اصولا لهذه الطريقة وهي[٥٦]:-

١ – اليقظة عند النفس:- بمعنى اخر حفظ النفس عن الغفلة في الشهيق والزفير وبينهما، ليكون القلب حاضرا مع الله في كل لحظة، فلا تتوزع الخيالات على امور دنيوية.

٢ – النظر الى القدم:- اي ان يقع تركيز السالك على قدميه عند سيره، دون النظر الى الافاق فتشتت فكره، ويورث ذلك حجابا في القلب، ويتوزع قلبه الى انحاء كثيرة.

٣ – السفر في الوطن:- وفي ذلك قطع العلائق بالخلق ليتوجه بكليته الى الحق كما يقول ابو بكر الشبلي: ((لا يكون الصوفي صوفيا حتى يرى جميع الخلائق عيالا عليه))[٥٧]، و (لامر السفر في الوطن) ثلاثة معان:

ا – البحث عن شيخ مرشد صالح يستحق الصحبة.

ب – طرح الهوى والشهوات الخسيسة في النفس.

ج – السفر يفضي الى ترسيخ الايمان وزيادته، وهذه ثمرة مشاهداته في هذا العالم.

٤ – الخلوة في الجلوة:- الخلوة على نوعين:

ا – الخلوة في الظاهر:- وتعني ان ينعزل السالك عن الناس منصرفا الى العبادة والرياضة الروحية، لان في انحباس الحواس الظاهرة فسح المجال للحواس الباطنة لملاحظة ايات الله.

ب – الخلوة في الباطن:- اي ان يكون قلب السالك حاضرا مع الحق دون غيره وهذا اهم ما يرتكز عليه النقشبندية، لان الذكر الظاهري قد يورث رياء ويترك القلب منشغلا بامور جانبية، ولكن الذكر بالقلب يثني صاحبه عن غير الله وان كان بينهم بالجسد.

٥ – الذكر الدائم:- اي مداومة الذكر حتى يتحقق الحضور الدائم للذاكر مع الله، ويكون الذكر باغماض العين وحبس النفس، ويكون الذكر بالقلب فقط (لا اله الا الله) وبالقلب ايضا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٦ – العودة من الذكر الى الذات: ومعناها

رجــوع الذاكرة من النفي والاثبات (لا اله الا الله) الى المناجــاة بعبارة (الهي انت مقصودي ورضــاك مطلوبي)، وهذه العبــارة يتضمن التوحيد الخالص، فلا يقع عندئذ على نظر السالك الا وجود الواحد المطلق.

٧ – حراسة القلب من الغفلات (الحضور الدائــم):- اي ان يحفــظ المريــد قلبــه من دخول الخواطر ولــو للحظة للمحافظة على ثمــار البركات الحاصلــة للحفاظ على درجة الحضور والمشاهدة التي حصل عليها السالك باســتقامته واستدامته على ذكر، فلا يسمح بتسلل الخطرات الى قلبه.

٨ – حفــظ اثــار المشــاهدة:- التوجــه الخالص لمشــاهدة انوار الذات وتســمى عين اليقــين، ويتم ذلك بتوجــه الصرف المجرد عن الالفاظ والتخيــلات الى حقيقة الواجب الوجود.

مصدر كلمة النقشبند: فيه اراء[٥٨]

١ – راي يقول: بان (خواجه بهاء الدين) اكثــر الذكر الى درجة قــد نقش لفظ (الله) جل جلاله في قلبه وكانه محفور عليه.

٢ – سمي كذلك لان اثار ذكر الله تبقى علــى واجهــة القلب ولا تزول ابــدا كالختم الذي يحفر عليه اسم او غيره.

٣ – ورأى اخــر يعتقــد بانــه ماخــوذ من اســم قرية في منطقة بخــارى ولد فيها خواجه بهاء الدين.

٤ – او لانــه لقــب اســرة (خواجه بهاء الديــن) لكونها تقوم بنقش قطع الاقمشــة وغيرها.

الطريقة النقشبندية في بلاد الكرد

اذا كانت (الطيفورية هي النقشبندية[٥٩]، فانها دخلت بلاد الكرد منذ عهد (عبدالرحمن الاهــدل)، اي في النصــف الثاني مــن القرن الثامن الهجري كما سلف ذكره.

ان الطريقــة النقشــبندية كانت تشــق طريقها في بــلاد الكرد حتى قبل تاســيس الدولــة الصوفيــة عـــام ١٥٠١ م، فقــد نبــغ شـــيوخ ومــرشــدون امثــال (الشــيخ علي الكردي) الذي كان من ابرز مريدي (الشــيخ عبــدالله الاحــرار) ت ١٤٩٠ م، وكانت حرب الدولة الصوفية على الصوفية سببا في اخراج الصوفية من مرابعهم من ايران، وانتشارهم في بــلاد الكــرد، والاخــرون مــن الصوفية تفرقــوا في بلــدان مختلفة منها اســتانة في تركيا الحالية و اســيا الوسطى وبلاد الهند، نبــغ في الاخير (الشــيخ احمد الســرهندي) المجددي الذي اعاد بناء النقشــبندية في اطار جديــد وقد حصلــت تحولات اخــرى على الطريقة في عهد (شــاه غلام علي) المعروف بـ(الشــيخ عبــدالله الدهلوي) الــذي اهتدى مولانا خالد النقشــبندي على يده الطريقة النقشبندية[٦٠].

نظــرا لمكانة مولانــا خالد المرموقة في التصوف الاســلامي بصورة عامة والتصوف الكردي بشكل خاص، هذه نبذة عن حياته.

مولانا خالد النقشــبندي (ابــو البهاء ضياء الدين) الشهير بذي الجناحين

(١١٩٣ هـ - ١٢٣٨ هـ)، (١٧٧٩ م – ١٨٢٦ م)

هو (خالد بن احمد بن حسين الشهرزوري العثماني نسبة الى الخليفة الراشدي (عثمان

بن عفان)(رضى الله عنه)، ولد في قرداغ – قصبة تابعة لمحافظة السليمانية – عام (١١٩٣ هـ - ١٧٧٩ م)(٣) او (١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م)[٦١]، اكمل دراسته الاولية في مكان ولادته، ثم تنقل بين قرى السليمانية وقصباتها، ورغبته في تحصيل المزيد من العلوم وبحثا عن علماء جديرين بمستواه خرج الى مناطق اخرى مثل اربيل وكركوك وكويه وبغداد، ولم يقف طموحه العلمي عند هذا الحد بل واصل دراسته خارج العراق فذهب الى ايران وتلقى عند علمائها مختلف العلوم الشرعية والكلامية والحسابية والهندسية والفلكية نال الاجازة االعلمية في (سنندج) بايران عند الشيخ (محمد قسيم المردوخي) عام ١٢١٢ هـ - ١٧٩٨ م، بعدها يعود الى السليمانية ويتعين مكان (الشيخ عبدالكريم البرزنجي) بعد وفاته، في عام ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م، قصد الحجاز لاداء فريضة الحج مرورا في سفره بـ(الموصل) و (ديار بكر) و (حلب) و (دمشق) وفي الاخير ياخذ الطريقة القادرية على يد الشيخين (محمد كزبري) و (مصطفى الكردي)، بعد عودته يستمر على التدريس حتى عام ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م ولكنه يبقى متشوقا الى شيخ يصحبه ليفتح له افاق الحياة الروحية، في تلك الاثناء يتواجد في السليمانية (مرزا رحيم الله) المعروف بـ(محمد درويش) احد خلفاء الشيخ (عبدالله الدهلوي) فينصح (مولانا خالد) بالسفر الى الديار الهندية للاتصال (بالدهلوي) فلا يتردد (مولانا خالد) بالسفر فيشد رحاله اليه والتقى بالشيخ الدهلوي عام ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩م، فاخذ على يده الطريقة النقشبندية، ويبقى في خدمته مدة سنتين يتلقى خلالها العلوم المعنوية، وبعدها يامره الشيخ بالعودة الى دياره بعد ان نال منه الاجازة بممارسة الارشاد والتربية السلوكية، يعود مولانا خالد عن طريق ايران، عرج على سنندج لزيارة استاذه (محمد قسيم المردوخي) , فاخذ استاذه الطريقة النقشبندية قبل غيره على يد تلميذه بالامس، كان الاقبال عليه شديدا ومدهشا، ثم يصل الى السليمانية عام ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م، يزور بغداد ويكون في خدمة التكية القادرية لمدة خمسة اشهر، ويعود بعدها الى السليمانية ينعكف على الارشاد ويتبعه خلق كثير، وفي عام ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م، يترك السليمانية الى بغداد مضطرا، في بغداد يتعين مدرسا في مدرسة (الاحسائية) التي سميت بالخالدية لاحقا، قام خلالها بالتدريس والارشاد معا، ولكنه يعود الى السليمانية بناء على طلب من (محمود باشا البابانـي)، ويبني له تكية فتشتهر باسمه الشريف (التكية الخالدية)، واخيرا يغادر السليمانية الى بغداد بلا عودة عام ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م، بعد ان ترك عددا من الخلفاء والمريدين المخلصين للقيام بمهام الارشاد، ترك السليمانية خوفا من نشوب اضطرابات تحل بالمدينة نتيجة موقف القادريين منه، وفي عام ١٢٣٨ هـ - ١٨٢٢ م انتقل الى بلاد الشام واستقر في دمشق ادى فيها واجبه في التدريس والارشاد الى ان توفي عام ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م، ودفن في سفح جبل قاسيون[٦٢].

الهوامش:

(١) ال عمران، الاية ٨٥.

(٢) الانبياء، الاية ١٠٧.

(٣) ينظر: تاريخ العرب في القرون الوسطى، لجنة، ط ٧، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ص ١٦٤.

(٤) مفتي الزهاوي، شيخ محمد الخال، ط ١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م، ص ١٥ – ١٦.

(٥) ينظر: بنەماڵەی زانیاران، ملا عبدالكريم المدرس، ط ١، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٤ م، ص ٨٨.

(٦) م. ن، ص ٤٦.

(٧) م. ن، ص ٨٨.

(٨) م. ن، ص ٩٣.

(٩) ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين، ملا عبدالكريم المدرس، ط ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٢٦٤.

(١٠) ينظر: بنەماڵەی زانیاران، ص ٩٣.

(١١) م. ن، ص ٩٤.

(١٢) چمكێكی مێژووی هەورامان و مەریوان، محمدی مەلا كریم، ط ١، چاپخانەی سلمان الاعظمي، ١٩٧٠م، ص ٢١.

(١٣) ينظر: الشيخ معروف النودهي البرزنجي، محمد الخال، ط ١، مطبعة التمدن، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، ص ٧١ – ٧٢.

(١٤) فرع من السهروردية مؤسسها (ظهير الدين) المتوفي عام ١٣٩٧ م، انتشرت هذه الطريقة في تركيا ومصر، ولها فروع كثيرة، (ينظر: تاريخ الطرق الصوفية، ص ٨٣).

(١٥) گۆڤاری رۆشنبیری نوێ، ژمارە ١٠٧، بغداد، ١٩٨٥ م، د. عزالدين مصطفى رسول.

(١٦) حكومة كردية تاسست في انحاء منطقة شهرزور على يد (بابا اردلان) الذي كان يقيم ردحا من الزمن بين ظهراني العشائر الطورانية الى ان تمكن في اواخر سلطة جنكيز خان من الاستيلاء على شهرزور واقامة ولاية اردلان (ينظر: شەرەفنامە، شەرەفخانی بەتلیسی، چاپی ٢، چاپخانەی وەزارەتی پەروەردە، هەولێر، ٢٠٠١ م، ل ٢١١.

(١٧) امارة بابان:- امارة صغيرة ذات ادارة قبلية بمنطقة شهرزور في بدايتها، وضع حجر اساس تلك الامارة الكردية فقي احمد بعد ان ازره جمع غفير من الكراد، فاتخذ لنفسه عنوان (بهبة)، غير ان ابنه (سليمان) يعد المؤسس الرئيس لها بعد ان اقتطع اجزاء من (امارة اردلان) وضمها الى امارته عام ١١٠٦ هـ - ١٦٩٤ م، وكانت عاصمتها (قلعة جوالان) القريبة من السليمانية الحالية، استمرت هذه الامارة الى عهد (عبدالله باشا) فسقطت في اواخر عهده عام ١٢٦٧ هـ - ١٨٥١ م، (ينظر: كرد وكردستان، ج ٣، محمد امين زكي بك، ط ١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، ص ٤٠٦.

(١٨) بهدينان:- نزح سكانها في الاصل من منطقة (شمدينان) ـ في ولاية هكاري التابعة للدولة التركية ـ الى العمادية وكان اباؤهم يتولون الحكم في قلعة طارون من اعمال (شمدينان)، ثم تاسست امارة البهدينان، ويقال بان تاسيسها يعود الى عهد العباسيين وسقطت عام ١٢٥٩ هـ - ١٨٣٤ م، في عهد اميرها (اسماعيل باشا)، (ينظر: كرد وكردستان، ج ٣، ص ٣٨٠).

(١٩) ينظر: (دەقەكانی ئەدەبی كوردی، علاء الدين السجادي، ط ١، مطبعة المجمع الكردي، ١٩٧٨ م، ص ٥٥).

(٢٠) ينظر: (گۆڤاری رۆشنبیری نوێ، عدد ١٠٧).

(٢١) دیوانی مەحوی، لێكدانەوە و لێكۆڵینەوەی، مەلا عبدالكريم مدرس، چاپی ١، چاپخانەی كۆری زانیار كورد، بغداد، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ص ٨٤.

(٢٢) م. ن، ص ٨٣.

(٢٣) ديواني محوى، ص ٤٧.

(٢٤) ينظر: مع الاكراد، تومابوا، ترجمة اواز زنكنه، ط ١، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ص ١١٠.

(٢٥) ينظر: م. ن، ص ١١١.

(٢٦) ينظر: روناكبير، عدد ٨ – ٩، السليمانية، ٢٠٠٣ م، ص ١٢٥.

(٢٧) ينظر: الاكراد، باسيل نيكيتن، قدم له (لويس ماسنيون)، ط ١، مطبعة دار الروائع، بيروت، ١٩٥٨ م، ص ١٩٨ – ٢٠٢.

(٢٨) ينظر: تاريخ الطريق الصوفية، ص ٢٨ – ٣١.

(٢٩) م. ن، ص ٣٢.
(٣٠) ينظر: (بنەماڵەی زانیاران، ص ٣١١).
(٣١) م. ن، ص ٣١٥.
(٣٢) الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص ٦٩.
(٣٣) الاعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، لجنة، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤ م، ص ٩.
(٣٤) م. ن، ص ٦٩.
(٣٥) الاعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، ص٩.
(٣٦) ينظر م. ن، ص ١٦.
(٣٧) الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص ٨٢.
(٣٨) الاعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، ص ١٦.
(٣٩) الصحيح:- هو اوائل القرن الثاني عشر لان ولادة الشيخ اسماعيل الذي راجت على يده الطريقة القادرية كانت في نهاية قرن الحادي عشر، لابد ان زيارته لبغداد وتمسكه الطريقة القادرية على يد الشيخ (احمد الحسائي) حصلت في اقل تقدير بعد عشرين عاما من ولادته، لذلك الصحيح هو اوائل القرن الثاني عشر وليس الحادي عشر.
(٤٠) ينظر: الاعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، ص ١٧ – ١٩.
(٤١) الاعمال الكاملة للشيخ المعروف النودهي،
(٤٢) الطريقة النقشبندية واعلامها، د. محمد احمد درنيقة، ط ١، مطبعة بلا، طرابلس، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص١٠.
(٤٣) انوار الهداية، مجموعة رسائل، من تاليف ملا يحى المزوري، مخطوطة بقلم عبدالرحيم (دون مزيد من الاسماء)، مكتبة خاصة، ص ١٣.
(٤٤) الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ١١.
(٤٥) م. ن، ص ١١.
(٤٦) م. ن، ص ١٣.
(٤٧) ابعاد عرفاني اسلام، ان ماري شيمل، ترجمه براى فارسى، د. عبدالرحيم كواهي، ط ١، دفتر نشر فرنك اسلامي، طهران، ١٣٧٧ هـ، ص ٥٧٢.
(٤٨) الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ١٨.
(٤٩) م. ن، ص ١١.
(٥٠) ينظر: الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ١٨.
(٥١) ينظر: ما هو التصوف، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.
(٥٢) م. ن، ص ٢٣٩.
(٥٣) ابعاد عرفاني اسلام، ص ٥٧٢.
(٥٤) م. ن، ص ٥٧٢.
(٥٥) الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ٢٢.
(٥٦) ابعاد عرفاني اسلامي، ص ٥٧٢.
- الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ٢٢ – ٢٨.
- ما هو التصوف ٢١٧ – ٢٢٣.
(٥٧) التصوف الثورة الروحية في الاسلام، ص ٥٢.
(٥٨) ينظر: مجلة پەیڤین، العدد ٩، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠٠.
(٥٩) هذه الاطروحة، ص ١٠.
(٦٠) ڤستیڤاڵی مەحوی، کۆمەڵێك رۆشنبیرو ئەدیب و نووسەر، چاپی ١، دەزگای چاپ و بڵاوکردنوەی ئاراس، هەولێر، ٢٠٠١ ز، ص ٤١ – ٤٢.
(٦١) گۆڤاری کۆری زانیاری کورد، ژ ١، ط ١، چاپخانەی کۆری زانیاری، بغداد، ١٩٧٣ م، ص ٦٩٨.
(٦٢) الطريقة النقشبندية واعلامها، ص ٧٩.
- ديوان مولانا خالد، باللغة الفارسية، مخطوطة بقلم حاج محمود محمدي، سنندج، مكتبة خاصة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ص ج.
- مجلة (پەیڤین) العدد ٩، السليمانية، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠١.
- الشيخ معروف النودهي البرزنجي، ص ٣٨.

صفحات من حضارة الكرد
الفارقي وتقهقر السلطة الكردية

ما كتب عن السلطة الكردية قبل ١٨٥٠ نزر قليل. وهذا ادى الى إضعاف التراث السياسي وقراءة الفكر السياسي الكردي بشكل غير صائب. فقد برزت منذ القرن العاشر الميلادي حتى منتصف القرن ١٩، عشرات من الدول والامارات الكردية.

مع ذلك ثمة كتّاب ومؤرخون قليلون فكروا في توثيق وجمع المواثيق لنا كما لم تكن هناك مؤسسة تابعة للدولة تقوم بأرشفة هذه المواثيق.

فقد قرأت دون شك ماكتبه الفارقي ومأمون بن بك بك وشرفخان البتلسي وماه شرف الأردلانية والملا محمود البايزيدي.

فلا يغطى تأريخ شعب طوله الاف سنين بكتب ومخطوطات معدودة.

فإن جاراتنا كانت لها مئات كتب حول أي بلد او دولة. وحتى الان كانت الجامعات والمؤسسات العلمية منشغلة دوماً، بنشر نتاجات مختلفة حول التأريخ القديم والحديث.

إننا لانملك كتباً جمة كتبت في زمن سلطة وحكم الامارات والدول تلك حول السلطة في القرن العاشر الميلادي، الا ان كتاب (تأريخ الفارقي) اول كتاب دوّنه مؤرخ كردي بلسان عربي، دون أن يكون له قرين ناهز ثماني آلاف سنة، يسرد الاحداث الداخلية والخارجية لدولة كردية.

ان كتاب (الفارقي) لهو تأريخ الدولة الدوستكية بين فترات (٩٨٢ـ ١٠٨٦م) والذي يعتبر احدى التجارب الهامة لبداية السلطة الكردية، جنباً الى جنب الدولة الروادية والشدادية والحسنوية والعنازية، فتلك كلها متزامنة.

وحول الامارات الاخرى، فقد دوّن مؤرخون عرب وفرس ايامها وأحداثها وذلك بطلب من الخلفية، كما فعل ابن مسكويه في مؤلفه المشهور (تجارب الامم).

تبرز أهمية كتاب الفارقي في انه ولد في عاصمة الدولة الدوستكية (ميافارقين) وكان اباؤه وأقربائه ادركوا الايام الاخيرة للسلطة الكردية. فهو الكتاب الفريد الذي أُلف من قبل مؤرخ كبير مولود المنطقة على احداث دولة كوردية.

إن الشعوب الأخرى دونت تجربة سياسية وتأريخية وجيزة، عشرات من الكتب والبحوث، فكانت كتابة التأريخ مهمة للعبر والاستفادة منها وكذلك نصف هذا القدر مهمة لتجسيد المفخرة.

للاسف اننا (لا في ذلك الزمان ولا الآن) لم نفعل مافعلته الشعوب الأخرى، لم نملك المؤسسات الثقافية والعلمية الكافية لتقوم بمهامها. وحول تجربة الدولة الدوستكية، فحسب علمي كان بين ايدينا كتابان فقط، منذ ثمانية قرون مضت، مخصصان للبحث عن نشوء وتطور وانكماش تجربة الحكم الكردي.

فقد شارك باحثون ومؤرخون عرب وانكليز وروس في تسليط الضوء على جوانب خفية للدولة الدوستكية، فهذه المشاركة موضع تقديرنا. لكن هذه المهمة والاستفادة من هذه التجربة تقع على عاتقنا بالدرجة الاساس (ئةبيَت بة دةستى خؤمان سةرى خؤمان بخوريَنين).

طوال تأريخ الكرد منذ آلاف السنين نجد شخصين خاضا في تأريخ الدولة الدوستكية، هما:

١ـ الفارقي: صاحب كتاب (تاريخ الفارقي) والذي كتبه بعد قرابة (٩٠) سنة من سقوط هذه الدولة، أي (٥٧٢هـ) - (١١٧٦م).

٢ـ عبدالرقيب يوسف: بعد ثمانية قرون من كتاب (تأريخ الفارقي) نشر ببغداد كتاباً في جزءين سماه (الدولة الدوستكية) باللغة العربية.

فهذان الكتابان هما نقطتان مشرقتان في تأريخ الكرد، إذ لهما دور وتأثير من الناحية التأريخية والتراثية. فسأحاول في هذه السطور المقتضبة ان اسلط الضوء على الرائعة الفريدة للفارقي من الناحية السوسولوجية.

فارقين وميافارقين

ان ميافارقين كانت عاصمة الدولة الدوستكية، فهي مدينة قديمة بنيت فيها قصور امراء الدولة، بعدها اختصر اسمها الى (فارقين) وتقع شمال شرقي دياربكر، كانت مساحة الدولة الدوستكية قرابة (٦٠٠٠٠) كم٢ تضم مدناً مهمة مثل: (بدليس، وان، العزيز، نسيمين....الخ).

رغم ان باد بن دوستك (؟ ـ ٩٨٩م) هو مؤسس هذه الدولة وجيشها وعساكرها وقاد حروبها، وفي السلام برمج للعلاقات الدبلوماسية والتحالفية إلا اننا نجد وخصوصاً عند المؤرخين العرب والمسلمين انهم سموا هذه الدولة بالدولة (المروانية). فإن تسمية (الدوستكية) مشتقة من الـ(دوستك) فهي تستخدم نزراً في الادبيات القديمة.

عام ٩٨٩م توجه ميرباد مرة وبجيش غزير الى مدينة الموصل. فثمة وقعت حرب دامية مع الجيش الحمدانيين. كان باد رجلاً طويل القامة مربعاً شجاعاً مقاتلاً باسلاً، ففي قعر الحرب يشعر بضعف حصانه، فوثب قفزاً من

حصانــه الى ظهر حصان آخر، لكنه لم يفلح فيسقط ارضاً فكســرت رقبته، فوصلت اليه خيالة العرب ومزقوا بسيوفهم يديه ورجله وعلقوا جثتــه في مدينة موصل، وقبل قتل ميربــاد فقد قتل أخــوه (الامير ابو فوراس) في حرب. لذلك فلم يكــن هناك أحد ليلحل محله، الا ابن أخيه الامير حســن بن مروان. فتبــدأ سلســلة العائلة المروانيــة من الامير حسن وسموا دولتهم بالدولة المروانية.

أهمية كتاب تـأريخ الفارقي

ربما لم تبلــغ اهمية كتاب تاريــخ الفارقي اهميــة تاريــخ الطــبري ووفيــات الاعيان والمقدمة والكامل في التاريخ... الخ، بالنسبة لتاريــخ العرب والاســلام، لكنــه ذو اهمية واحــدة بالنســبة لنــا ككرد، وهــي انه قام بتعريــف الســلطة في الدولــة الدوســتكية كســلطة كردية وقد بلغ عمر هذه الســلطة ١٠٤ ســنوات، حيث يجسد مقارنة بين حياة في ظل الحرية والاســتقلالية واخرى في ظل الاضطهــاد والظلم والجور. فقد كتب اســمه بالعربية كالآتي: (احمد بن يوســف بن علي بن الازرق الفارقي ١١١٧-١١٨١م) ولد عام ٥١٠هـ-١١١٧م بمدينة ميافارقين. اي بعد ٣١ سنة من ســقوط الدولة الدوســتكية. فتكون مدة ٣١ سنة وقعت بين سقوط الدولة وولادة المؤرخ مدة للمقارنــة والبحث والتقصي بالنســبة للظروف السياسية قبل وبعد السقوط.

لاشك ان الفارقي لم يعش في ظل الاستقلالية ولم تكن له اية ذكريات مع السلطة الكردية مباشــرا، فقد وصلت اليه هذه المعلومات عن طريق ابيه وجده واقربائه، فسمع من هؤلاء الذين ادركوا اواخر الســلطة الكردية، ودون ما قالوه وارخ للدولة الدوستكية.

فنرى جليا ان القسم الاول من الكتاب لم يكن غاية في الدقة بقدر القسم الاخير وخصوصا عندما يذكر عهد نصر الدولة.

يشــير الفارقــي انــه نقــل اخبــارا عــن ابيه(ص٢١٦) او سمع ابوه عن جده وهو اخذ منه (ص٢١٤). كان جده (الرئيس ابو الحسن علي بــن الازرق) هو رئيــس ناظر الاوقاف لحصن كيفا، ولعب دورا في الســنوات الاخيرة بحكم امراء الدولة الدوستكية.

فكمــا دون الفارقــي ولادة ونشــوء وتطور الدولة الدوستكية كذلك وعلى نفس المنوال دون قصــة التفرقة والصراعــات المحتدمة بين الامراء واضعاف البعض وسقوط الدولة الكردية والاســتلاء على الاحصنة واحد تلو اخر وتلاشي الطبقة العليا للمجتمع.

ان احدى النق

اط المهمة لكتــاب الفارقي تكمــن في عنوان تاريخــه: (ذكــر بدايــة الحكم الكــردي في ميافارقــين). فــان التاكيــد علــى صفــة (الكــردي) لهوية دولة لهــو في اوج الاهمية. لقــد كتب كثــيرون مــن المؤرخــين العرب الاســلاميين حول الكــرد، لكن الحرص على الهويــة الكردية للدولة، جــاء لأول مرة من لدن الفارقــي. وربما جاءت تســمية (نصر الدولة الكردي) —علمــا انه (نصر الدولة)- لــدى كثير من المؤرخــين القدماء، من وحي كتاب الفارقي، فمثلا ان (ابن خلكان) عندما قرأ كتاب (الفارقــي) اضاف صفة (الكردي) الى (نصــر الدولة). فلهذه النقطة اهميتها في

كتاب الفارقي من قبل علماء الاجتماع وعلم الانسان... اذ هي دليل واضح على مثولة الشعور القومي لديه.

اذا لم يدون الفارقي شيئا غير هذا السطر الذي بين ايدينا فينبغي ان يكتب اسمه في ذمة الخلود وان يكتب هذا السطر في كل مكان ويدرس في المدارس والمعاهد والجامعات:

(بعد موت نظام الدين وخروج البلاد عن ناصر الدولة وصلت البلاد الى الترك وتغيرت الولاة، واستولى عليها الظلم والجور والخراب، وافتقر اهلها بمقدار ما قال المنجم، والى الان لم ترجع الى عشر عشر ما كانت في ايام نظام الدين) ص٢٠٤.

ان الفارقي عاش في بيئة سياسية في دولة ضاعت فيها الاستقلالية وعلت عليها الحياة الاضطهادية. ففي مثل هذه الظروف التي تغلق على المرء نوافذ الامل فيمضي خياله الى ذكريات الماضي. فقد تعود على مثل هذه الحكايات لكثرة سردها على ألسنة الشباب والشيوخ، بل اصبح جزءا من فكرهم وروحهم وافئدتهم فمن يقرأ كتاب الفارقي يشعر انه يمتزج مع الاحداث يوما تلو اخر وذو خبرة وداهية في كل حدب وصوب من حياة هذه الفترة.

لمّا الف الفارقي هذا الكتاب كان عمره ٦٠ سنة اي انه جمع المعلومات من مسموعات ومقروءات اكثر من نصف سنة. من هنا فقد بات علم التاريخ جزءا من حياته فهو متطلع الى معرفة اسباب سقوط وضياع الحرية والاستقلالية وفرض واقع مضطهد قسرا.

فشاهد دوما عساكر وسلطة المضطهدين، وسمع بذكريات ايام عز الاستقلالية فالمسمع والمرئي يولدان التناقضات بين الان والماضي، وبالتالي يؤدي الى المقارنة، والتفكير، والتقصي عن صفحات تاريخ الماضي صفحة تلو اخرى.

ان المقارنات اليومية تفتح ابواب الاستسئالات والتناوشات، العود الى بداية خطوة الشروع: تحقيق الاستقلالية وتاسيس الدولة. تحليل تاريخ الدولة يوما بعد اخر والوصول الى السقوط والمحاولة لإيجاد اسباب الاضطهاد. العائلة المالكة لقوا حتفهم وانتشروا هالكين، كل يعمل على شاكلته. فتكرر هذا المشهد المخيف، لدى (سالم) بعد سقوط الامارة البابانية.

ربما في الحكم الكردي، العهد الذهبي، لم يكن الوضع الاجتماعي على قدم وساق مع استتباب الامن والاستقرار. ففجأة تسقط هذه السلطة الكردية المحلية، فعساكر العدو يحرق الرطب واليابس، وياخذ منهم الضرائب وتنتشر فيهم البطالة. فما ملكونه من الرفاهية والرغادة فجأة تحول الى العدم. ثمة يبدأ الظلم والاستبداد وعدم الامن والاستقرار. فيعتمد على ذهنه وتحليلاته ليصل الى استنتاج، وهو شتان ما بين وضع كردستان الان وقبل ٩٠ سنة الماضية! وكانت الرفاهية الانية لم تبلغ الا ١٪ بالنسبة لعصر الاستقلالية.

دوافع التدوين

ان الدافع الاساس للارخنة بالنسبة للماثلين في عهد الفارقي، يعود الى شعورهم بالمسؤولية التاريخية. فالمتوغلون في التاريخ نظروا دوما

الى مـا يقوله الامراء والخلفاء والسـلاطنة. نظروا دوما الى هباتهم وهداياهم وعطاءاتهم، لذلـك فقد نـزر من اقتفوا صـدى الضمير والشعور بالمسـؤولية التاريخية والسياسية. فقـد دونوا لـكل مدينة وعاصمـة مؤلفات تضم تاريخها، مثلا:

الـف (ابن ابي طاهر الطيفور) كتاب (تاريخ بغـداد) رغبة عنـه، اذ لم يـأت عن طلب جامعـة او مجمع علمي، بـل الفه بناء على طلب الخليفة العباسـية الثالثة، ويؤرخ فيه مفاخر الخليفة.

وممن كتب على تاريخ الموصل هو (محمد بن علي الشمشاطي) وذلك على طلب (قراوش بن المقلد) وهو مؤلفه المشـهور (تاريخ الموصل)، لكـن الفارقـي وخلافا لكثير مـن المؤرخين الكلاسكيين لم يكتب على طلب الخليفة ولا السـلطان ولم ينتظر منهم الهبات والعطايا والهدايا.

فالمـودة التـي يكنهـا لبده ووطنـه تدفعه ليـدون تاريخ (ميافارقـين) وتاريخ الدولة الدوسـتكية. لكن مع الاسـف، لا نلفي قبل وبعـد الفارقي احدا مـن المؤرخين والكتاب يتهـم بتدوين تاريخ مدينة مـن المدن. ما كتبه البتليسـي حـول مدينة بتليس يعتبر عمـلا مهما. لكنه عمله ينـدرج ضمن اطار تاريـخ الشـعب الكـردي، او تاريـخ الدولة والامارات.

بعد وفاة السـلطان السلجوقي (ملكشاه) عام ١٠٩٢م اي بعد سـت سنين من سقوط الدولة الدوستكية فقد حصل فراغ في السلطة، ولم تسـتطع القوات السـلجوقية المحتلة اخماد الصراع المحتـدم بين الفئـات الاجتماعية، فـكل منها تريد ان تسـتولي على السـلطة بطريقتها.

فمثلا برزت في مدينة (ميافارقين) جبهتان:

الاولى: تؤيد بقاء الحكم السـلجوقي، تكونت من مجموعة رجال الدين بقيادة (ابي بكر) الشخصية البارزة والمعروفة.

هـذه الجماعة طالبت من تاجر كبير اسـمه (ابو سـالم يحيى بن حسن المحور) ان يتسلم مفاتيح بوابات المدينة، فقد ذهبوا الى (تتش ابن الب ارسلان) لاعادة السلطة المحتلة.

امـا الثانيـة فاعضاؤها عبارة عـن الطبقة الانتلجسـية الماثلة في المدينـة، تريد اعادة حكـم الدوسـتكيين لينهـي الاحتلال وعم الاسـتقلالية. وابرز شـخصية ماثلة في هذه الجبهة هو الشـاعر (حسن بن اسد الفارقي) وعدد من تلاميذه، هـؤلاء الذين ترعرعوا بسـلام ووئام تحت فيء الدولة الدوسـتكية وكانـت هـذه الجبهـة تضـم اهل الكسـب والعاملين في السوق.

ان ان الفارقـي كتـب: (وكان ابـن اسـد بميافارقـين رجلا شـاعرا اديبـا وله جمع وتلامـذه وجماعـة التقـوا بـه، واجتمـع اليه جماعة من السـوقة والرعاع والشـباب والجهـال، وحصل يـدور في المدينة ويحفظ السور والبلد...) ص٢٣٢-٢٣٣.

وفـور خروج القاضي ابي بكـر من المدينة، فقد اسـتولت جماعة الشـاعر على المدينة، وطلبت من اخر الامراء المعزول (ناصر الدولة المروانية) ان يعـود الى ميافارقين (الذي هو انذاك عاش في الجزيرة) ويتسلم زمام الحكم. دامـت الحرية هـذه سـتتة اوام، اذ اصبح القاضي ابـو بكر قائد جيش السـلجوقيين

وارجــع تتش بن الب الارســلاني الى مدينة ميافارقــين. فقد اعتقل شــاعر الحرية عام ١٠٩٥م وصلــب. فمن المقارنــات الجميلة هي مقارنة ســقوط الدولة الدوســتكية وامارة البابان، والمقارنة بين ابن اسد الفارقي وسالم بك صاحبقران!.

الحركة الاجتماعية للمدينة

لم يتطــرق الباحثون والمؤرخــون القدماء والجدد الى سكان المدينة والماثلين في الاحصنة، فالمؤرخــون القدماء كانــوا يهتمون بتدوين تاريخ الامارات والعائلة والايام والحروب، ولم يشيروا الى احوال سكان المدينة والاحصنة.

نحن لا نعرف هل ثمة طبقة الانتلجنسيا، ام لم توجد اصلا، وكيف فكّرت وعاشت؟

هــل ان طبقة الكســبة والمهنيين كان طبقة ميتة وعدمة واقتفوا راية السلطان والحكام، ام هي طبقة حروكة ومنتقدة؟

نحــن نصل الى معلومــات دقيقة عن طريق مــؤرخ مثــل الفارقــي حول ســكان مدينة ميافارقين.

حســب ما يرويــه الفارقــي: ان المدينة لها موقفهــا وتراثها وهويتهــا الخاصة بها. ولم يقتفــوا اميرهــم للاعتناق بدينــه. احيانا نجــد ان الســوق اقوى من الامــير، فلم يكن باستطاعة الامير ان يقيد السوق والتجار.

ان الامير (ابا حسن بن مروان) ابن اخت باد، بعد ١٤ عاما من الحكم يصل الى نتيجة مرة: ان ســكان مدينة ميافارقين كانوا خارجين عن سطلته. وحسب ما يروي: اذ يكتب على لســان ابي علي: (وقــال: ان هؤلاء مالي بهم طاقــة، ولاهم تحــت حكمــي، ولا لي معهم امــر). بحجة ان ســكان هذه المدينــة كانوا منتمين قلبــا وجســدا الى الحمدانيين ولم يكونوا منتمين اليه: فعساكر وقريبو الامير يتعرضون للاعتداء من قبل اناس جاهلين.

فهو يكتب: (وكانت ســوق البــز(١١) لها من الحرمة والناموس شــيء كثير، بحيث انه لا يدخل اليهــا احد راكبا البتــة) ص٦٦. هذا المقطــع يشــير الى ان احدى اســواق المدينة كانت تباع فيها ملابس (البز) ولم يدع احد ان يمــر في ازقاتهــا راكبا. لأنهــا ذات حرمة واجلال وتتبع فيها قواعد وقوانين بها.

ان احــد بني اعمام الامير دخل الســوق ذات يــوم راكبا فشــق عليهــم، ونــزل في بعض الحوانيت ســاعة، وهو يحســب عضو العائلة المالكــة، فانزلوه من الفــرس والزموه حتى حمله في ذيله ورمي به خارج السوق.

فسمع ك صدره. فكتب في موضع اخر: (وكان مــن اهل البلد متى اســتطال عليهم جندي او كردي ضرب في وســط الســوق حتى يكاد يتلــف بغير اذن الامــير ولا وال. فكره الامير هذا منهم وامثاله...) ص٦٦.

هذا السرد الحكائي دليل على قدرة وامكانية الكســبة واهل الســوق على الجنــود والكرد وسلطة الامير. وعندما يستشير الامير بـ(مه م) فهو الامير (حاجب) يقول: انك لاتستطيع فعل شــيء ازاءهم ولا تســتطيع ان تســلط عليهم، فالاحسن ان تتجلد.

فهذه الظاهرة مدهشة! ان السوق لا تحسب اي حســاب للامير، فاذا خالف احد اقرباء الامير مخالفة صغيرة فيحاســب محاســبة عسيرة، دون ان يكون للامير ان ياخذ اي موقف.

ان (مــه م) يضع خطة: يدعى اهل الســوق

الى خارج سور المدينة، فيغلق باب القلعة. فنهب الاموال الماثلة في السوق. وتقتل من تريد قتله، ويسلم من اراد التسليم. وبهذا يقع الامير ذعر هيبته الى افئدة السكان، ويضطر اهل السوق للاعتناق له. لكن سكان القلعة، فيظهرون الاعتناق والسمع والطاعة للامير، اما في الدواخل فيخططون لهاجمة سرية تأرية. اذ يستطيع رئيس سوق الطعام، الشيخ (عبدالبر) ان يتفق مع ابن مم (شيرو)، والذي هو مثل اب (صاب). فيوجهان خطابا لهيبا الى اسوق فيحرصان على الظلم والجور، فيذكر بجريمة الابادة الجماعية الذي انجزها الامير قبل عامين بحق السوقيين الماثلين في المدينة.

عام ٩٩٧م يعقد حفلة فيلج الامير من باب فيفرمون عليه النقود، فيضع يديه على عينيه، فور ذلك يضربه صهره (بن دمنة)،وفق خطة، فيقتله، واصبح نفسه امير المدينة.

السوق تبرز اميراً آخر:

بعد مقتل الأمير أبي علي، كان السلاطين الجدد، كردحوا بجيوشهم الى كل مكان، ليعتقلوا سائر اعضاء الطبقة الحاكمة ويقتلهم. وعندما يسمع والي مدينة (ارزن) خبر مقتل الأمير، وبحْثِ المتكتلين عن الامير (نصر الدولة)، فهو بدوره يواجه المتكتلين (المتآمرين) انه من مواليد مدينة (اصفهان) واسمه (أبو قاسم)، فهو رجل صادق وذو مبدأ ونشيط وخبير، وقد طلب من سكان مدينة (ارزن) أن يصدوا مهاجمة المتكتلين. فشرع بالاجتماع مع الامير (نصر الدولة) وزوجته وأخبرهما بكامل الاحداث. واستحلفه ليستشير به، وقد وعده ان يكون خدوماً مخلصاً له. فلمّ شمل سكان المدينة ودعا القاضي والعسكريين. وفتح (أبو قاسم) لهم جميع خزائن النقود والقوت، ووزع عليهم السلاح. فجمع العشائر الكردية من كل حدب وصوب.

فايدت اعداد عديدة من المسلمين، الامير الجديد والاصفهاني، وطلب منهم ان يناصروا الامير ولاينحرفوا عن كلامه.

ففي المواجهة الاولى جيش (شيرو)، نصر الامير واستولى على خزائن جمة للقوت، التابعة لجيش (شيرو). فلم يضع الامير قدر حثيث منها لنفسه، بل وزع كلها على الجيش. فزاد عدادهم وعدتهم يوماً تلو اخر.

ولما شعر (شيرو) ان جيش الامير يزداد وينمو يوماً بعد آخر، وكانوا يترصدونه، فاذا به يعمل خطأ فداحاً، وهو انه اتفق مع البيظنطيين وطلب منهم المؤازرة العسكرية. فاقتنص ابو القاسم الاصفهاني ونصر الدولة هذا الخطأ، وقالا لسكان بلدهما: انهم اتفقوا مع الكفار بهدف تسلم المسلمين للمسيحيين. فلاشك أن العمل السياسي والادعائي له تاثير وفاعلية، فوقت صلاة الجمعة هاجم الناس (شيرو) و (ابن فيلوس)، فقتل (ابن فيلوس) في تلك الحادثة، كما هاجموا قصورهم وبيوتهم.

هذا الحادث كان حادثاً جماهيرياً كبيراً، لأنه ثمة الف جندي، من جنود (شيرو)، دافعوا عنه ورموا الناس بسهامهم، لكن مع ذلك لما يستطيعوا وقف انتفاضة الناس والسيطرة عليهم. فهذا دليل على كثرة اعداد المنتفضين

على المتكتلين. فكان الناس قد أرشدوا من قبل شخص مثل (أبي الطيب محمد بن عبيد بن المحور)، فهو بدوره قام بتهيئة الناس. إذ هو رجل حاذق ثري، يستشير به الناس في امورهم ومشاكلهم. وعدا ذلك فنلفي شخصاً آخر وهو (أبو طاهر بن الحمامي). وبعده فقد دون اسم شخص آخر وهو (ابو حسن احمد بن وصيف البزاز)، ويبدو من اسمه أنه تاجر الاقمشة، فهو ذو صلة متينة بـ(أبي ريحان) وذو نفوذ وعلاقات كثيرة، فعمل كلاهما برنامج حماية الناس وجذلهم ومؤازرتهم.

فهاجم الامير (أبو النصر) من عدة أطراف. فعرف (أبن الوصيف) ان أمره انتهى، فذعر من ان تستجيب عامة الناس لطلب الامير ويطلبوا منه السلام، ان يبقى هو بدوره في عداد العدو، لذلك فبعث برسالة طلب فيها الامير بالسلام.

ومن العجب ان الخطبة التي القاها (ابن الوصيف)، لها بعد مالي واقتصادي دون آخر.

ثم انه اجتمع بالمشايخ وكبار اهل البلد في الجامع وقال: (الى كم نصبر تحت الحصار، والى متى نحن فيه، وقد خربت بيوتنا وأملاكنا، وبطلت معايشنا ومكاسبنا؟) ص١٠١. فاذا امعن القارئ في الجمل اعلاه، فيجد ان جلها تتبلور حول تبرير (مشروع السلام) وكذلك السوق.

تعيين الوزير

ان قصة تعيين الوزير في الدولة الدوستكية لها أهمية خاصة. فلم ينظر الامراء الى الخلفية السياسية والمذهبية لهذا الشخص (المرشح) بل نظروا الى المهارة والكفاءة الادارية له:

فمثلاً ان اميرا مثل (نصر الدولة) عين (ابا القاسم الاصفهاني) وزيراً مع انه من أهالي اصفهان. لأنه رجل اداري ومخلص ووضع التاج الملكي على رأس (نصر الدولة) وآزر دولته وحررها من ايدي المتكتلين (المتآمرين) وادارها بشكل جيد.

وبعد ان وافت (أبو القاسم الاصفهاني) المنية وذلك عام ٤١٠هـ (١٠٢٠م) رشح الامير (ابا الحسن علي بن الحسين المغربي) لمنصب الوزير.

ان وزير (المغر) في القاهرة ايام حكم الفاطميين، أي ان هذا الامير السني الكردي، يقبل ان يكون وزيره عربياً شيعياً فاطمياً، مصرياً. فبنى هذا الوزير ادارة الدولة الدوستكية عام (٣٧٠ـ٤٢٨هـ) على شكل الدولة الفاطمية والدولة العباسية. وبعد فراره من القاهرة يتجه نحو بغداد... الخ.

حسب تحاليل الفارقي ان سبب سقوط الدولة الدوستكية يعود الى تغيير (استبدال) وزير اداري وسياسي، بوزير لا اداري ولا سياسي.

كان (ناصر الدولة) (١٠٨٠ـ ١٠٨٦ م) آخر امراء الدوستكية، له وزير حاذق واداري وسياسي باسم (ابي طاهر الانباري)، فكتب الفارقي: (ودبر الدولة وساس الملك حسن سياسة مدة)، فهذه الجملة تؤمى الى ان ابا طاهر كان وزيراً سياسياً وعمل بشكل دقيق، وكان أبوه (ابو الفضل ابراهيم الانباري) وزيراً في عهد (نظام الدين ابن نصر الدولة، وتوفي عام (٤٥٨ هـ -١٠٦٦م). وبعد مماته نصب ابنه

(أبو طاهر) مكان أبيه. فدون الفارقي: (فقيل لنظـام الدين: هذا شـاب وصبـي، والوزارة لا تليـق الا باصحاب الرأي والمشـايخ، الذين جربوا الدول، فقال: انا قد رضيت، وسترون ما يخرج من هذا، ولقبه عين الكفاة، وترتب في الوزارة وساس الناس والبلاد احسن سياسة) ص١٨٥. وبعـد أربعة أعوام قرر ناصر الدولة اعتقـال وفصل الوزير، ووجـد رجلاً يملك دكاناً في سـوق العطارين اسمه (ابو سالم) اذ لقب بـ(الطبيـب). ومن الجلي ان (الدكتور) الماثل في ذاك الزمن، لم ينل الشـهادة الطبية من جامعة كامبرج. بل هو بائع للاحشـاش الطبية. كما له صلـة بعائلة الامير. (وتقدم عند الامير طبيب اسـمه ابو سالم، وكان له حانوت بسوق العطارين) ص٢٠٦. ومما يبدو ان هـذا العطـار كان رجلاً مثرثـراً متملقاً لبقاً، فسرعان ما شـغف فؤاد العائلة المالكة، واستولى على امور الدولة، فباتت امور الدولة تحت ايدي (ابي سالم) وزوجته.

وبسـبب ادارة (ابي سـالم) الفاشلة، اصابت الدولـة بالفوضـى والاضطـراب. وان (ابن جهـير) الـذي كان وزيـراً لـ(نظـام الدين) الدوسـتكي، فطرد من عملـه. فتوجه بعد ذلك فورا الى بغـداد، فعينه (الخليفة القائم بأمر الله) وزيراً بعدها ايضا عينه السـلطان السـلجوقي وزيراً، فيحث ملك شـاه ابن الب ارسلان (١٠٧٢ـ ١٠٩٢م) للاستيلاء على الدولة الدوستكية. وكان (ابن جهير) صهر الخواجة نظام الدين الملـك. فيكتب الفارقي: (تحدث مـع اخواجا نظام الديـن، ووصف له البلاد وملـك بني مـروان وذخائرهم وما عندهم مـن الاموال والجواهر، وضمن له اخذ البلاد وان يحصل مـن اموالهم، وا لا يحصى كثرة، فتحدث اخواجا مع السـلطان وقال له: تلك البلاد قد خلت، وبهـا من الاموال ما لا يعد ولا يحـد، فجهز السـلطان العسـاكر وجعل الوزير فخـر الدولة رأسـها ومقدما عليهم، وسار وقصد دياربكر. فلما قارب البلاد وسمع ناصـر الدولة وتحقق الحال، رتب امر البلاد وسلمها الى ابي سالم الطبيب وزوجته، وامر الجند والناس بالانقياد الى امره والا يخالف) ص٢٠٨. فتسربت أسراب الجيوش السلجوقية الى الدولة الدوسـتكية، فلجأ ناصر الدولة الى السـلطان. فأرشده السلطان الى بقاء مدينتي (ميافارقـين وآمـد) بيد الامير الدوسـتكي وتسـليم الجزيـرة الى السـلطان. اختصاراً: يقسـم الدولة الى قسـمين، كل قسم لطرف. فطلب الامير ليلـة للتفكير في الموضوع. ففي هذه الليلة وصلته رسـالة مـن الوزير (ابي سالم)، وفحواها: ان الدولة الدوستكية قوية متينـة جداً، حتـى لو حوصـرت من قبل السـلجوقيين لمدة عشر سنوات، باستطاعتها مواجهتها، فضلل كلامه الامير، وشـرع يقرر الحرب.

سياسة الاعمار واعمدة الحضارة

ان مدينة (ميافارقين) كانت عاصمة المملكة، وهي مدينة ثرية ومعمرة وحية. ويصونها مـن أطرافها سـياج (شـورى) مـن الهجوم الخارجي.

بدأت حركـة الاعمار في عهد (نصر الدولة)، وارتفع مسـتوى معيشة الناس. وحشد اليها التجـار من كل حدب وصـوب، فحصل نمو وتطور اقتصادي كبير. ففي يوم واحد يربح

تاجر (٥٠٠) دينار اورمانوسي، وهذا الربح كان كثيراً جداً لذاك الزمن. فلما سمع الامير ان تاجراً يربح (٥٠٠) دينار يناديه ويسأله عن صدق هذه المسالة؟

فأسس نصر الدولة مدينة قرب ميافارقين وبنى فيها دوراً وسوقاً كثيرة. فهي ذات منظر رائع وخصوصا في الربيع، فذهبوا اليها وامضوا فيها أوقاتهم. وصنع دولاباً على (باتمان) وهو اسبق (أكثر تطوراً من الناعور) فسحب ماءً من الناعور بشكل يكفي للاستحمام والحدائق والدور. فكانت المدينة مزينة بالحدائق والرياض.

شيد (أبوبكر محمد بن جرى) وهو رجل ثري وذو باع طويلة، قناة ودفع مصرفها الذي بلغ (٥٠٠٠٠) دينار، من جيبه، وبذلك أوصل الماء الى محلات المدينة. كانت القناة كثيبة من بيته، لكنه لم يرد ان يوصل قطرة من الماء الى بيته. لأن لايقول أحد: انه عمل هذا لنفسه.

ثمة في (ميافارقين) مستشفى ومدرسة. ووضع (نصر الدولة) ساعة (بنكام)(١٢) في مسجد ميافارقين بثمن جمّ ونقش اسمه عليها. وهذا دليل على ان صنعة (الساعات) تعود الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر العيسوي.

ليالي ميافارقين

بعد موت (نصر الدولة) سأل واحد عن الاخر: كم سنة كان فيها نصر الدولة اميراً؟ فأجابه الاخر: ٥٣ سنة فقط. فقال الاول: لِمَ لاتقول (١٠٦) سنوات؟ لانه لياليها أحلى من ايامها: (ولقد سعد ما لم يسعد مثله احد، ولقد كان لغيره من السلاطين والملوك والبلاد والاسم ما لم يكن له مثله ولكن ما تنعموا مثل ما تنعم نصر الدولة، ولا نالوا من اللذة ورفاهية العيش ما نا، ولا حصل لهم ما حصل له من النعم والاموال والاولاد) ص١٧٢.

كانت لنصر الدولة اربع زيجات، أحداها (الفضلونية بنت فضلون ابن منوجهر) امير (اران وارمينيا) وبنت شرف الدولة والفرجية، وزوجته الرابعة ابنة (سنحاريب) ملك (سينانة) التي هي مدينة ارمينية.

إذن: فاثنتان من زيجاته كانتا من الارمن، اذ ليستا كرديتين ولا مسلمتين. فهذا الزواج كان زواجاً سياسياً، اذ من خلاله حاول ان تدوم العلاقة مع الامارات الارمينية.

امتلك هذا الامير (٣٦٠) جارية، باتت كل ليلة عند واحدة منهن. اي ان الامير رأى جارية واحدة كل سنة مرة. ومما يجلب الانتباه هو بعدما ماكتبه الفارقي (وكان له ثلاثمئة وستون جارية حظايا، وفيهن عمالات وكان لا تصل نوبة احداهن في السنة الا مرة واحدة...) فيكتب فوراً (وكان في كل ليلة عروس جديدة) ص١٦٩.

فاذا تزوج الملك باخرى في كل ليلة فكيف به ان يحين لواحدة من ٣٦٠ جارية في السنة؟ فلذلك ان هذه الجملة تنفي سابقتها.

بين زيجاته الاربع كان اسم احداهن (الفرجية) اعتقد ان هذا خطأ والفارقي لم يبلور معلومات صحيحة حولها، فنقل كما وصل اليه. هذه الفرجية كانت امرأة مطربة وكانت جارية لرجل مصري اسمه (فرج) وانث منسوبة (الفرجية). اذ يحكيه

الفارقي كالآتي: (ووصل الى ميافارقين رجل من مصر يسمى الاستاذ فرج ومعه جارية لم يـر مثلها، ولا ممثـل صناعتها في الغناء بالعود، وكان معها ولد لها من استاذها يسمى محمدا ويكنى ابا الوفـاء، وكان يكرم الامير استاذها فاستهام الامير بها بحيث انه لم يكن لـه عنها صبر البتة، فطلب من اسـتاذها ان يشـتريها فلم يقبل. وقال لـي: لي منها هذا الولد، ولا يجوز بيعها. وضاق صدر الامير من ذلـك، واحبها محبة عظيمة، بحيث لم يكن له عنهـا صبر، فلما علم انها لا تباع تزوجها من استاذها...) ص١٢٢.

احـدى زيجات الامير كانـت بنت امير (اران وارمينيا) فهي واقفة ضد زواج الامير بعدها. فلما تزوج الامير قفلت راجعة الى بيت ابيها. لكن الملك العاشـق توغل في عشقه لذلك فلم يعر اي اهتمام بانتهاء العلاقة الدبلوماسـية وكلذلك بنشوب الحرب.

العلاقات السياسية وسياسة صون توازن السلام

ان الامير نصر الدولة حكم الدولة الدوستكية مدة ٥٣ سنة فخلال هذه المدة اهتم بالتطور الاقتصـادي والاعمـار. لقـد رفع المسـتوى المعيشي للناس وحضر الصراعات والنزاعات الداخلية. وابعد الحروب والهجمات الناشـبة مـن قبل الجوار على بلاده وذلك عن طريق الحوار والهدايا.

فالسياسـة التـي اتبعها نصـر الدولة والتي هـي الاجتنا من الانحـراف واعاقة النكبات العسـكرية علـى الحدود وذلـك من خلال تطويـر الحالة الاقتصادية، ما ادى الى تاخير انفجـار الصـراع الاجتماعي او اسـتئصاله بشكل نهائي.

هـذا الكتاب يجب ان ينشـر مرة اخرى من قبل مؤسسـة علميـة كرديـة لأن د.بدوي عوض قام بتحقيق ونشر الجزء الذي قصده. رغم اجلالي الجم لعمل د.بدوي عبداللطيف عوض الذي اخرج الكتاب من قمطرير نتحف لندن واكسفورد الى نور الطبع والنشر، الا انه قام بتحقيق النصوص فقط، ولم يتطرق الى معالجة الجمل الناقصة المعنى-غير المكتملة- اة الاسماء المغمورة او الاخبار المشوهة.

اننا رغـم كل ذلك مدينون لهذا العالم الذي وجـد المخطوطة وطبعهـا وعثر على حلقة مفقودة من تاريخ كردستان. يوجد بين هذا الكتاب وجزء من قصائد (سـالم صاحبقرا) خط مواز وانكسـار الفيء: فكلاهما كتبا عن تجربـة ضياع واضمحلال السـلطة احدهما بالشعر والاخر بالنثر.

وقتما ندون مفتخرين بتجربتنا السلطوية، ينبغي لنا ان لا ننسـى نواقصنا وهزائمنا وا نضع كابوس الهزيمة امام اعيننا دوما.

ان ابن اسـد الفارقـي قاد النهـوض ويزور ويحارب العدو ويضحي في نهاية الامر بنفسه وان الشـاعر سالم بك صاحبقران يجعل من عبراته شـعرا، ومن القصيـدة آلة للتصوير يصور بها كارثة سقوط الامارة.

المصادر والملاحظات:

١-احمد بن يوسف بن علي الازرق الفارقي، حققه وقدم له: د.بدوي عبداللطيف عوض. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٤.
-لقد ترجم هذا الكتاب الى الكردية من قبل د.قادر محمد بشدري واكو برهان محمد وسماه (ميزوي ميافارقين وئامه د)، ط١، اربيل ٢٠٠٧.
٢- ابي علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم (المتوفى ٤٢١ هـ) تحقيق (سيد كسروي حسن) دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ٢٠٠٣.
٣-محمود ياسين التكريتي: الامارة المروانية في دياربكر والجزيرة، رسالة الماجستير قدمت عام ١٩٧٢، غير منشورة، ينبغي ان تنشر هذه الرسالة.
انظر: مقدمة كتاب (الدولة الدوستكية): عبدالرقيب يوسف.
٤-. Minorsky. V: Caucasia in the History of Mayyafariqin. ١٩٤٩
٥- عبدالرقيب يوسف: الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى. مطبعة اللواء. ج١، بغداد ١٩٧٢.
٦-اسمها الاصلي (سليفاني) وتبعد ٧٠كم من شمال دياربكر.
٧-يرجع الاستاذ عبدالرقيب يوسف عائلة المروانيين الى قرية (كرماص) وكان سكان القرية رأوه رحى سموها (رحى المروانيا) ومما يبدو ان هذه الرحى وضعها المروان. اخذت هذه المعلومات من الاستاذ عبدالرقيب يوسف.
٨- بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. حققه (الدكتور يوسف علي الطويل والدكتورة مريم قاسم الطويل)، المجلد الأول، دار الكتب العلمية ـ بيروت ص ١٨٧.
٩. الدكتور محمد علي الصويركي: معجم أعلام الكرد، بنكةى ذين، السليمانية، ٢٠٠٥ ص ٧٠.
١٠-هاتان المخطوطتان من الكتب المغمورة (المفقودة) ونعرفهما عن طريق الاشارة اليهما في الكتب التاريخية.
١١-ان مصطلح (البزاز) اخذ من (البز).
١٢-للمزيد من المعلومات حول الميكانيك وصنعة الساعات، انظر: ماجد عبدالله الشمس: مقدمة في علم الميكانيك في الحضارة العربية، ج١، جامعة بغداد-مركز احياء التراث العلمي العربي-بغداد ١٩٧٧، ص١٤٩.
-عبدالرقيب يوسف: الدولة الدوستكية، ج٢، مصدر سابق، ص٢٠٦.
١٣-تاريخ الفكر الكردي: فاضل كريم احمد.

أوركيش
تل موزان
حضارة العالم الكوردي القديم

د. آزاد احمد على

يقع كري موزان (تل موزان) الاثري بجوار قرية موزان، على الطريق العام بين مدينتي قامشلي وعامودا، تبعد غربا عن قامشلي بحوالي ٢٠كم.

يتألف التل من هضبة بارزة بارتفاع ٢٨م عن مستوى ارض الجوار، وبطول حوالي كيلومتر ونصف، وعرض كيلومتر واحد. اي يبلغ مجموع مساحة التل حوالي ١٥٠ مئة وخمسين هكتارا. تعود بدايات الاستيطان في الموقع الى الالف الخامس قبل الميلاد، اي الى ملامح ومنشآت مرحلة تل حلف. الا ان الاستيطان المكثف فيه كان ابان الالفين الثالث والثاني ق.م.

بدأت حملة التنقيبات في (تل موزان) عام ١٩٨٤، وتبين بعد عدة مواسم لاعمال التنقيب، وخاصة في عام ١٩٩٥ ان التل يخفي تحت انقاضه مدينة (أوركيش) التاريخية التي حسبها علماء الآثار مجرد اسطورة ورد ذكرها في العهد القديم ونصوص اثرية متفرقة. الا انها تحولت الى واقع تاريخي وجغرافي ملموس. فبعد سنوات ومواسم من التنقيب الأثري المنهجي اعلن الدكتور جورجيو بوتشلاتي بانه قد اكتشف اوركيش، المدينة الشمالية الغامضة والمثيرة،



ومــع اعلانه اثــيرت ايضا ضجــة اعلامية قريبة مما اثير سابقا حول اكتشاف ايبلا.

لاشــك ان الموقع واحد مــن اكبر المواقع الأثرية الســورية التي تعود الى الألف الثالث ق.م، وقد منح موقعه الجغرافي جنوب جبل طــور عابدين وجبل اومريــان بالقرب من مدينة ماردين امكانيات اضافية للاســتفادة مــن خيرات المناطــق الجبلية في شــمالها. اذ كانــت هذه الجبال ســاحة خلفية لممارســة انشــطة الصيد، كما وفرت في الوقت نفســه الثمــار والحطــب لســكانها، في حــين امنت الســهول الخصبة بين نهري خابور وجغجغ المحاصيــل الزراعية الوفيرة للســكان، وعلى الرغم من الدلائل الأثرية التي تشــير الى ان الموقع كان مسكونا في الألف الخامس ق.م، الا انهــا تحولت الى حاضــرة ومدينة مؤثرة في نهاية الألف الثالث ق.م.

مايميــز اوركيــش يكمــن في قيمتهــا الثقافية والسياســية كونها عاصمة للمملكة الحورية-الميتانيــة التي بــرزت في منتصف الالف الاول ق.م (١٤٠٠-١٥٠٠ق.م) هذه المملكة التي تنتمي الى الممالك والحضارات الســورية ذات الخصوصية والاستقلال المحليين.

جديــر بالذكــر ان المملكــة الحوريــة- الميتانية قد بــرزت مطلع الالف الثاني ق.م، وتطورت ومن ثم تحررت تماما من ســلطة (اور) في جنــوب العــراق. لتشــكل مملكــة مســتقلة مؤلفــة مــن مجموعة مــن المدن تتوسطها العاصمة (اوركيش). فمن المؤكد ان الحوريين قد حكموا شــمال سورية ووسطها وشــرق دجلة منتصف الالف الثاني، واستمر حكمهم لعدة قرون لاحقة، وساهموا في بقاء ســوريا خارج النفوذ المصري الفرعوني لمدة طويلة.

الحفريات مستمرة في التل، حيث مازلنا امام اعمال يومية لاكتشــاف حضارة سورية قديمة ومميزة تمتد بمؤثراتها جغرافيا الى الساحل السوري، خاصة في سويتها الرئيسية منتصف الالف الثاني ق.م، والتي تتواجد في اغلــب المواقع الاثرية العائــدة للالف الثاني



ق.م، مثل اوغاريت وتل المشرفة بالقرب من حمص، وكذلك في تل العطاشة-آلالاخ في سهل العمق قرب انطاكية.

اوركيش مدينة كبيرة وبارزة لمرحلة الالف الثاني ق.م، وهي كسائر مدن الجزيرة الفراتية، مدينة نهرية، تتموضع في سهل فسيح، وتربط الحياة الاقتصادية للجبال شمالا مع سهول الجزيرة جنوبا. لقد كانت حاضرة سوريا الكبرى اواسط الالف الثاني ق.م، وساهمت في تطوير الحياة الثقافية والاقتصادية لعموم شمال بلاد الرافدين، اذ قامت بتنشيط وتفعيل تجارة المعادن من نحاس وقصدير بين مدن الشمال وسوّقتها باتجاه الجنوب، وقد تفردت بثقافتها المحلية المختلفة عن ثقافة بلاد الرافدين الجنوبية، خاصة في حقلي اللغة والمعتقد، اضافة الى تنصيب آلهة جدد، مثل اله الاعماق (آبي) وهو الإله الذي كان الملك يستشيره في امور الرعية، ضمن طقس مكاني مؤطر بمساحة دائرية سفلية. هذا وقد سيطر ايضا على ثقافة المدينة إله البركان والجبال (كوم آر بي).

فثمة معبد صغير في اوركيش خاص باله الاعماق (الذي يوازي اله الشر) على شكل بئر يهبط اليها بدرج حجري لتقديم القرابين لإله الاعماق الكبير والخطير.

لقد حفلت اوركيش بالمنشآت المدنية، بالفخار والتماثيل البشرية والحيوانية، فكل الرقم والأختام والرموز تشير الى نشاط تجاري وثقافي متمايز ومنفصل عن حضارات وثقافات جنوب العراق. مع سبق تاريخي كبير لتدجين الخيول والدواجن والخنازير.

ومن اهم المنشآت التي تم الكشف عنها:

معبد الاسود، المعبد البيضوي، القصر الملكي، اضافة الى سور المدينة.

شيد القصر الملكي حوالي عام ٢٢٠٠ق.م، من قبل الملك اوبكيش، يحتوي القصر على عدة اقسام خدمية وادارية، وجميعها مشيدة



من اللبن الطيني.

كما اكتشف مؤخرا مدخل المعبد البيضوي ذات الادراج والجدران الحجرية الكبيرة.

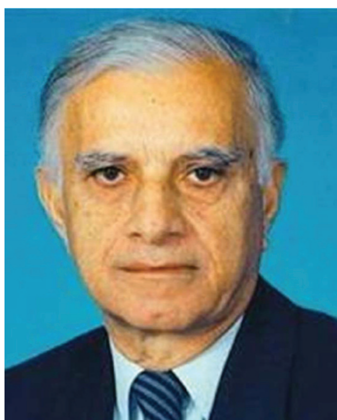
اهمية هذا الموقع تأتي من ثقافته الغنية الخاصة، لدرجة ان شبهها احد علماء الآثار بباريس العالم القديم. وكانت من القوة والاستقلالية بحيث ظلت المدينة السورية الوحيدة التي لم تحتل من قبل نارام سن الاكادي.

ومن ناحية اخرى تبقى المملكة الحورية-الميتانية على قدر كبير من الاهمية التاريخية والحضارية وبخاصة عاصمتها اوركيش، كونها قد نقلت الارث الحضاري والثقافي لعموم شمال بلاد الرافدين والاناضول واوصلته الى القبائل الآرامية، فتلقحت ثقافة الحوريين مع ثقافة الآراميين لتتمظهر بصيغة جديدة في ممالك ومدن الالف الاول ق.م في سورية الشمالية كغوزانا وحداتو على سبيل المثال لا الحصر.

مازال العالم الاثري جوجيو بوتشلاتي وزوجته ينقبان في الموقع، وعلى ما يبدو انهما سيرثان اعمال التنقيب لابنهم الدكتور اسكندر، نظرا لاهمية استمرار الحفريات والزمن الطويل الذي يتطلبه البحث الاثري.

اخيرا فقد تم اعداد موقع عاصمة الحوريين الاثري بشكل جيد ومتوافق مع مكانته التاريخية، وهو معد لاستقبال الزوار اكثر من غيره من المواقع الاثرية، اذ تم تجهيز قاعة للمحاضرات، وكذلك اسس متحف صغير خاص بالموقع. الى جانب دليل مطبوع للموقع، وشروحات على لوحات معدنية موزعة بأرجاء التل. هذا ويعد اسلوب حماية جدران القصر من العوامل الخارجية وطريقة عرضها للزوار من

معركة ئيتوت
وصراع الاخوة ودرس من التأريخ



الاستاذ الدكتور: طارق باشا عمادي*

مقدمة

ئيتوت هي قرية صغيرة من قرى دهوك والتي اصبحت ساحة لمعركة طاحنة بين جيش امارة ئاميدي(بهدينان) بقيادة محمد باشا بن سعيد باشا بن محمد طيار باشا وبين والي موصل العثماني محمود باشا اينجه بيرقدار وذلك سنة ١٨٤٢م والتي خسر فيها الجيش البهديناني وقتل قائده عندما تقهقر الجيش وبحادثة طارئة سنرجع الى ذكرها فيما بعد . وكانت بداية النهاية ليست لهذه الامارة فقط ولكن لجميع الامارات الكوردية في جميع مناطقها على ارض كوردستان . وكان السبب الرئيس انشغال امراء هذه الامارات بالصراعات الجانبية فيما

بينهـم والعمل بأجنـدات اجنبية (صفوية وعثمانية) والانصيـاع المطلق لرجال الدين المتزمتـين مـن وعاظ السـلاطين. يقال ان التاريخ كثيرا ما يعيد نفسـه اوشبيهه وقد يكون درسا لمن يفهمه ويتعلم منه .

ولغرض التعـرف على وقائع هـذه المعركة وعلـى الظـروف والاسـباب التـي ادت الى اندلاعها لابد من عرض موجز لتأريخ امارة ئاميدي(بهدينان) والتي استمرت لستة قرون منذ تأسيسـها سـنة ١٣٢٩م عل يد مؤسسها بهـاء الدين بن شـجاع الدين بن الامير نجم الدين خضر بـن مبارز الديـن كاك والذي ينتمي الى قبيلة مازنجان الكوردية(١) وتولى حكـم الامارة ما يقارب ثلاثة وثلاثون اميرا ملقبين بالبك والخان والسـلطان والباشا بدأ من سـنة ١٤٩٨م عندما تـولى الامارة الامير حسن بك ابن الامير سفدين وولده السلطان حسين، حيث كان عهدهما بداية لانتصارات عسكرية وازدهار للامارة وما تلاه ومن ثم التعرف على اسـباب التأخر والضعف ومن ثم السقوط النهائي .

الامـير حسـن ابن سـفدين (١٤٩٨ – ١٥٣٤)

في عهـد هذا الامير تحقق تغير نوعي وكمي للامارة من حيث العدد السـكاني والمساحة والتقـدم العمرانـي والثقـافي والاقتصادي والاجتماعي (٢) ليصل الى حالة شبه مستقلة ان لم نقل مسـتقلة تمامـا عما جاورها من القوى والكيانات المتحكمة في تلك الفترة وهي دولة الخروف الابيض (اق قوينلو) وفيما بعد من الصفويـين والعثمانيين وذلك بتحقيق الانجازات الاتية:

١ – توسيع حدود الامارة حيث ضم الى امارة ئاميدي قلعـة ئاكري وشـوش والتي كانت تحكم من قبل ملوك من نسـل مبارز الدين كاك ونصب ابنه سـليمان بك اميرا على كلتا القلعتين .

٢ – ضم قلعة (نيروه) وما جاورها الى الامارة والتي كانـت يحكمها ابنـاء عمومته وعين ابنــه الامير خان احمد بك اميرا عليها وهذا هوجد البارزانيين الحاليين.

٣ – قـام بتحصين قلعة (ئـەرز) القريبة في بامرنـي وعين ابنه مـيرزا محمد بك اميرا عليها .

٤ – التصـدي لجيـش دولـة(اق قوينلـو) الخـروف الابيـض والتـي كانـت عاصمتها دياربكـر والذي تقدم نحـو ئاميدي لغرض احتلالهـا وفي عهد حاكمها(حسـن الطويل) وكان هذا الجيش بقيادة سـليمان بك بيزن حيث سـبق لهذه الدولة ان قضت على امارة بوتان وبدليسـي. حاصر هذا القائد مدينة ئاميدي ولكن الامير حسـن استطاع بذكائه ومناورته من توحيد جهـوده داخل القلعة (ئاميدي) مع قوات الامارة في قلعة (نيروه) و (ئەرز) و (شوش) ومهاجمة جيش الخروف الابيض وذلك ليلـة ٢١ رمضان ٢٠٩ الهجرية والاطباق عليه واجباره على الهزيمة. هكذا كان اول انتصار لجيـش الامارة على جيش دولة قوية وشرسة(٣) .

كان لهذا الانتصار صدى كبير في جميع انحاء الامـارة وما جاورها واخذت العشـائر تقدم الطاعـة والولاء للامير حسـن ممـا دفع ان يتمنى كل من اسماعيل الصفوي والسلطان سـليم و سـليمان القانونـي العثمانيين من

كسب ود الامير .

جرت اتصالات ومفاوضات طويلة بين الامير حسن والشاه اسماعيل الصفوي وادى ذلك الى ان يقوم الاول بزيارة للشاه في قزوين وذلك سنة ١٥٠٠م ، حيث استقبل بحفاوة بالغة وعقد معاهدة سلام لمدة خمس سنوات مما ساعد الامير حسن ان يؤمن جانبه من اعتداء الدولة الصفوية و الاستمرار في تثبيت اركان امارته وكما يلي:

ا – الاستيلاء على داسن(دهوك حاليا) وبلاد الشيخان ثم تقدم نحو سليفان وسندي وئاكري واضاف جميعها الى امارته .

ب – الاستيلاء على الموصل ونصب ابنه الامير حسين بك واليا عليها. ويقال ان اهالي الموصل طلبوا الانضمام الى امارة ئاميدي لما اشتهر به الامير حسن من شجاعة وعدل .

في تلك الفترة احتدم الصراع بين العثمانيين و الصفويين للاستيلاء على اكبر ما يمكن من الاراضي و المساحات واضافتهما الى امبراطوريتهما(٣) مما دفع العثمانيين اللجوء الى رجال الدين الكراد مثل الشيخ حكيم الدين ادريس البدليسي والذي كان ذا علم واسع في الفقه والشريعة ومحل احترام الامراء ورجالات الحكم في كوردستان ليقوم باقناع هؤلاء واستمالتهم الى جانب السلطان العثماني ومن بينهم الامير حسن الذي كان له مكانة خاصة بين الامراء جميعا(٤) .

استغل الامير حسن هذه المحاولة من قبل السلطان العثماني لينتزع منه معاهدة بعدم الاعتراض باستقالة امارته وليجعله وصيا على جميع امراء كوردستان في ذلك الوقت وهذه الوثيقة او نص المعاهدة مازالت محفوظة في ارشيف الحكومة العثمانية في استانبول مختومة بختم السلطان سليم وختم ادريس البدليسي(٤) والتي تحوي البنود التالية:

١ – اعتراف السلطان سليم القانوني بعائلة ئاميدي الحاكمة ومنح لقب سلطان للامير ومن بعده لاولاده .

٢ – يتولى افراد عائلة الامير حسن امارة ئاميدي والتي تشمل ئاميدي وما جاورها وئاكري وزاخو وداسنيا وشيخان .

٣ – يقوم الامير بادارة امارته حسب السياسة التي يرسمها وبدون تدخل الحكم العثماني ويراجعه جميع امراء الكراد ويكون رئيسا لهم .

٤ – له ميزانية خاصة ويجني الضرائب حسب الشريعة الاسلامية.

٥ – له الحق في تجهيز الجيوش وله ان يطلب ما يشاء من العتاد والاسلحة .

٦ - يعين الامراء و القادة وقاضي القضاة في امارته .

٧ – لا يسمح بتدخل الصفويين في امارته .

٨ _ يساعد الدولة العثمانية في حروبها مع اعدائها و العمل بالمثل من قبل الدولة العثمانية .

٩ - يطلق يد الامير في القضاء على الفتن وتوحيد الامارة .

١٠ – له الحق في تقديم بعض المساعدات المالية و الهدايا الى سلاطين ال عثمان .

١١ –جميع رؤو ساء العشائر في الامارة طاعته وحسب الاية الكريمة (واطيعوا الله و الرسول واولي الامر منكم) .

وهكذا نجد ان هذه المعاهدة بالرغم من

النواحــي الايجابية التي فيهــا، فانها ربطت امارة ئاميدي وامراءها فيما بعد بالسياســة العثمانية . وهذه المعاهدة بالذات جعلت الامير حسن يجهز جيشا من الزيباريين والمزوريين والسليفانيين و الداســنيين ليشارك الجيش العثمانــي في خــوض حــرب ضــروس ضد الصفويــين في معركة(جالديران) المشــهورة وذلــك ســنة ١٥١٤ م والتي انتهــت بانتصار الجيش العثماني وملاحقته للجيش الصفوي الى مدينــة تبريز عاصمــة الصفويين حيث دخلهــا بقيادة ســليم القانونــي مع الجيش ئاميدي بقيادة الامير حســن . هذه المعركة كانت الحد الفاصل بين كوردســتان موحدة وبين كوردستان مقسمة بين الحكم العثماني و الصفوي(٣) .

بعد هذه المعركة توطدت سلطة امارة ئاميدي والتي اصبحت في حالة شبه مستقلة .

بالاضافة الى هذه الانجازات للامير(ســلطان حسن) في مجال علاقاته الخارجية فانه قام باصلاحات وانجز اعمــالا عمرانية وثقافية من بناء قناطر وجســور وفتح طرق وبناء مدارس ومراكز علمية لم يســبق اليها غيره من الامراء لا مجال لذكرها هنا (٢، ٥) .

السلطان حسين ابن السلطان حسن ١٥٣٤ – ١٥٧٨ م

تولى الامارة بعد وفاة والده وبموجب فرمان صادر من قبل الســلطان العثماني . كان من انبل افراد اســرة ميرسفدين واكفأهم وعلى جانب عظيم من الجرأة و البســالة و نشــر لواء العدل و المســاواة بين الرعية مما جعل الشــعب والجيش يكن له الاحــترام و الولاء واضيــف لقب(الولــي) الى القابــه الاخرى ثم انه اتبع سياســة حمايــة امارته وتفادي الصراعــات في الامــارة وخاصــة تلــك التي كانت محتدمة بين الســلطان ســليم و الشاه اسماعيل الصفوي ومن بعده ولده طهماسب الذي عاد يهاجــم الدولة العثمانية في تبريز وكوردســتان وبغداد . وكانت مناطق كثيرة من كوردستان ساحة لمعارك طاحنة لم تنج منها غير امارة ئاميدي بالرغم من اشــتراك جيشــه في اغلب المعارك التي خاضتها الدولة العثمانية ضد الدولة الصفوية (٣) و يمكن ايجازها بمايلي:

١ – الهجوم على امارة اردلان ١٥٣٧ م:

امارة اردلان الكوردية ظهرت في قرن الرابع عشر وكانت مستقلة عما جاورها و لمدة قرن كامل و امتد نفوذها الى شهرزور واقسام من كوردستان الشرقية وفي عهد الشاه اسماعيل الصفــوي تقلص نفوذ هذه الامارة واصبحت تابعــة للصفويين . وفي عهــد الامير مامون الثاني الاردلاني توســعت هــذه الامارة مرة ثانية و استولت على شهرزور واعترفت بها امارات الزاب الصغير و هورامان و شــهربازر وقرداغ اعترافا رسميا . لم يرق هذا السلطان العثماني (ســليمان القانوني) فجرد جيشــا و اوكل قيادته الى الســلطان حســين للهجوم على امارة اردلان و احتدم القتال في شهرزور حيــث انتصر جيــش ئاميــدي . و تراجع مأمــون الثاني الى قلعة زلــم حيث حاصره جيش ئاميدي وبعد مفاوضات استسلم الامير مأمون و ارسل مخفورا الى استانبول(٦، ٧) .

و يقال ان قريــة خورمال تحوي كثيرا من الاثار العمرانية التي بناها الســلطان حسين

و منها السور الذي يحيط بخورمال و كذلك قلعة خورمال وقلعة اخرى في النهاية الشمالية من البلدة على غرار القلاع و الاسوار التي بنيت في ئاميدي (٣) .

٢ – الصراع مع المكريين ١٥٤١م:

عشيرة المكري من العشائر الكوردية المشهورة تسكن في الاراضي الممتدة جنوب بحيرة اورمية في جبال صاوبلاغ، ورئيس هذه العشيرة كان يلقب ب(خان) . وهذه العشائر ذات تأريخ قديم وخاصة بشهرتها بلغتها الزرادشتية و التي احتفظت على قواعدها النحوية مع الاحتفاظ لبعض ماكانت موجودة في لغة(زه ند) القديمة(٦) . اكد وليم جاكسون المتخصص في الدراسة الزرادشتية ان مسقط رأس النبي(زرادشت) هو جنوب بحيرة اورمية والذي يكون الجزء الشمالي لمنطقة مكري . و كان المكريون في حروب دائمة ضد العثمانيين ولذا فان السلطان سليمان القانوني اوعز الى حليفه السلطان حسين لاعداد حملة و الهجوم على هذه العشيرة ومشاركة الهكاريين بقيادة اخ زوجته (زوجة السلطان حسين) ونائلة خاتون وهو زينل بك الامير الهكاري وكذلك البرادوستيين . خاض هذا الجيش معركة ضارية مع المكريين بقيادة الشيخ حيدر ومير نظير ومير خضر و دامت المعركة ثلاثة ايام كانت النتيجة انتصار جيش السلطان حسين ووقوع هؤلاء الامراء في الاسر .

٣ – احتلال تبريز ١٥٤١م:

في تلك السنة زحف الشاه طهماسب الصفوي على كوردستان الاوسط وواصل تقدمه حتى وصل الى ديار بكر حيث دمر كل ما صادفه في الطريق من قرى ومدن . مما جعل السلطان العثماني ليعلن الحرب على الصفويين وخاصة بعد ان زحف الجيش الصفوي مرة ثانية وليصل الى وان وغيرها من المدن العثمانية . وقد شارك السلطان حسين في الحرب الى جانب السلطان العثماني وبمعية الامراء الهكاريين والبرادوستيين وغيرهم . وبعد معارك عنيفة انكسر الجيش الصفوي وتراجع الى مدينة تبريز، حيث دخل الجيش العثماني المدينة واباح القائد العثماني القتل والنهب ولمدة ثلاثة ايام مما جعل السلطان حسين ان يتمرد على القائد التركي بسبب اعماله الوحشية وادى هذا الى اصطدام بين الجيش التركي والآميدي، لم يتم ايقافها الا بعد تدخل من القيادات العليا وعلى اثرها انسحب جيش ئاميدي بقيادة سلطان حسين تاركا ساحة المعركة وراجعا الى امارته في ئاميدي(٨، ٩) .

٤ – انقاذ بغداد من جيش قزلباشي ١٥٥٣م

اجتمع بضعة الاف من القزلباشيين مع ابن الفتح سلطان وحمزة سلطان وعلي سلطان وخضر وابراهيم قولي سنة ١٥٥٣م وقصدوا بغداد لاحتلالها وتوجه اليهم السلطان حسين وقاتلهم مما ادى الى اندحارهم وبذلك انقذ بغداد من احتلال هؤلاء(٨، ١٠، ١١) مما جعل السلطان العثماني سليمان القانوني ان يعامل السلطان حسين معاملة الند وكله احترام وتقدير .

هكذا نجد ان السلطان حسين كان من اقوى حلفاء السلطان العثماني والمدافعين عنه وقد حاول استغلال هذه العلاقة ليوسع امارته ويوطد نفوذه فامتد حكمه الى اربيل بعد

القضاء على الامارة الداسـنية وبقيت تحت حكمه وكان وصيا على امارة بابان وسـوران وهكاري وبوتـان وقد نصـب اخوانه امراء على المدن البهدينانية وكما يلي:

١ – ميرزا احمد بك ---زاخو
٢ – مردان خان بك ---دهوك
٣ – سليمان بك --- ئاكري
٤ – قاسم بك --- شيخان
٥ – خان احمد بك --- نيروه

بعد هذا التوسع في حدود الامارة والتعيينات للابناء والاخوان بدأت مرحلة جديدة وهي الصراعـات بين افراد العائلـة والامراء على السـلطة والنفوذ وبعد وفاة السلطان حسين مباشـرة والتـي اسـتمرت وادت الى ضعف وانحدار الامـارة الى مصيرها المحتوم الا وهو السقوط .

توفي السـلطان حسين سـنة ١٥٧٦ م ودفن في ئاميدي وبني على ضريحه وضريح زوجته نائلة خاتون قبـة هرمية مازالت اثارها في ئاميدي وقد خلف السلطان اربعة من الاولاد وهم:

- قباد بك وهو ابنه من زوجته نائلة خاتون اخت الامير زينل بك الهكاري .
- بايرام بك
- خان اسماعيل بك
- سلطان ابوسعيد

الامير قباد بك الاول ١٥٧٦ – ١٥٧٩م

تـولى الامـير قبـاد بـك الحكـم في ئاميدي(بهدينـان) بعد وفاة والده وحسـب فرمان صـادر عن السـلطان العثماني وكان قبـاد بك اصغر اخوانـه والفضل في توليته الامارة يرجـع الى دور والدته(نائلة خاتون) التي كانـت اخت الامير زينل بـك الهكاري والذي كان له حظوة لدى السلطان العثماني الذي سـاعد في اسـتحصال فرمان بتوليته قباد بك الامارة(٣) .

كان قبـاد بـك رجلا هـادئ الطبـع صوفي المذهب سـليم النية مولعا بالصيد والقنص ميالا للموسـيقى و الغناء . قرب اليه الادباء والشعراء وعلى رأسهم الشاعر الضرير(حمه كور) والـذي تعلق بفنه وشـعره . كل هذا جعله يبتعـد عن الاهتمام بشـؤون الامارة فسـاءت الاحوال وكثرت الشـكاوى مما ادى الى نفور الناس والعشـائر مـن حوله، واخذ النـاس يدعون الى توليـة اخيه الاكبر بايرم بك الامـارة بدلا عنه الذي كان حاكما على ئاكري . وبدأ صـراع حاد بين الاخوين مما ادى الى هـروب بايرام بك الى امارة هكاري و بقي هناك الى ان تدخل اميرها زينل بك(خال قبـاد بك) للوسـاطة بين الاخويـن واصلح بينهما ورجع بايـرام بك الى ئاميدي ليعين حاكما على زاخو في هذه المرة . لكن العشائر لم تسـتكن الى حكـم قباد بـك فقد ثارت عشـائر المزوري بقيادة(مير ملك) ضد قباد بك وبعد معـارك و اصطدامات اضطر قباد بك الهروب الى استانة وتولى عمه سليمان بك امارة ئاميدي فترة غيابه والذي استطاع من اكتساب رضا الوزير الاول العثماني(سيواشي) ولينال فرمانا جديدا بولاية امارة ئاميدي . وفي طريق رجوعه قاومته عشائر المزوريين وكثـيرا من البهدينانيـين في منطقة دهوك وزاخـو وهـذه المـرة بقيادة عمه سـليمان بك واسـتطاعوا من اسـره وقتله مع جميع

رفاقه(٣).

اما الامير سليمان بك فقد كان معتوها ومهوسا لذا لم يدم في حكم الامارة كثيرا حيث تولى حكم الامارة الامير بايرام بك الاخ اكبر للامير قباد بك (١٠) .

الامير بايرام بك ١٥٧٩ – ١٥٨٥م

تولى حكم امارة ئاميدي تحت ضغط العشائر وسكان الامارة . حكم بالعدل والمساواة وزاد حب الناس له حيث بلغت شهرته وطريقة حكمه الوزير العثماني(عثمان باشا) والذي بادر الى الاعتراف بحكمه . لكن الحظ لم يسعفه حيث برز من يقف ضده وهو سيدي خان بن قبادبك الاول والذي كان يتولى ادارة ئاكري عند مقتل والده من قبل عشائر ئاميدي . حيث التجأ الى السلطان مراد خان العثماني وشكى اليه مقتل والده وان عمه بايرام بك لعب دورا كبيرا في ذلك، خلافا للحقيقة كما ذكرنا سابقا مطالبا باعادة حكم الامارة اليه. كما انه اتهم عمه بالميل الى الحكم الصفوي و العطف على الطائفة الشيعية وكان هذا كافيا ليثير غضب السلطان العثماني على بايرام بك العادل والناجح في حكمه . هذا السلوك من سيدي خان زاد من الصراع بين افراد العائلة وساعد على تدخل الجهات الاخرى لتزيد من لهيب هذا الصراع . وبناء على هذه الشكوى بادر السلطان العثماني بارسال احد قواده وهو(فرهاد باشا) للتحقيق ومحاولة ابعد بايرام بك من حكم امارة ئاميدي . حاول القائد اقناع الامير بالتنازل عن الحكم لابن اخيه سيدي خان وذلك اذعانا للامر الهمايوني وتم للقائد ما اراد . وهكذا تنحى بايرام بك عن الحكم وبعد استمرار حكمه ست سنوات . كانت سنوات عدل ومساواة بين الرعية(١١) . لكن سيدي خان لم يكتف بهذا بل قام باعتقال عمه بايرام بك ثم قتله بعد محاكمة صورية سنة ١٥٨٦م .

الامير سيدي خان بك بن قباد بك الاول ١٥٨٦ – ١٦٢٥م

في بداية عهد حكمه ثارت عشائر المزوري للانتقام من مقتل بايرام بك واستطاع سيدي خان بدهائه القضاء على الثورة بعد قتل زعيمها(مير ملك) وزعماء اخرين . جمع زعماء وامراء اخرين حوله و ليستمر في الحكم . وفي عهده قام جيش الامارة بعدة غزوات ومنها غزو بغداد وشهرزور ولكن لم تستطع هذه الغزوات من انجاز انتصارات حاسمة .

حاول سيدي خان ان يعيد الصفاء و العلاقات الطيبة الى عائلة ئاميدي وذلك عندما قام بدعوة ابن عمه يوسف خان بك بن بايرام بك والذي كان يعيش عند خواله حيث كانت والدته من اسرة(ازيزان) من امراء بوكان والتي اخذه الى هناك وعمره خمس سنوات بعد مقتل والده(بايرام بك) وبعد تدخل خاله شرف الدين الذي كان يحكم امارة بوكان .

رجع الامير يوسف خان الى كنف عمه سيدي خان قاتل والده الذي استقبله في زاخو واستصحبه الى ئاميدي وقد ابدى يوسف خان اخلاصا وشجاعة مما جعل ان يعينه

عمه قائدا لجيشه وناظرا لامور العائلة ثم زوجه ابنته(شرين) وطوى الزمن ما بينهم من عداء حتى ان سيدي خان اوصى قبل وفاته بأن يتولى ابن اخيه يوسف خان حكم امارة ئاميدي لما وجد فيه من مقدرة وكفاءة(٣) .

الامير يوسف خان بك بن بايرام بك ١٦٢٥ - ١٦٣٢ م

اهم ماتميز به فترة حكم هذا الامير تعرض الامارة الى هجوم خارجي لعدة مرات ومنها هجوم احمد خان الاردلاني سنة ١٦٢٩م على العشيرة الداسنية والتي استنجدت بامير ئاميدي(يوسف خان بك) حيث ارسل جيشا بقيادة عمه موسى بك والذي لم يصمد امام الجيش الاردلاني اذ تعرض الى هزيمة ادت الى انسحابه وملاحقته من قبل الجيش الاردلاني الى ئاميدي حيث تعرضت المدينة الى حصار من قبل هذا الجيش . ولكن تفشي مرض الطاعون سبب موت الكثيرين وانسحاب الباقين الى ديارهم ومازالت اثار مقبرة الذين دفنوا فيها من هذا الجيش قريبة من ئاميدي وتسمى بمقبرة سورا(مقبرة سوران)(٣) .

الصراع مع دياربكر

نتيجة الصراع العثماني الصفوي فقد بدأت السلطات العثمانية سياسة القبضة الحديدية للسيطرة على الامارات الكوردية وخاصة تلك التي تتمتع ببعض الاستقلال مثل امارة ئاميدي وكان اكثر المتحمسين لهذه السياسة الوزير العثماني(ملك احمد باشا) وكان هذا صهر لسلطان مراد الرابع وقد عين هذا الوزير بعد فتح بغداد واليا على دياربكر حين بدأ بإعداد جيش كبير سنة ١٦٣٢م و زحف على ئاميدي واطلق لجيشه اليد في النهب والسلب وقتل السكان الى ان استولى على قلعة ئاميدي واسر الامير يوسف خان واخذه معه الى دياربكر حيث سجنه هناك الى ان افتداه ابنه مراد خان بمبلغ كبير فيما بعد واطلق سراحه(١١) .

في فترة اسر الامير حكم سعيد خان بك بن سلطان سيدي خان بك بن سلطان قباد بك الاول والذي لم يدم حكمه لمدة طويلة تتجاوز الثمانية اشهر حيث تولى الامارة مراد خان بك الاول.

السلطان مراد خان بك الاول بن يوسف خان بك بن بايرام بك(١٦٣٢ - ١٦٦٢م)

صاهر هذا الامير امراء سوران فكانت زوجته اخت الامير السوراني(ميران بك) لذلك كانت العلاقات بين الامارتين متينة ولم يحدث ما يعكر صفو الامارتين ولكن حدثت احتكاكات ومواجهات مع الهكاريين اللذين بدءوا بغزو مناطق من امارة ئاميدي وذلك بقيادة عماد الدين الهكاري . واستطاع مراد خان من استرداد جميع الاراضي وتوغل في بلاد الهكاريين واستولى على بنيانش وما جاورها(٣) الى ان استطاع الشيخ الياس اليزيدي من التوسط بين السلطان مراد خان والامير عماد الدين الهكاري وابرام اتفاقية بصلح نهائي وانسحاب السلطان مراد خان من اراضي الهكاريين(٢، ١٤) . وفد اهتم السلطان مراد خان بالعلم و العلماء واسس

مدرسة باسمه وهي مدرسة مرادخان في ئاميدي والتي بقيت اثارها الى الخمسينيات من القرن العشرين وكانت تحتوي على مخطوطات كثيرة مختومة بختم الامير مراد خان بك(٥) .

استمر السلطان مرادخان في حكم امارة ئاميدي لمدة قاربت ثلاثين سنة حيث اعتزل الحكم في اواخر عمره ونصب ابن عمه الامير قباد بك الثاني .

السلطان قباد بك الثاني بن سعيد بك ١٦٦٢ - ١٦٧٩م

قبض هذا الامير(السلطان) بيد من حديد ادارة الامارة و ازدهرت في عهده ازدهارا ملحوظا ونال رضا الشعب وعلماء الدين وذلك بما حققه من انجازات نلخصها فيما يلي:

أ- تنظيم الجيش و اعداده لعشرين الف جندي من المشاة و عشرة الاف من الخيالة .

ب – القضاء على حركة المهدي بقيادة شيخ محمد الفاولوني و التي ظهرت في قرية قريبة من ئاكري والذي ادعى بأنه المهدي المنتظر وذلك سنة ١٦٦٥م .

ج – القضاء على عصيان عبدالله بالوكي وذلك في بinformational بروراري بالا سنة ١٦٦٧م(١٠) .

د – صد هجوم الامير خالد بك عماد الدين الهكاري سنة ١٦٧٤ م على امارة ئاميدي وانتصر عليه واجبره على التقهقر والتراجع الى امارته هكاري . استمر الامير قباد بك الثاني في حكم امارة ئاميدي لمد ١٨سنة ولم يكن له خلف من الذكور بل من الاناث والتي تزوجت احداهن ببهرام خان بك وهو ابن اخ الامير قبادبك الثاني (٣) .

الامير بهرام خان بك بن يوسف خان بك بن سعيد بك الاول ١٦٧٩ - ١٦٨٢ م

تولى الامارة وادارة الحكم بجدارة ساهرا على مصلحة الامارة وشعبها مما جعله محبوبا ومحترما من قبل الجميع حتى لدى الباب العالي العثماني وكانت علاقته مع السلطان جيدة ومنحه لقب(امير الامراء). دام حكمه ثلاث سنوات حيث توفي على اثر كبوة حصان في احدى سفراته وقد خاض صراعا مع ابن عمه الامير سعيد بك الثاني بن يوسف خان بك الثاني بن سعيد خان بك الاول وادى هذا الصراع الى ان يتولى هذا الحكم بعد وفاة ابن اخيه المفاجئ (٣).

الامير سعيد بك الثاني ١٦٨٢ - ١٦٩٩م

تميز هذا الامير بقسوته وعنفه مما سبب حدوث ثورات واضطرابات عدة في زمانه ومنها:

١ – عصيان عبدال الزيباري

٢ – عصيان بابك اغا السندي

٣ – انفصال نيروه عن امارة ئاميدي بقيادة امير نيروه حسين بك نتيجة للسلوك السئ والادارة غير الحكيمة لهذا الاميرواضطهاده لكثير من الناس حتى المقربين اليه وبدون رحمة وصلت الى ان يقوم بسمل عيون زوجة ابن اخيه(ميري ميران) بدون ذنب سوى انها كانت تنوي قصد الباب العالي طالبة بكرسي

الامارة لولدها ابراهيــم بك . مما ادت هذه الاعمال الى غزله من الجيش والشعب واخيرا اغتيـل مــن قبـل مجهولين بعـد ان ناهز الخمس والاربعين (١٠) .

الامير عثمـان خان بك ١٦٩٩ – ١٧٠١م

وهو اخ الامير سـعيد خان بـك الثاني وكان حاكمـا على ئاكـري وكان امـيرا ذا اخلاق فاضلـة، متضلـع في علـوم الديـن والفقه واســتطاع بالرغم من قصر حكمه الذي لم يتجاوز السـنة من اعادة الاوضاع في الامارة الى حالتهـا الاعتياديـة بعـد معالجـة كل الاضطرابات والمشـاكل التـي حدثت في زمن اخيه سـعيد بـك . وتنازل هـذا الامير عن الحكـم لاحد ابناء اعمامـه وهو الامير قباد خان بك الثالث (٣) .

الامـير قبـاد باشـا الثالـث ابـن بهـرام بـك ١٧٠١ م واستمرحكمه لسنة واحدة

تـولى هذا الامـير امـارة ئاميـدي في وقت كانـت هنالك انتفاضة لعشـائر المنتفك مما دعا السـلطان العثماني بتوجيه جيش كبير بالاشـتراك مع جيش ئاميدي بقيادة الامير قباد بـك وتم القضـاء على هـذه الثورة . ونظرا لما ابداه هذا الامير وجيشه من بسالة فقد منحه السـلطان العثماني لقب الباشـا واستمر هذا اللقب يمنح امراء ئاميدي فيما بعد (٣) .

الامـير زبـير باشـا الاول بن سـعيد خـان بـك الثاني بن يوسـف خان بـك الثاني بن سـعيد بـك الاول ١٧٠١ – ١٧٠١٤م

تـولى هذه الامـير امارة ئاميـدي في ظروف هادئة ودون اية مشـاكل وذلك بفضل عمه الامـير عثمان ممـا جعله يتفـرغ الى انجاز اعمـال عمرانيـة في انشـاء طرق وسـدود وخانات واعادة ترميم ما خرب من المدارس و المراكـز الدينية كما اعتنى بأحوال العلماء . وهو الذي استدعى العلامة زكي السورجي من ايران ومنحه لقب شـيخ العلماء واسـند اليـه ادارة مدرسـة قوباهان الشـهيرة(٥) . وفي عهده حدث بعـض الاحتكاك بين امارة ئاميدي والهكاريـين اذا تعرضت الامارة الى اعتداء من قبل الهكاريين بقيادة اميره(حجل قجـر) الـذي اقتطع القسـم الشـرقي من برواري بالا و قتل كثير من رؤسـائهم، مما اضطر الامير زبير باشـا بأعداد جيش كبير وسـلم قيادته الى عثمان خان بك واصطدم الجيشـان في معركة شرسـة ادى الى هزيمة الهكاريين وقتل قائدهم(حجل قدر) واسترجع جميع المناطق التي سـبق ان اسـتولى عليها هذا القائد .

اسـتطاع الامير زبير باشـا بتوثيق علاقات امـارة ئاميدي بالامـارات الكوردية الاخرى وخاصة مـع امارة الجزيرة التـي كان على رأسها الامير محمد بك . وهكذا استتب الامن والاسـتقرار جميع مناطق بهدينان وسيطر الامير زبير باشـا سـيطرة تامة على الامارة واهابـه الامراء ورؤسـاء العشـائر واحترمه

السلطان العثماني . توفي بعد ان خلف سبعة اولاد اشهرهم بهرام و سعيد وقباد .

الامير بهرام باشا الكبير(مه زن) ١٧١٤ – ١٧٦٨م

تولى بهرام باشا الكبير بن زبير باشا الاول امارة ئاميدي(بهدينان) بتفويض من والده حيث تنازل له عن الحكم مختارا ومفضلا اباه على بقية اخوانه . وذلك لكونه(اي بهرام باشا) موهوبا وسيما ذكيا ماهرا في استعمال السلاح ومثابرا على دراسة العلوم الدينية واللغوية جريئا وكريما(١٠)وقام بأعمال جليلة على مدى حكمه الذي استمر لمدة ٥٠ سنة تقريبا ومنها:

١ – انشأ قرية بهرام زلا(بريم زلا) جنوب ئاميدي وسجل بأسمه(٣) .

٢ – اعادة ترميم وتوسيع مصيف كاني سينم الذي سبق ان بناه جده السلطان حسين التي سماه باسم ابنته سينم وجعله مصيفا له ولعائلته .

٣ - ساهم في القضاء على عصيان خليل باشا الرشواني والذي استولى على الموصل حيث سلم قائد العصيان نفسه الى بهرام باشا وسلمه هذا الى القائد العثماني يوسف باشا بعد ان اخذ عهدا منه بالابقاء على حياته .

٤ – الصراع مع الهكاريين الذين استولوا على بعض مناطق البرواري وعلى قرية(بي طه نيري) وقتلهم لقائدها كلاتي بك زعيم البروارين . ولم ينج غير ابنه سعيد الذي استنجد ببهرام باشا حيث جهز هذا جيشا واستطاع من دحر الهكاريين وعين سعيد اميرا على بروراي ونقل هذا مركز امارته الى هروري حيث اشتهر بالذكاء والشجاعة ورجاحة العق مما جعل بهرام باش يعتمد عليه كثيرا وقدمه على جميع حكام الامارة (٢، ٣) .

٥ – القضاء على تمرد ابن عمه ئالي خان بك وبتحريض من الوزير العثماني احمد باشا وبمساندة من الامير الباباني خانه باشا حيث قاموا بمحاصرة قلعة ئاميدي ولكن لم يستطيعوا من فتحها مما اضطر قوات المحاصرة الى طلب الصلح من الامير بهرام باشا وتم ذلك على ان يتم تعيين ئالي خان حاكما على دهوك . (٨) .

٦ – العلاقات مع الموصل كانت متوترة وخاصة في زمن والي المدينة الحاج حسين باشا الجليلي وادت الى حدوث معارك ومحاصرة جيش الموصل لقلعة ئاميدي ولكن بدون جدوى مما اضطر الجانبان الى عقد معاهدة صلح وتحسنت العلاقات من جديد(١٠)، وبصورة عامة فقد ناصبت الحكومة العثمانية العداء لبهرام باشا . وكانت تحاول اثارة اقاربه ومرؤوسيه وحكام بعض الولايات وخاصة ولاية الموصل ضده . ولكن بهرام باشا استطاع القضاء على هذه الفتن والعصيان تساعده في ذلك حصانة قلعة ئاميدي التي لم يتمكن الاعداء و الجيوش الغازية من اختراقها والتي كانت تنقذه في كل مرة(٣) وقد ساعده في هذا النجاح وزيره المحنك(عيسى ده لا) المشهور عنه الكثير من الحكايات والقصص في منطقة ئاميدي(١٢) وكذلك المدافع التي كان يملكها ويصنعها له عائلة خاصة في ئاميدي (١٣،) .

توفي بهرام باشا سنة ١٧٦٨ وبعد حكم ٥٤ سنة

وخلـف ١٢ ولدا وكان لهـم دور مهم في حياة الامارة(١١، ١٢) .

الامير اسماعيل باشا الاول ١٧٦٨ – ١٧٨٩م

ابن الاكبر للامير بهرام باشا وقد تميز عهده بالاضطرابـات التي سـببها اخوانـه وابناء اعمامه ومنها:

١ – تمرد بايرام بك سـنة ١٧٦٩ وهو ابن عم اسماعيل باشـا والذي تعاون مع الزيباريين وهاجموا ئاميدي واسـتطاع الامير اسماعيل باشـامن صدهم ودحرهـم وقتل اثنين من رؤسـاء الزيباريـين واعـدام العلامة احمد الزيبـاري وتلميذه(مـلا سـعيد) لكونهمـا المسببين لهذه الفتنة .

ولكـن بايرام بك لم يكتـف بهذا بل لجأ الى والي بغداد(عمر باشـا) وطلب منه المساعدة لاعـادة الكرة بالهجوم علـى ئاميدي وهكذا اوعـز الوالـي الى امـير جولان(محمد بك) لمسـاعدة بايرام بك في هجومه على ئاميدي . وتـم له ما اراد وحاصـروا ئاميدي للمرة الثانيـة ولمدة خمسـة اشـهر وحاولوا حفر طريـق تحت القلعة والدخول اليها احبطت المحاولـة وبالتعاون مع بعـض الخبازين في المدينة الذي كانوا يتعاملون مع بذور الدخن لتحضير خبـز الكرور المعـروف في ئاميدي (١٤) هكذا لم تستطع هذه القوات من دخول المدينة واضطـروا الى طلـب الصلح غير ان اسـماعيل باشـا لم يوافق مما اجبر بايرام بك وجيشه على الانسحاب وفك الحصار عن المدينة(١٠) .

٢ – هجـوم عبد الباقي باشـا الجليلي على ئاميدي سنة ١٧٧٦م.

كان عبـد الباقي واليا على الموصل وقد اسـتنجد به كل مـن طيفور بـك وحاجي بك وهما اخوان اسـماعيل باشا للهجوم على ئاميدي واغتصاب حكم الامارة لهما(١٥).

اعد هذا الوالي جيشا وبقيادته وتوجه نحو ئاميـدي وفي طريقه قـام بتدمير كثير من القرى والمدن ولكنه لم يستطع من السيطرة علـى ئاميـدي . ممـا اضطـر الى التراجع وتـرك المدينـة وخـلال التراجـع هاجمه جيش اسماعيل باشا بقيادة احمد الزيباري وخالـد بك الـبرواري واسـتطاع من تدمير جيـش الموصل عنـد تراجعه وقتـل قائده عبد الباقي الجليلي وبعض اتباعه وانسحب الباقون تاركين كثـيرا من القتلى والجرحى والعتاد(١٥).

٣ – صراع الاخوة:

اسـتمر الصراع بين اسماعيل باشا الاول واخوته طيفور بك ولطفي بك وحاجي خان بك وحسن بك والذين هربوا الى زاخو وقاموا باعداد جيش من الموالين لهم من المسـلمين و الايزيديين وسيطروا على زاخو . فأضطر اسـماعيل باشا بارسـال جيش بقيادة اخيه (علي خان بك) لمحاربتهم وبعد معركة هرب لطفي بك الى منطقة الزيباريين وقبض على الاخـوة الاخرين وارسـلوا الى ئاميدي حيث سـجنوا هنـاك . طارد علي خـان بك فلول الايزيديين وقتل الكثير منهم وهرب الباقون الى منطقـة الزيباريين ثم عين الامير خان بك اميرا على زاخو حيث مات بالسم ودفن في ئاميدي(٤، ١٥) . حاول اسماعيل باشا الصلح مـع اخوانه واولادهم وذلـك بتعيين بعض

منهــم امراء على ئاكري والمــدن التابعة لها. ولكن ما لبثوا ان اعلنوا عصيانهم مرة اخرى فجرد عليهم حملة عسـكرية وحاصرهم في قلعة ئاكري فهربوا مع قسم من اتباعهم الى الموصل. توسط بعض الوجهاء لدى اسماعيل باشا وعفا عنهم واعادهم الى ئاكري(١٥).

وللمرة الثالثة تمرد نفس الاخوة في ئاكري فأرسل اســماعيل باشا جيشــا بقيادة اخيه قباد بك واســتطاع من القبض عليهم وهم كل من طيفور بك ولطفي بك وحاجي خان بــك وذلك بعد قتال وحصــار لقلعة ئاكري و ارسـلوا الى ئاميدي ومن هنــاك الى نيروه ليسجنوا هناك . وعين اخوه قباد بك حاكما علــى ئاكري ولكن لــم يلبث هــذا ان اعلن عصيانه على اخيه اسماعيل باشا وذلك سنة ١٧٩٠م، فأرسل اســماعيل باشا جيشا بقيادة اخيــه اولي بك الذي قــام بمحاصرة ئاكري مما اضطــر قباد بك الى الهــرب ليلا ويلجأ الى الامير الباباني عبدالرحمن باشــا . وعين اسماعيل باشــا ابنه مرادخان الثاني حاكما على ئاكري . هكذا فان الامير اسماعيل باشا خــاض صراعا شرســا وطويلا مــع اخوانه واعدائــه من ولاة الموصل والذين كانوا دائما خلــف تحريــض الاخوة على امــير ئاميدي الذي اســتطاع في كل مرة ان ينتصر عليهم ويحمي امارته من هذه الاعتداءات ويحافظ على وحدتها .

اهتم اسماعيل باشــا بالناحية العمرانية في الامارة فقام بانشــاء وتعمير كثير من القلاع و الطرق والجســور وبناء المدارس والاهتمام بالعلم و العلماء(٢، ٣) .

توفي اسماعيل باشا بعد ان خلف خمسة اولاد وهم:

مراد

موسى

محمد الطيار

عادل

زبير

وابنة واحدة اســمها روشن والتي توفيت في عز شــبابها فبنى لها والدهــا ضريحا بقرب جده الســلطان حســين في ئاميدي ومن ثم دفن هو نفســه بالقرب من ضريحها وتحت هذه القبة والتي مازالت قائمة لحد الان(٣).

الامــير محمــد طيــار باشــا ١٧٨٩ - ١٧٩٩ م

وهو اصغر اولاد الامير اســماعيل باشــا تولى امارة ئاميدي وعمره ست عشر سنة وكانت تجربتــه في الحكــم قليلة وقــد صرف جل وقته للادب والشــعر و الشعراء وكان له باع طويل ووضع لــه كنية خاصة في هذا المجال وهي(فه قي طــيرا)(٢) وقد وجد بعض من قصائــده وبخط يــده في دار احد احفاده في ئاميدي وهو رشيد حاج مصطفى حسن باشا محمد باشا (٣) .

عارضــه في الحكــم اخوه الاكبر مــراد خان حيث تمرد عليه واستولى على قلعة ئاميدي واضطــر الامير محمد طيار باشــا الى الهرب قاصــدا الامــير الباباني عبد الرحمن باشــا والذي قام بوساطة بينه وبين اخيه مرادخان بك ادت الى رجوعــه الى ئاميدي حيث عين حاكما على ئاكري وابن عمه قباد على زاخو وعادل بك على دهوك .

الامــير مــراد باشــا الثانــي ١٧٩٩ – ١٨٠٤م

تــولى الامــارة بعد نــزاع مع اخيــه محمد طيار باشــا وكما ذكرنا انفا باعتباره الاكبر ســنا مستندا الى تأييد من وزير والده(الحاج سليمان) وبعض العشــائر في الامارة كما انه استطاع اقناع والي بغداد(علي باشا) والحصول على فرمان يقضي بعزل محمد طيار باشــا ونصبه اميرا على امارة ئاميدي(١٠، ١١) .

لكن الصراع لم ينته وفي هذه المرة بين مراد باشــا وابن عمه قباد باشا والذي كان حاكما علــى مدينة زاخو والذي اشــتكى هذه المرة الى والــي بغداد(علي باشــا) حيــث قام هذا بارسال كتاب الى الامير البابانى ابراهيم باشا ليقــدم مســاعدة الى قباد باشــا فقام الامير الباباني بارســال قوة من الجيــش الى امارة ئاميدي(بهدينان) والتقى مع جيش ئاميدي في معركــة ادت الى انتصار هــذا الاخير مما جعل ابراهيم باشا الباباني ان يطلب الصلح من مراد باشا فاستجاب هذا له واستضافه في ئاميدي واعترف الامير الباباني بمراد باشــا كأمير لبهدينان واصلــح بينهما وعين قباد حاكما على ئاكري هذه المرة(١٥) .

الامير عادل باشا بن اسماعيل باشا ١٨٠٤ – ١٨٠٧م

اســتطاع هذا الامير من اغتصاب حكم امارة ئاميــدي من اخيه مراد باشــا وذلك بعد ان جمع كثيرا من الموالــين له في منطقة زاخو التــي كان حاكمــا عليها وبتأكيــد من والي الموصل فبادر هذه المرة(نعمان باشا الجليلي) بالحصول على فرمان من السلطان العثماني بخلع مراد باشا كأمير على بهدينان واحلال عادل باشا مكانه واستطاع مراد باشا الثاني الهرب الى ئاكري ومن ثم الى قلعة(قمري) من اعمال ئاميدي حيث استدرج من قبل الامير عادل باشــا الى ئاميدي ثــم قتله . بعد ذلك قام عادل باشــا بســجن اعمامه وهم كل من لطفي بك وحجي خــان بك وابن عمه قباد باشــا . هنا ثار احمد بك وهو اخ قباد باشــا وبالاتفاق مع بعض المجموعات الايزيدية(١١، ١٥) واخذ يغير علــى مناطق وقرى ئاميدي وبدأ بالســلب والنهب (٣) الى ان اســتطاعت فرق من البرواريين والمزوريين بالقضاء على هذا التمرد . ولكن احمد بك بقي مســتمرا في معارضته وتمرده على امير ئاميدي وذلك بلجوئه الى والي بغداد العثماني (علي باشــا) فبادر هذا بتوجيه جيش من بغداد وبتنسيق مع جيش باباني بقيادة عبد الرحمن باشــا وخالد باشا من امراء بابان ومع قوة بقيادة محمد باشا السوراني حاكم كوي سنجق غير ان الخلاف دب بين هذه الجيوش واشــتبكوا في قتال فيما بينهــم في منطقة كركوك(١٥) مما اضطرت هذه الجيوش بترك المهمة التي جــاءوا من اجلهــا وهي القضــاء على الامير عادل باشا ومساعدة عمه احمد بك. وهكذا نجا عادل باشا من هذه الجيوش وكذلك من جميع المحاولات التي قام بها احمد بك والتي فشلت جميعها واضطر هذا الاخير الهرب الى كركوك ومن ثم الى بغداد وبذلك انتهى هذا الصراع بين الاخوة(١٥).

الامــير زبــير باشــا الثانــي (١٨٠٧ – ١٨٢٤م)

تــولى امــارة ئاميدي بعد وفــاة اخيه عادل باشــا وذلك بفرمان من الوزير سليمان باشا والي بغداد(١٥) واســتطاع هذا الامير باعادة الوئام والعلاقــات الطيبة الى العائلة والاخوة والاعمام من افــراد امراء ئاميدي فقد عفا عن اخيه قباد باشــا واخرجه من الســجن وعينــه حاكما على زاخو بشــرط ان يقيم في ئاميدي ويرســل وكيلا عنــه وفي عهده حدثت صراعــات بينه وبــين والي الموصل والهكاريين وكما يلي:

١ – معركــة كشــاف(٣، ١٥) وذلــك عندمــا حدثــت اضطرابات في مدينــة الموصل بين الاهالي بقيــادة عثمان باشــا ووالي المدينة احمد باشا بكر افندي مما اضطر هذا الاخير بالاســتنجاد بأمير ئاميدي زبير باشا وتقابل مع جيــش الموصل في منطقة(كشــاف)قرب الزاب الاعلى حيث انهزم جيش الموصل ووقع عثمان باشا اسيرا بيد قوات ئاميدي(١٥) غير ان احمد باشــا اصيب بطلقة نارية طائشــة ادت الى موتــه وهكذا لم تحقق هذه الموجهة اهدافها(١٠) .

٢ - معركة الوكا يرجع ســبب هذه المعركة الى مناوشــات حدثت بين بعــض من اتباع امــارة ئاميدي من الايزيديين بقيادة عبدي بك الايزيدي وبين اهالي الموصل وقد اشــتد الصــراع عندما تــولى محمود بــك الجليلي ولاية الموصل مما ادى الى مواجهة عســكرية قرب(الوكا) غرب دهوك كانت الغلبة للجيش الموصلي في البداية وبعد ان جمع زبير باشــا شتات جيشه وخاصة بعد ان وصلته الامدادات مــن امير بوتان بــادر الى مهاجمــة الجيش الموصلي مــن جديد واجبــاره على التقهقر الى مدينــة الموصل (٣) وبعد ذلك تحســنت العلاقــات بين ئاميدي و الموصل عندما تولى ولاية هذه المدينة سعدالله الجليلي.

٣ – الصراع مع الهكاريين

نتيجــة للاضطرابات في المناطق القريبة من امــارة هكاري ولغــرض التهدئة وجه الامير زبير باشــا حملــة بقيادة(ويــس بيدوهي) حيث تمكن الســيطرة على كثير من اراضي الهكاريين ووصــل الى الموقع(كليلكا) بالقرب من(جوله ميرك) مركز امارة هكاري وظلت هذه المنطقة تحت حكم امارة ئاميدي الى ان اســتعادها كل من احمد خان الكفري والملك جتو الجيلي (٣) .

وقد زار الرحالة ريج كوردستان سنة ١٨٢٠م وفي زمن الامير زبير باشــا ووصــل الى امارة ئاميــدي واتى على وصــف كامل لحالة هذه الامارة وكما يلي:

(هنالك عوائل حاكمة في كوردســتان ومنها عائلة امــارة ئاميدي(باديــنـان) وعاصمتها قلعــة ئاميدي(العمادية) وهــذه العائلة من اشــرف العوائــل. وامير ئاميــدي محترم الى درجة انه لا يســتطيع احد مــن رعيته ان يســتعمل ادوات او ســلاح مثل ما يستعملها الامير و لشخص الامير من القدسية ما يجعل المحاربين من العشائر يضعون سلاحهم جانبا عندمــا يقترب منهم . وهــو يتمثل بأطوار العباســيين اذ يقضي الليل في عزلة يقدم له الخــدم الطعام ويتركونه حتــى ينتهي منه وبعد ان يتناول كفايته من الطعام يسوي ما تبقــى في الصحون كي لا يلاحظ احد من اي جانب تناول طعامه..الخ (٣).

تــوفي تلاميذ زبير باشــا دون ان يخلف ولدا

مما سبب ان يحتدم الصراع مرة اخرى بين اولاد الامراء على تولية حكم امارة ثاميدي(بهدينان) .

الامير سعيد باشا بن محمد طيار باشا ١٨٢٤ _ ١٨٣٤م

استطاع هذ الامير تولية حكم امارة ثاميدي(بهدينان) بعد استمالة اخيه اسماعيل باشا الثاني و التغلب على اخوانه ميران بك وموسى بك اللذين ينازعانه السلطة . وفي عهد هذا الامير حدثت فتن واضطرابات داخلية وبتحريض من السلطان العثماني وولاته في كل من بغداد و الموصل بمساندة وتحريض من بعض رجال الدين وعلى رأسهم ملا يحيى المزوري ومحمد الخطي(٣) وكما يلي:

١ – عصيان ملا عبد القادر المائي – وكان هذا زعيما للبرواريين اعلن تمرده على الامير سعيد باشا فاضطر هذا الى تجريد حملة تأديبية وقادها بنفسه وبمساعدة مصطفى اغا الزيباري مما ادى الى رضوخ العصاة والقاء السلاح وتقديم الطاعة .

٢ – عصيان طاهر اغا السليفاني – اعلن هذا عصيانا وتمردا في منطقة السليفان وزاخو وامتنع عن دفع الضرائب فارسل سعيدباشا جيشا للقضاء عليه واعادة الهدوء والنظام الى المنطقة فكان له ما اراد(١٥) .

الرحالة فريزر وصف سعيد باشا عند مروره بئاميدي سنة ١٨٢٨م كما يلي:

(انه الرجل العظيم زعيم الاكراد وان الكورد يزعمون بأن عائلة هذا الامير هي الاحق بالحكم من سلطان ال عثمان....) ثم يستمر في وصفه بأنه من اعظم رجال بادينان في الربع الثاني من القرن التاسع عشر واقدر امرائهم وسلاطينهم وارجحهم وزنا وعقلا و ابعدهم غورا واسماهم عبقرية واسبرهم ذكاء.. الخ(٣) .

اما لابارد(٢٧) فقد وصف ئاميدي كما يلي:

اما ئاميدي فكانت ذات اهمية كبيرة في زمن سعيد باشا واهلها ذو طابع اخلاقي رفيع وحكمت قبله عشرات من البشوات اجداد سعيد باش وهم ذو مقام رفيع و يحسب لهم حساب ولهم اعتبار ديني كبير بين الكراد ولنسائهم مقامات رفيعة ويلقبن لاخان.. الخ(٣) .

وهكذا يعتبر الامير سعيد باشا من امراء بهدينان(ئاميدي) المشهورين فهو اول امير اكد على استقلالية بهدينان من الخلافة العثمانية. لذا زادت المؤامرات والفتن والاضطرابات في زمانه واستطاع ان يقضي عليها جميعا .

كان الامير سعيد باشا عالما من علماء عصره كتب له بالبنان . لذا فان محاولات اعدائه داخل الامارة للقضاء عليه باءت بالفشل فلجأوا الى المؤامرات من الخارج و بالتعاون مع بعض الامارات الكوردية وباثارة من السلطان العثماني وولاته في الموصل وبغداد وكان من هؤلاء الدور الذي لعبه العالم الديني ملا يحيى المزوري. وهنا لا بد من وقفة عند هذا الرجل الفقيه ودوره في اضعاف امارة ئاميدي(بهدينان) ومن ثم سقوطها .

ملا يحيى المزوري

ولد يحيى المزوري سنة ١٧٧٢م في قرية بالطه

مــن قرى محافظة دهــوك وكان عمه علي اغا البالطي من رؤســاء تلــك القرية(٣، ١٠) . درس وتعلــم ملا يحيى المزوري في مدارس الموصــل دون ان يدرس في ايــة من مدارس بهدينـــان والتي كانت منها مشــهورة في تلك الفترة .وبعد حصوله علــى الاجازة العلمية اســتدعاه الامــير مرادخان بــك الثاني بن اسماعيل باشا الاول ليكون مدرسا في المدرسة الجديــدة في ئاميدي التي بناها جده ســيد خــان حيث اكرمه وجعلــه في مقام مرموق في ئاميدي وكذلك عامله بقية الامراء الذين قولوا الحكم في امارة بهدينان (٣ ١١) .

ولكن ملا يحيى المزوري تمرد على ســلطة امراء ئاميدي لاسباب كثيرة منها:

١ – كونــه رجــل دين وعالــم فقيه في امور الديــن والشــريعة وايمانــه المطلــق بدور سلاطين العثمان على انهم خلفاء على ارضه ومثلهم مثــل خلفاء العباســيين والامويين وخلفاء الراشــدين لا يجــوز بأية صورة من الصــور الخــروج عن طاعتهــم ومهما كانت الاســباب وخاصة اذا علمنــا ان بعض امراء ئاميــدي كانــت لهم نزعة اســتقلالية عن الســلطان العثماني ومن اشــهرهم السلطان حســن والســلطان حسين و تجســدت هذه النزعة في عهد الامير ســعيد باشــا مما دفع ملا يحيى المــزوري بمعارضة الامير والعمل على خلق مشــاكل له في امارته باثارة بعض اتباعه ضده كما حصل بالنسبة لعصيان ملا عبد القادر المائي وطاهراغا السليفاني .

٢ – مــن المعلوم ان الامير ســعيد باشــا كان متبحــرا في علوم الفقه والشــريعة وكان ذا قابليــة على محاججة رجــال الدين في كثير مــن الاراء والافــكار التــي يطرحونها وكان مــن بينهم ملا يحيــى المزوري وهــذا ادى الى احتــكاك وخلافــات بــين الرجلين ادت الى تداعيات ســلبية اثرت على الاســراع في انهاء وســقوط امارة ئاميدي(بهدينان) كما سنلاحظ في الاسطر القادمة .

٣ – اسباب شخصية دفعت بملا يحيى ليزيد من عدائــه ومحاولاته للايقاع والقضاء على امــير بهدينان وعلى الامــارة وذلك عندما اتخذ الامير ســعيد باشــا موقفا محايدا من الصــراع الذي كان بين علــى اغا بالطي(عم مــلا يحيــى) والايزيديــن بقيــادة عل بك الايزيدي والذي ادى الى معركة بين الجانبين وقتــل فيهــا كل من علي اغــا بالطي وابنه ســنجان (٣) . قصد ملا يحيى الامير سعيد باشــا مطالبا بدم عمه وابنــه ولكن لم يلق اذانا صاغية لا من الامير ســعيد باشا ولا من اخيه الامير اســماعيل باشا والذي كان واليا على ئاكري وذلك بسبب المواقف السابقة من اثارة البرواريين والســليفانيين ضد الامارة . كما ان امــارة بهدينان كانــت على علاقات وطيدة مع الايزيديــين الذين كانوا الجيش الاحتياطي لامارة بهدينان .

٤ – وزادت العلاقــة توتــرا بين الامير وملا يحيى عندما تطــاول ابن الاخير على عائلة الامير سعيد باشا فقام احد خدمه بقتله(٣) . ثار ثائرة ملا يحيى ضد الامارة واندفع بكل ما يســتطيع لينتقم من هؤلاء الامراء وذلك باللجــوء الى اعداء امــارة ئاميدي(بهدينان) الدائمين وكمايلي:

قصــد الموصل وشــكى الى واليهــا طالبا منه المســاعدة ومده بجيش لمحاربة ســعيد باشا

ولكن والي الموصل لم يكن في حالة تساعده على مواجهة الامير البهديناني . لكن ملا يحيى لم يفقد الامل فتوجه الى بغداد ورفع شكواه الى الوزير داود باشا الذي وجد فيه ضالته حيث كان هذا ينتظر مثل هذه الفرصة بفارغ الصبر للقضاء على الامارات الكوردية وضرب بعضها بالبعض الاخر والاستفادة من امثال ملا يحيى و مركزه الديني وتأثير فتاويه . فسلمه رسالة موجهة الى محمد باشا الرواندزي امير سوران طالبا منه مساعدة ملا يحيى فتوجه هذا الى رواندوز وسلم الرسالة الى محمد باشا بواسطة مستشاره الديني الملا محمد الخطي. تردد الامير الرواندوزي القيام بعمل عسكري ضد امارة بهدينان(ئاميدي) دون مبرر مهم وهنا لجأ ملا يحيى بأصدار فتوى بالهجوم على الايزيدين(الكفرة) الذين كان يربطهم علاقات ومعاهدات مع امراء ئاميدي و الذين سيندفعون لنجدة الايزيديين مما سيبرر لمحمد باشا وجيشه بمهاجمة امارة ئاميدي بعقر دارهم .

سر محمد باشا بهذا الفتوى وصادف في نفس الوقت ان لجأ اليه موسى بك وهو اخ الامير سعيد باشا بسبب الخلاف المستديم بين الاخوة على السلطة وهكذا تمت خطة داود باشا في ضرب ثلاث امارات كوردية بعضها بالبعض الاخر .

بدأ محمد باشا باعداد جيش يتراوح تعداده بين ١٥ – ٢٠ الف مقاتل مجهز ب ٢٢٠ مدفعا جهزته بها امارة قاجران الفارسية (١٦) . ووزع هذا الجيش الى ثلاث فرق وكما يلي :

١ – الفرقة الاولى بقيادة اخيه رسول بك واجبه الهجوم على الايزيديين في منطقة شيخان .

٢ – الفرقة الثانية بقيادة موسى بك البهديني لمساعدة الفرقة الاولى ومهاجمة ئاكري لقطع الطريق عن هذه المدينة واميرها اسماعيل باشا وهو اخ الامير سعيد باشا الآميدي لتقديم اية مساعدة للايزيديين .

٣ – الفرقة الثالثة بقيادته(محمد باشا) للهجوم على ئاميدي وبالتعاون مع ملا يحيى المزوري وفي شهر ذي القعدة سنة ٩٠٥ هجرية المصادف ١٨٣٢م . عبرت هذه الجيوش الزاب وتحرك رسول بك وموسى بك على رأس جيوشهم نحو منطقة الايزيديين واعلنوا الجهاد عليهم وحسب فتوى الذي افتاه ملا يحيى المزوري، اما محمد باشا فانتظر ما سيفعله الامير سعيد باشا في ئاميدي . ولما علم الاخير بنوايا الامير الرواندوزي ارسل وعلى جناح السرعة قوة وبقيادة صهره (زوج اخته) يونس اغا الكيلي وامر اخوه اسماعيل بك حاكم ئاكري ليخرج على رأس قوة لمساعدة علي بك الايزيدي ولكن لم تستطع هذه الامدادات من عمل شيء بسبب تأخرها حيث استطاع جيش موسى بك من محاصرة ئاكري والسيطرة عليها وبعد ان استطاع اميرها اسماعيل باشا من الهرب والافلات من الاسر المحقق . اما جيش رسول بك فقد اصطدم مع الايزيديين قرب الزاب وانتصر عليهم واسر اميرهم علي بك وقتل الكثيرين منهم.وارسل علي بك مخفورا الى رواندوز وبتحريض من ملا يحيى تم اعدامه في الوادي المسمى بأسمه(كه لي علي بك) وبقي جثمانه معلقا حتى سقطت

عظامه(١٦) .
امـــا محمد باشـــا فقـــد زحف بجيشـــه نحو الزيبار قاصدا ئاميـــدي ولم يلق مقاومة في طريقه سوى من الزيباريين بقيادة سليمان اغا وعلى اغا ابناء تيمورخان الزيباري وبعد معركة طاحنة انتصر عليهما واستمر الجيش الســوراني في تقدمه نحو ئاميدي وبمساعدة الفتـــاوى التي يفتيها ملا يحيى المزوري ضد اميرئاميدي ســعيد باشا بكونه خارجا عن الدين الاســلامي وعـــن الخلافـــة العثمانية واســـتطاع اقناع العشـــائر البهدينانية والتي اخذت تنظر الى الامير سعيد باشا نظرتها الى خارج عـــن الدين (ملحد) لكونه ودعوته الى استقلال بهدينان عن الخلافة العثمانية(٣).
وصل الجيش الســوراني الى اطراف ئاميدي ولم يستطع من دخول المدينة بل حاصرها واخـــذ يســـتعمل فنونـــا حربيـــا مختلفـــة للاستيلاء على المدينة وقصفها بالمدافع ولكن جميع المحاولات فشلت بفضل قيادة قائدين من قواد الامير سعيد باشا داخل المدينة وهما كل من الامير محمد باشـــا بن الامير ســـعيد باشـــا وعمر اغا اللذين استطاعا بالدفاع عن حصـــون ئاميدي ورفع معنويـــات المدافعين والاهالـــي للصمـــود والبـــذل والعطـــاء . لجأ محمد باشا الى محاولة التخلص من القائدين داخل القلعة فبوجودهما لا يمكن الاستيلاء على ئاميـــدي بأي حال من الاحـــوال. فقام بمراســـلة(عمر اغا) سرا عارضا عليه المال و الجـاه على ان يترك ئاميدي ولكنه لم يفلح. فلجأ الى المؤامرة ومحاولـــة اغتيال القائدين ولكنـــه فشـــل في هذا المجال ايضا . واســـتمر حصاره لمدة طويلة وصلت الى ســـبع سنوات (١٧)واخـــيرا وجد ضالته في عائلة كوكبا في ئاميدي ولا سيما رئيسها خالد حسن والذي كانـــت داره على حافة ســـور ئاميدي واتفق ســـرا مع السورانيين للســماح لبعض قواتهم وبقيادة (احمد رشـــواني)بالصعود الى القلعة عن طريـــق داره ومـــن هناك قـــام صاحب الدار مع افراد عائلته بمساعدة هذه القوات للوصول الى ابواب ئاميدي من الداخل وقتل الحراس وفتحها امام الجيش الســـوراني الذي اندفـــع الى المدينة وعلى حين غفلة من اهلها و المدافعين عنها واســـتطاعوا من قتل القائد عمر اغا، اما القائد محمد باشا والامير سعيد باشـــا واولاده الامير قاســـم والامير حســـين فقد وقعوا في الاســـر(٣) . عامل محمد باشا الروانـــدوزي امـــير ئاميدي معاملـــة الامراء واخذه معه الى المعســـكر الصيفي في(ســـه ر ئاميدي) ونصب الامير موســـى بك(اخ سعيد باشا)اميرا على ئاميدي ومن بعد ذلك توجه الامـــير الرواندوزي الى زاخو واســـتولى عليها بدون مقاومة تذكر .
تـــولى الامـــير موســـى باشـــا حكـــم امـــارة ئاميدي(بهدينان)وذلـــك ســـنة ١٨٣٤م وقـــد وصفه الرحالـــة فريزر(٣)بأنـــه كان صعب المراس والادارة وعديم التقوى وشبه مجنون ومكروه مـــن قبل الرعية، حيـــث انفصلت في عهـــده الامارة الى ولايات مســـتقلة بذاتها يحكمها رؤساء غير معترف بهم .
ثار ســـكان بهدينان وئاميدي في وجه موسى بك عندمـــا كان محمـــد باشـــا الرواندوزي مشـــغولا بحروبـــه خـــارج امـــارة ئاميـــدي واستطاعوا من طرده واعادة سعيد باشا الى حكم الامارة(٢٣).

لم يدع محمد باشا ان يمر هـذا الانتصار للبهدينانيين بسـلام، حيـث رجع وحاصر ئاميدي مـرة ثانيـة وقطع مصـادر المياه عنهـا ونفدت المواد الغذائيـة في المدينة مما اضطر سـعيد باشـا وتحت، ضغـط الاهالي بتسـليم نفسـه الى الامير الرواندوزي وذلك لانقـاذ المدينة من المـوت والدمار . وفتحت الابواب امام الجيش السوراني ليدخل المدينة ويغـدر بأهلها ويعمل فيهم السـيف والقتل والنهب ثم قتل اميرهم سـعيد باشا وولديه حسـين وقاسـم اما الولد الاكبر محمد باشا قائد جيـش ئاميدي فقـد كان مع زوجته (به ريخان) وولديها حسن وخالد في ضيافة صهره امـير بوتان وبذلك نجا الامير محمد باشا وعائلته من هذه المجزرة (٣) .

نصب محمد باشـا الرواندوزي اخاه رسـول بـك اميرا علـى ئاميدي وهنا بدأ السـلطان العثمانـي العمـل بالاجهـاز علـى الامارات الكورديـة وبالـذات امارة سـوران وبعد ان وصلت الامـور بهذه الامـارات الى درجة لم تستطع معها في المقاومة وحماية نفسها بعد ان انهكتها الحروب فيما بينها(٣، ١٦، ٢٣).

الأمير اسماعيل باشا الثاني بن محمد طيار باشـا(١٨٣٤ – ١٩٨٤م)

سـبق الذكر ان الامير اسماعيل باشا استطاع الافلات والهروب من ئاميدي اثناء اسـتيلاء الامـير الرواندوزي على ئاميدي للمرة الاولى ولجأ الى نـيروه واعتصم بقلعتها بعد ان قام باعمارها وصيانتها(٨) .

بعد مقتل اخيه سـعيد باشـا تـرك نيروه قاصدا(شـنو) في ايران واستطاع جمع كثير من المؤيدين حوله من البهدينانيين والاتصال بنور الدين الهكاري الذي كان يخاف من اعتداء الامير الرواندوزي واتفق معه ليساعده على مهاجمة ئاميدي وتحريرها من قوات الامير الروانـدوزي . ولتحقيق ذلـك قصد(جولة ميرك) مع اتباعه وبصورة سـرية وبقي في ضيافـة نورالدين بك لمدة ٤٠ يوما اسـتطاع خلالها الاتصال بالمخلصين في ئاميدي وجهز قـوة مـن ١٥٠ مقاتلا وتوجه نحـو ئاميدي وهاجمهـا ليلا بعد ان وجد ابوابها مفتوحة ودخلوا القلعة واسروا الحراس اما رسول بك الرواندوزي الحاكم الذي عينه محمد باشـا الروانـدوزي في ئاميدي فقد كان غائبا عن المدينة (٣) .

اعلن الامير اسـماعيل باشا نفسه اميرا على امارة بادينان وذلك سنة ١٨٣٤ والقى القبض على ملا يحيى المزوري وتلميذه ملا قاسـم المائي، حيث سـمل عيون هذا الاخير اما ملا يحيـى فقـد كان محظوظا حيث شـفع له الشيخ محمد ئاكري لدى اسماعيل باشا فعفا عنـه بالرغم من اعمالـه ومواقفه العدائية ضد الامارة وضد اخيه سـعد باشا وعلى ان يـترك بهدينان وان لايقوم بأي نشـاط ضد الامارة .

جمع اسماعيل باشـا افرد عائلته وحاشيته و اقرباءه في ئاميـدي ودعا ابن اخيه الامير محمد باشـا و عائلته وهكـذا التأمت عائلة امراء بهدينان من جديد(٣) .

خـلال هذه الفـترة اعد السـلطان العثماني العداء للقضاء على امارة سـوران وذلك بعد تكليف(رشـيد باشـا) والي مدينة سـيواش

بارســال قوة عســكرية للقضاء على محمد باشــا الروانــدوزي واصدر اوامــره الى والي موصل وبغداد بمساعدة هذه القوة عسكريا وماديا .

عندما علم محمد باشــا الرواندوزي بنوايا حكام استانة قام باعداد نفسه وقواته لمواجهة هــذه القوات الغازية، حيث بدأ بتحصين(كه لي علي بك) للحيلولــة دون وصول الجيش العثمانــي الى رواندوز عاصمة الامارة . بادر محمد الخطي وهو احد رجال الدين التابعين للامير الرواندوزي ومستشاره المقرب بفتوى بعــدم شــرعية مقاومــة خليفة المســلمين (العثماني)مما دعا الامــير الرواندوزي ان يتراجع عن خططــه ويرضخ لفتوى خطي وان يذهب فورا وطواعية ويسلم نفسه الى قائد الجيش العثماني(رشيد باشا) وبدون اية شروط وليرسله الى الاستانة بحجة مكافأته بمــا حقق مــن انتصارات علــى اعدائه من الامارات الكوردية . ولكن كان تنتظره نهاية مأســوية حيث اغتيــل في طريق رجوعه وبذلك كانت نهاية له و لامارته التي استغلها الســلطان العثماني كســيف قاتل على رقبة الامارات الكوردية الاخرى (١٦ . ٢٣) .

تفــرغ جيــش رشــيد باشــا لامــارة ئاميدي(بهدينــان) وتقــدم نحــو عاصمتها ئاميدي وحاصرها واصبــح واضحا لاميرها اســماعيل باشــا عدم القدرة علــى مقاومة هــذه الجيوش فــترك القلعــة مصاحبا ابن اخيه الامير محمد باشا وجميع افراد العائلة متجهــين الى زاخو ومنهــا الى الجزيرة لدى اميرها بدرخان بك .

دخــل الجيــش العثماني ئاميــدي وبعد ان بقي عدة ايــام فيها عين(يونس اغا الكيلي) حاكما عليها ورجع رشــيد باشــا مع جيشه الى الموصل.

كان يونــس اغا الكيلــي ذا علاقة جيدة مع امــراء بهدينان، حيث كان احد قادة الجيش الامير سعيد باشا وذا علاقة طيبة مع الامير اسماعيل باشــا مما جعله يتصل بهذا الامير وحثه على الرجوع الى كرسي الامارة .

عاد اسماعيل باشا مع ابن اخيه محمد باشا ابن سعيد باشــا وليتولى امارة ئاميدي(بهدينان) مــن جديد(٣) . وجد اســماعيل باشــا من الصعوبة الاســتمرار في حكم الامارة، اذا لم يبن علاقــات جيدة مع الســلطان العثماني ومــع ولاته في الموصل وبغــداد وخاصة بعد ان زادت الكــوارث و المصائب على الامارة من الداخل والخارج وبعد ان استطاع العثمانيون القضاء على امارات سوران وبابان . وليحقق ذلــك قام بارســال وفد مع رســالة الى والي الموصل(محمود باشــا اينجه بيرقدار) . كان هذا ضابطا عثمانيا مجازفا ومتعصبا ســبق ان عين من قبل والي بغداد علي باشــا واليا على كركوك وشهرزور وما جاورها ومن ثم تم نقلــه الى الموصل(١٨، ١٩) واتبع سياســة القبضــة الحديديــة وتمكــن مــن الامن في الموصل واطرافها بعد ان نفذ قانون الخدمة العســكرية الاجبارية لاول مــرة في الموصل بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل اهالي هذه المدينة . وكان قاسيا لايرحم كل من من يقف في طريقه . ولذا عندما جاءه وفد الامير اسماعيل باشا مع رســالته مطالبا الاعتراف بأمارة ئاميدي وعقد ميثاق بعلاقات طيبة وحسن الجوار وعدم الاعتداء فانه اي اينجه

بيرقدار رفض رسالة الوفد ومطالبه وصمم القضاء على امارة ئاميدي(بهدينان) واميرها اسماعيل باشا مهما كلف الامر.

بدأ اينجه بيرقدار بالتحرش بأمارة بهدينان وحدثت اصطدامات بين جيشه وجيش بهدينان بقيادة الامير محمد باشا في منطقة شيخان حيث انتصر جيش ئاميدي(بهدينان) وتراجع الجيش الموصلي الى الموصل(١٨، ١٩) .

لكن هذ ا لم يكسر من عزيمة والي الموصل بل صمم على الاستمرار في محاربة امارة ئاميدي ومهاجمة عاصمتها ئاميدي . وبعكس الامير اسماعيل باشا الذي تفاءل خيرا معتقدا ربما سيؤدي هذا الانتصار الى تراجع والي الموصل العثماني عن غيه وسيلجأ الى عقد علاقات صداقة مع امارته . ولكن موضوع القضاء على الامارات الكوردية الباقية اصبح مفروغا منه بالنسبة للسلطات العثمانية ولذلك ولتصفية اعدائه من الشرق ولتتفرغ الى محاربة ابراهيم باشا والى مصر الذي كان يهدده من الغرب حيث استطاع من احتلال الشام واقتطاعها من الامبراطورية العثمانية(١٦) .

ولتنفيذ هذه السياسة لجأت السلطات العثمانية الى تعيين ولاة عثمانيين ذوي الفكر المتعصب والمتطرف على المناطق التابعة لها مثل الموصل وكركوك وبغداد ودفعهم الى العمل على تثبيت اركان الحكم العثماني والقضاء على بؤر المقاومة .

اندفع مرة ثانية محمود باشا اينجه بيرقدار باعداد جيش جديد وبتأييد واسناد من السلطان العثماني مباشرة وتجهيز بالعدد والعدة وتدريبه لخوض المعركة الاخيرة للقضاء على امارة بهدينان(ئاميدي).

معركة ئيتوت

تحركت الجيوش من الموصل بقيادة محمد باشا اينجه بيرقدار لمهاجمة بهدينان وبالذات عاصمتها ئاميدي وذلك سنة ١٩٤٢ م . لما علم اسماعيل باشا في ئاميدي بحركة الجيش العثماني لمحاربته قام بالمقابل وبالسرعة الممكنة باعداد جيش من الزيباريين و المزوريين والسليفانيين والايزيديين وبقيادة ابن اخيه الامير محمد باشا بن الامير سعيد باشا لمواجهة الجيش العثماني في(ئيتوت) القرية الواقعة بين مدينة دهوك ومانكيش الحاليتين بأعتبارهما منطقة محصنة ويمكن جعلها خط الدفاع الاول عن الامارة ومن الممكن ايقاف زحف الجيش العثماني .

تم وصف هذه المعركة من قبل الرحالة الفرنسي(اوشي اوليفي)في كتابه سنة ١٨٤٥م وكذلك من قبل شاهد عيان من اهالي ئاميدي اشترك فعلا في هذه المعركة لمؤلف الكتاب.

فيما يلي وصف اوشي اوليفي لحملة ئيتوت في كتابه(٢٠):

[كانت القوة العثمانية بقيادة والي الموصل محمود باشا اينجه بيرقدار للقضاء على امارة بهدينان واخضاعها واحتلال قلعتها وعاصمتها المشهورة(ئاميدي) وتأديب سكانها وكان القائد العثماني المذكور قاسي القلب حاد المزاج وجل غايته هو تتريك المنطقة وتحويلها الى ساحة معركة معدة للهجوم على اعداء الحكم العثماني وكانت قواته

مجهزة بالاسلحة الحديثة من بنادق وستة مدافع مع سرايا الخيالة وقوات العشائر. اما قوات بادينان فكانت قوة مكونة من بعض افراد العشائر وبعض سرايا الخيالة وكانت مسلحة بأسلحة قديمة من بعض البنادق(شه ش خانه) والطبنجه(المسدس) والسيوف والرماح والقوس والنشاب والخناجر وبقيادة احد اقرباء امير ئاميدي وهو الامير محمد باشا] .

اما وصف عبدالله موسى(٢١) و المعروف في ئاميدي بـ(عهبي ميسي)وهو جد صالح مراد من الجيل الحالي فقد كان دائما يفتخر باشتراكه في هذه المعركة في مجالسه عندما كان عمره ١٨ سنة ويصف المعركة (٤) وكما يلي:

[وصل الجيش البهديناني المكون من مقاتلين من اهالي ئاميدي ومن العشائر الزيباريين و البرواريين و المزوريين والسليفانيين والايزيديين وبقيادة الامير محمد باشا ابن اخ الامير سعيد باشا واتخذ مواقع دفاعية قرب قرية ئيتوت الواقعة بين مانكيش ودهوك . قوات الزيباريين و المزوريين وبقيادة سليمان بك اتخذت مواقع على المرتفعات المحيطة بالموقع مع بقاء وحدات الخيالة و المشاة من اهالي ئاميدي وبقية العشائر في الوسط وتحت قيادة الامير محمد باشا مباشرة لمواجهة تقدم الجيش العثماني الذي بدأ بالاقتراب من المواقع الدفاعية لجيش ئاميدي وقصف هذه المواقع بالمدافع ا التي كان يملكها فما كان من القائد البهديني الا ان يأخذ المبادرة وبدأ بالهجوم بالقوات التي كانت تحت امرته من المشاة والخيالة مع بقاء القوات على المرتفعات متمسكة بمواقعها . مما اجبر الجيش العثماني على التراجع واتجه محمد باشا مع قواته نحو الراية العثمانية فلم يجد القائد العثماني (محمود باشا اينجه بيرقدار) وهنا اعتقد البهدينانيون انهم انتصروا في معركتهم مما ادى الى ترك القوات على المرتفعات لمواقعها مما سمحت الفرصة للجيش العثماني للالتفاف على الجيش الباديني ومهاجمته من الخلف مسببا الفوضى في صفوف جيش محمد باشا وتشتيت قواته على المرتفعات فأصبح ظهير القائد البهديني مكشوفة مما ساعد الجيش العثماني للاطباق على القوات التي كانت بقيادة الامير محمد باشا وعزله عن اجنحته وهنا قام القائد البهديني باخر محاولة وذلك بالهجوم على الجيش العثماني محاولا بالانسحاب المنظم لجيشه وبأقل التضحيات واثناء التراجع تعثر جواد القائد محمد باشا فسقط مع جواده في هاوية وتوفي لساعته.

وعندما سمع جيش ئاميدي بوفاة قائده انسحب وبدون نظام بعد ان فقد كثيرا من قادته وذلك في طريقه الى زاويته وسواره توكا وئاميدي . بقيت هذه القوات المتراجعة امام جحافل العثمانيين تدافع عن نفسها بأقل الخسائر واستمرت هذه العملية لمدة جاوزت سبعة ايام حتى وصلت طلائع هذه القوات الى ئاميدي والجيش العثماني يلاحقها وفي طريقه اباح الجيش العثماني دماء سكان القرى والمدن التي كان يمر بها وينهب كل ما تصل اليهم ايديهم . مما اضطر كثير من السكان بالفرار واللجوء الى ئاميدي وقلعتها

الحصينة، حيث قرر اميرها اسماعيل باشا بالدفاع عنها]. وهنا ينتهي حديث (عهبي ميسي).

ولكن ازدحام المدينة باللاجئين وبالجيش المدافع سبب مشاكل كثيرة وخاصة بالنسبة لتوفير الاغذية والمياه وبعد ان طبق الجيش العثماني على المدينة من جميع الجهات وعزلها تماما من محيطها . استمر الحصار لاشهر ووجد الجيش العثماني من صعوبة بل المستحيل اختراق اسوار المدينة بالرغم من القصف المكثف لقلعة المدينة .

كان المدافعون عنها بارعين في الدفاع عن قلعتهم فبالاضافة الى استعمال البنادق والاسلحة الاخرى مثل القوس والنشاب فان المدافعين استعملوا مدافع المنجنيق وقاذفات الاحجار من على اسوار المدينة . كما ان المدافعين استعملوا سلاحا قديما وهو النار الاغريقي وذلك لان اسماعيل باشا كان يفتقر الى المدافع مما اضطره بالرجوع الى ذلك السلاح القديم والذي فوجئ به الجيش العثماني وكان عبارة عن شعلات رهيبة اللهب تنصب على رؤوسهم وهي عبارة عن مزيج من الزيت و الكبريت مثبت بنوع من الصمغ القابل للاستعمال وكان هذا المزيج الناري يعبأ في انابيب من النحاس ذات فتحة على جانبها توقد منها وفي نهايتها قوس يقوم بدفعها الى امام وهذه الانابيب كانت توضع بكميات كبيرة في اسطوانة معدنية وتلقى بواسطة مدافع المنجنيق حيث تقذف باتجاه العدو وتنفجر بقوة الاصطدام مسببة كتلة هائلة من اللهب لتغطي مساحة واسعة في كل الاتجاهات(٣) .

بهذا السلاح استطاع اسماعيل باشا ان يقاوم جيش (اينجه بيرقدار) ولمدة جاوزت اربعة اشهر. احتار القائد العثماني امام صمود المدينة بالرغم مما كانت تواجهه من قلة المواد الغذائية و المياه وطالت الايام دون استطاعة القائد العثماني من حسم المعركة لصالحه فاضطر الدخول في مفاوضات مع اسماعيل باشا وذلك باعطاء العهود والمواثيق والعفو اذا استسلمت المدينة .

لم يكن الموقف داخل المدينة اسهل مما كان على الجيش المحاصر خارج المدينة . وبعد استشارة اسماعيل باشا لقواده واكابر القوم في المدينة وحاشيته ونظرا لاستنفاذ الغذاء والمياه فقد وافق الجميع على الاستسلام للقائد العثماني وفق شروط معينة اهمها:

١ – المحافظة على سلامة اهالي المدينة وسكانها واموالهم وذلك باصدار عفو عام .

٢ – السماح لرجوع جميع عوائل وافراد القراها ومناطق سكانها.

٣ – يتوسط القائد العثماني لدى الباب العالي في استانة للحفاظ على ارواح افراد عائلة الامير اسماعيل باشا وتعيينهم في ولايات الامبراطورية وبمناصب يليق بهم .

وافق القائد العثماني على هذه الشروط التي وردت في الوثيقة وتعهد بتطبيق جميع بنودها .

بعد استسلام المدينة واميرها اسماعيل باشا فقد تمت الموافقة من قبل الباب العالي بسفر اسماعيل باشا وحاشيته الى بغداد على ان يسند اليه منصب يليق بمقامه(٨) اهكذا غادر اسماعيل باشا وحاشيته ئاميدي متوجها الى بغداد .

اما محمود باشا اينجه بيرقدار فقد نكث بعهوده بعد سفر اسماعيل وذلك بمنع الناس من مغادرة ئاميدي وعمل السيف فيهم، حيث قتل الكثيرين وخاصة المقربين من عوائل الامراء ثم قام جنوده بالنهب والسلب والسيطرة على دور وممتلكات هذه العوائل وتوزيعها على المتعاونين مع جيشه. هكذا قضي على كل اثر لهؤلاء الامراء واصبح كلمة امير او باشا جريمة يعاقب عليها . اما من بقي حيا من هؤلاء الامراء ترك الديار وهاجر الى ارض الشتات .

رجع القائد العثماني اينجه بيرقدار الى الموصل وليستمر في صب جام غضبه على اهلها بعد ان كان قد وجه فوهات ٢٠ مدفعا الى المدينة وقصفها ولمدة نهار كامل الى ان قضي نهائيا على روح التمرد والعصيان وبقي واليا على الموصل الى ان مات فيها سنة ١٨٤٣م ودفن في ساحة النبي شيت في الموصل(١٨، ١٩)

استقبل اسماعيل باشا في بغداد من قبل وجهائها وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن السهروردي(٩، ١٩)). وعين فيما بعد متصرفا في البصرة ثم كربلاء وفي عهد الوزير نامق باشا عين واليا على شهرزور والتي كانت تتبعها السليمانية وكركوك .

وقد ساهم اسماعيل باشا بأمواله في ترميم وبناء كثير من المشاريع في بغداد وخاصة مشاريع توفير مياه الشرب في المناطق الفقيرة وساهم في ترميم الحضرة السهروردية . وشيد قصرا منيفا جعله منبرا يؤمه العلماء والادباء والشعراء ورجال الدين .

خلال اقامته استطاع اسماعيل باشا ان يتوسط لدى الباب العالي للموافقة على رجوع عائلة ابن اخيه وقائد جيشه الامير محمد باشا بن سعيد باشا الى ئاميدي وهم كل من زوجته به ريخان ولديه خالد وحسن وليكونوا الورثة الوحيدين لهؤلاء الامراء الذين تولوا امارة بهدينان خلال عمرها المديد والذي جاوز خمسة قرون .

توفي اسماعيل باشا في بغداد سنة ١٨٧٢م وشيع جثمانه باحتفال مهيب مشى فيه الولاة والقادة و العلماء واشراف المدينة وقد رثاه الكثير من الشعراء وعلى رأسهم احمد عزت باشا العمري ومحمد فيضي الزهاوي (٣، ٨) .

اما ملا يحيى المزوري فقد انتهى به المقام في بغداد وبعد ان طرد من ئاميدي وامارتها من قبل السلطان اسماعيل باشا وكما سبق ذكره. وكان يحضر مجالس اسماعيل باشا في داره. وقد سأله هذا مرة:

- كنت قد اقسمت يمينا عندما غادرت ئاميدي بأنك لا تشي بنا ولاتتكلم شيئا يضرنا فأجابه ملا يحيى:

- وهو كذلك فاني عملت على تنحيتكم عن كرسي لآخلصكم من الظلم و العدوان وانقذكم من نار جهنم .

- يدل هذا الجواب على اصرار ملا يحيى المزوري بصحة كل ما قام به من اعمال ضد امارة بهدينان واعتقاده الراسخ بأن بقاء واستمرارية هذه الامارة كان خروجا عن طاعة الله والخلافة العثمانية وخاصة عندما يطلب بعض الامراء باستقلالية الامارة .

- هكذا كانت نهاية امارة ئاميدي (بهدينان) حيث كانت معركة ئيتوت لم تكن فقط اخر

معركة من اجل اســتقلالها واستقلال بقية الامــارات الكوردية ولكــن نهاية لجميع هذه الامارات .

فالذين لا يستطيعون تذكر اخطاء الماضي محكوم عليهم بتكرارها

الفيلسوف الاسباني
جورج سنتيانا

المصادر

١ – يوسف، عبد الرقيب .١٩٦٩ . امراء هكاري وبهدينان ليسوا من العباسيين .مجلة دهوك .١٩ دهوك . كوردستان

٢ – – البدليســي، شــرفخان ١٩٣٠ . شرفنامه . تحقيق محمد عوني . القاهرة.

٣ – الباشــا، محمد ناجي، عمادي طارق الباشا . ٢٠٠٧. ئاميدي (العمادية) لمحات تأريخيــة طواها الزمن . اربيل. العراق .

٤ – نديم محمود ومصطفى ايدن . ١٩٧٥ ارشــيف الدولة العثمانية . استانبول . نقلا عن محمد ناجي الباشا .

٥ – المائــي انــور ١٩٥٦ . اكراد بهدينـــان . الموصل . العراق

٦ – زكي امين. ١٩٣١ خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان ج١ . تحقيق محمد علي عوني ١٩٤٥. القاهرة .

٧ – لونكريــك س .ها . ١٩٦٢ . . اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر الخياط . بغداد . العراق .

٨ – العزاوي عباس . العمادية في مختلف العصور . تحقيق حمدي مجيد السلفي وعبدالكريم فندي .اربيل. العراق .

٩– العزاوي عباس . العراق بين احتلالين .

١٠ – العمري ياسين . غاية المرام .

١١ – العمري ياسن . غرائب الاثر .

١٢ – – ئاميدي عبدالله .٢٠٠١ . عيســى ده لا ئو جه ند سه رهاتي؟ فه زين . ٢٤ . دهوك . كوردستان .

١٣ – – ميريا كاليني .١٩٨١ . التراث الكوردي في مؤلفات الايطاليين . ترجمة يوســف حبي .مجلة المجمع العلمي . ج٨ .بغداد . العراق .

١٤ – عمــادي، طــارق الباشــا . ٢٠١١ . الكروســون الفيني(النمساوي) و الكروري ئاميدي(البهديناني . جريدة الاتحاد العدد ٢٦٣٥ . ٣\ ٩ \٢٠١١ . بغداد . العراق).

١٥– شــاولي كاوه فريق . ٢٠٠٠ . امارة بهدينان ١٧٠٠ – ١٨٤٢ . كولان ٤٧ .اربيل . كوردستان . العراق .

١٦–– الداود عوني . ٢٠٠٣ . امارة ســوران في عهد الباشا الكبير كور باشا . موقع: كي ار جي . اربيل .كوردستان. العراق.

١٧ – براور بريك ١٨٧٨. يهود كوردستان. ترجمة: شاخو كركوكي، عبد الرزاق بوتاني . ٢٠٠٢ .اربيل . العراق .

١٨ – علــي . علاقة الموصل بالولايات العراقية . الموصل . العراق .

١٩ – الجلبي . مخطوطات الموصل وخزائن الكتب.

٢٠ – اوشية اوليفي ١٩٨٨. رحلة الى العراق، ترجمة يوسف حبي .بغداد العراق .

٢١ – عبــدالله موســى(عه بي ميســي) . ١٩٤٢ . وصف لمعركة ئيتوت كشاهد عيان لولده مراد. اتصال مباشر .

٢٢ – الدملوجــي، صديق ١٩٥٢. امارة بهدينان الكردية او امارة العماديــة . تقديم ومراجعة عبد الفتاح بوتاني .اربيل ١٩٩٩م.

٢٣ – عمادي، طارق الباشا . ٢٠١٠ . قراءة في قيام الامارات الكوردية وسقوطها . جريدة الاتحاد . ١٥\ ١١ \ ٢٠١٠ .بغداد . العراق.

الأهمية السياسية والتاريخية لشرفنامه

بقلم: فاضل كريم أحمد
ترجمة: دانا أحمد مصطفى

أول ظهــور لتلك الرائعــة يعود الى حوالي أربعمئــة عــام. ويعــد رائعــة البتليســي الإبداعية. وهو مــن حيث الفن يعد ملمحا مضيئا في التدوين، وما من كتاب حتى أيامنا هذه قــادر على مضاهاته والنيل من روعته واهميتــه القصــوى. ولعلها خطــوة كبيرة ، وعمل يســتحق الثنــاء، أن يحتفل المثقفون الكرد منذ عام ١٩٧٧ وبشــكل سنوي بذكرى تأليــف الجزء الأول من هــذا الكتاب ، الذي يصادف شهر آب. وحتى لا يغيب عن الأذهان، فقد أنهى المؤلف الجزء الثاني بعد مرور سنة علــى الانتهاء مــن الجــزء الأول. ومنذ ذلك الحــين لم تفقد هــذه الرائعة أهميتها، بل ومع كل دراســة جديدة تظهر حولها، فإن منزلتها ترتفع وقيمتها تتأكد.

وكان قبــل شــرفنامه قــد ظهرت كتب ومؤلفات تناول فيها أصحابها تاريخ الشــعب الكــردي . غــير أن القمــة التي وصــل إليها شرفنامه ، لم يستطع أي كتاب آخر الوصول إليها أو حتى إلى ما دونها بقليل يعادل. وهنا نســأل عن الســبب الذي جعل هــذا الكتاب يحتفظ بأهميته منذ القرن السادس عشر ، دون ان تهبط حتى ولو جزءا من الدرجة. وتوجد بعض من مخطوطات شــرفنامه في

متاحف روسيا وبريطانيا والنمسا وتركيا وإيران ، وفي مكتباتها كذلك . وهذا دليل على أهمية الكتاب الذي يبذل الرحالة والمستشرقون باستمرار جهودا كبيرة من أجل الحصول على واحدة من مخطوطاته لقراءتها. كما أن ترجمته إلى التركية والروسية والعربية والفرنسية وغيرها من اللغات، تعد دليلا آخر على هذه الأهمية، والتي تتبلور في جانبها المهم بسبب ما يقدمه الكتاب حول تاريخ الشعب الكردي والشعوب الشرقية الأخرى . إن أي مؤلف يريد الكتابة عن تاريخ الكرد، لا يمكنه أن يكمل ذلك بنجاح بدون التوقف أمام شرفنامه .

وعلى ما يبدو فقد كان شرفخان يدرك أهمية المشروع الذي سينشغل به، وتحديدا في جانبه الذي يرتبط بالمستقبل. لذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا انه بذل جهدا لا يستطيع القيام به عشرة أشخاص على أقل تقدير. وكيف لا يبذل مثل هذا الجهد، وقد أراد لكتابه أن يملأ فراغا كبيرا حول تاريخ الكرد ، لم تملأه الكتب التي سبقته ولا التي ستأتي بعده. لقد أراد لشرفنامه ان يتخلص من كل عيوب التأليف ، ومن مختلف أسباب الضعف.

لقد أولى شرفخان أحاديث الشيوخ كبار السن اهتماما كبيرا، فاعتبرها البوابات التي يمكن الدخول منها لكشف النقاب عن أسرار التاريخ ، وعما يمكن أن يختفي في الدهاليز المظلمة. وبالتالي فقد نقل كل ما سمعه من أفواههم ودوّنه في الكتاب. دون أن يغيب عن أذهاننا أنه نفسه ، يعد بابا إلى فهم التاريخ الكردي في واحدة من مراحله الحساسة، بحكم كونه أحد الأمراء الذين تسلموا زمام السلطة :(في ذلك الحين كنت قد هيأت نفسي لأطرح شيئا ذا قيمة، ورفيع المستوى، لم تصل إلى مثله قبلي أقلام المؤرخين الذين سبقوني. لقد أردت أن أضع أمام الأنظار طريقتي في الفهم التي لا أعتقد أن غيري يمتلك مثلها).

لم يكن شرفخان مجرد أمير يمتلك زمام السلطة، بل كان مثقفا فطنا ذا حس مرهف خيالي ومفكرا يتمتع بنفوذ فكري وعقلي. ولقد تجاوزت آفاق فكره حدود السلطة والحاكمية. ومن هنا فقد استطاع بحذاقته الكشف عن العلاقات الخفية التي كانت تربط الأحداث آنذاك ببعضها. وظل في تقييمه لها، وربطها ببعضها، وفي إصداره الأحكام عليها، موضوعيا صادقا، لم يطلق العنان في أي من اللحظات لعاطفته ولخياله على حساب الحقيقة التي كانت ضالته دوما. مثال ذلك أنه في الوقت الذي كانت فيه الحرب الدينية والمذهبية في أقصى حالات احتدامها، لم يتنازل عن الموضوعية، على الرغم من شيوع أساليب السباب والشتائم بين الكتاب في ذلك الوقت. ومن ذلك أيضا، أنه وعلى رغم يقينه بأنه سيقدم الكتاب هدية إلى السلطان العثماني محمد الثالث، لم يتوان عن إبداء الاحترام للشاه اسماعيل الصفوي عندما جاء على ذكره. لقد فعل ذلك وهو يعرف أن الاثنين أحدهما عدو للآخر، وأنهما يتمنيان أن يوغلا في شرب دم بعضهما. ومما يجب عدم التغاضي عنه، أن شرفخان بقي حريصا على إبراز

هويته الكردية، وكذلك انتقاده اللاذع لمسلك العثمانيين الشائنة.

ان المؤرخين الذين سبقوا البتليسي في التأليف والتدوين كابن الازرق ومأمون بيك، انصبت جهودهم على شؤون امارة واحدة او منطقة واحدة وليس تاريخ الكرد بعمومه. فالبتليسي في شرفنامه حرص على التطرق الى ذكر أسماء كل الدول والامارات الكردية واحدة تلو اخرى، ولم يتجاهل ايا منها لأي سبب كان. كما تطرق البتليسي الى ذكر امارته لكن في الصفحات الاخيرة من كتابه. لقد كان شرفخان صادقا مع نفسه ومع التاريخ ، وسجل مئات الأحداث التي صنعها آباؤه وأجداده، ولم يحاول التغاضي عن تلك التي فيها علامات شائنة بكيفية، ومن الممكن القول بعد قراءة الكتاب أن أي سياسي شرقي معاصر لا يمكن أن يجرؤ على مجاراتها.

قام شرفخان بتدوين تواريخ جميع الدول والامارت الكردية كما أسلفنا. فأظهر العلاقات التي كانت تربطها ببعضها البعض كما بين الخلافات بينها.. ولقد حاول كما يمكن أن نلاحظ، الاجابة عن السؤال الهام: من هو الكردي، وما هي تلك الشروط التي يجب توفرها في إنسان ما لكي يحسب كرديا؟

لقد قسم البتليسي الكرد من حيث البنيان الثقافي والانثروبولوجي الى اقسام اربعة، والكوران إلى اثنين. الدولة الصفوية هي الأخرى كانت قد اعتبرت الكوران من الكرد، وهو ما نفهمه من القول التالي (وفي هذه الأثناء وصلني الأمر المبارك، واستقبلني في شيروان ، وشرّفني بمنحي منصب أمير أمراء الكراد وقرر أن أكون في ركابه الميمون على الدوام . ومتى كانت لأمراء كردستان ولورستان وكوران وسائر الطوائف الكردية وحكامها مهمة لدى الأعتاب الشاهنشاهية عليهم أن يراجعوا الفقير في أمورهم على يد الفقير)(ص٥٨٠).

يتضح لنا من الكلمات السابقة أن شرفخان كان قد منح مرتبة أمير الامراء، وأن الحكام الصفويين اعتبروا اللور وكوران من الكرد، وأنهم حاولوا أيضا إقامة شكل من الإدارة الموحدة لكردستان جميعها. وإذ أشير إلى هذا التوجه ، فذلك لأن أشخاصا مثل أوسكارمان ومكنزي وكرد آخرين يشككون في جنسية اللور وكوران وفيما إذا كانوا من الكرد. بل إن أولئك الذين سبقت الإشارة إليهم يرون بأن شرفخان مؤرخ لا خبرة له في المجال اللغوي . ولا أعرف كيف يفسرون موقف الدولة الإيرانية في ذلك العهد. وسوى ذلك فإنه مما يظهر في ثنايا شرفنامه، أنه كان لكل من اللور وكوران موقف سياسي لا يختلف عن مواقف الكرد الآخرين.

إن صورة الشعب الكردي التي يقدمها شرفنامه ، أوجدت لها مكانة في قلوب أمراء الكرد ورؤسائهم، وفي قلوب المثقفين كذلك. وكان الكثيرون من هؤلاء يحتفظون بشرفنامه، ويعتزون بوجوده في مكتباتهم الخاصة. وكان عدد من الأمراء يشجعون الكتاب والمؤرخين على إكمال ما يبدءون بكتابته، ويفتحون لهم أبواب قصورهم ويغدقون عليهم العطايا والمنح . ومثل ذلك أيضا ، فإن القوميين الكرد في القرن

العشرين اعتمدوا على شرفنامه في بحوثهم عن الهوية القومية الكردية ، واعتبروا ذلك جزءا من السعي لإحياء التراث القومي لأمتهم. ومن أجل هذه الغاية ، أعاد محمد علي عوني وفرج الله زكي الكردي طبع شرفنامه ، ولجأ محمد أمين زكي بيك في مشروعه لكتابة تاريخ الشعب الكردي إلى هذا الكتاب مباشرة.. إلخ.

من هو شرفخان البتليسي؟

ولد الأمير شرفخان البتليسي في قرية (كريهورد) القريبة من مدينة (قم). وعندما لوحق والده شمس الدين خان(١٤٠٩ -١٤٧٦) من قبل العثمانيين، اضطر للجوء إلى الصفويين الذين جعلوا إيران ملاذا يؤوي الأكراد الهاربون من بطش العثمانيين.

في ذلك العهد كانت الحروب بين الدولتين الكبيرتين:العثمانية والصفوية نادرا ما تتوقف. وكان الأمراء الكرد الذين تتوزع أراضيهم بين الدولتين ، يتعرضون إلى نيران تلك الحروب والاصطدامات على الرغم من أنه لا مصلحة لهم في كل ما كان يدور. لقد حاول أولئك الأمراء الوقوف على الحياد ، ولم يكن بودهم الاشتراك في تلك الحروب، غير أن السياسة التي كان يسير عليها الطرفان المتحاربان ، لم تكن تسمح بحصول مثل تلك المواقف، ولا بالوقوف على الحياد. وهكذا وكما يروي لنا شرفخان، كان على الأمراء الكرد أن يختار الواحد منهم موقعا ، إما ان يقوده إلى الهلاك هو وأهل إمارته، وإما أن يحافظ من خلاله على رعيته وإمارته.

استقبل الأمير شمس الدين من قبل الشاه طهماسب الأول ، ومنحه رتبة (خان). ولدوافع سياسية تزوج ابنة أمير خان موصلو ، الذي كان واحدا من كبار الصفويين وآذريا وشيعيا أيضا. كان هدف الأمير شمس الدين من هذا الزواج الحصول على بعض المكاسب، وإيجاد سند وظهير في مقدوره اللجوء إليه ، والحصول على عونه ومؤازرته لاسترداد إمارته من العثمانيين . ذلك الهدف - المصاهرة والزواج من شيعية - كان الصفويون هم الآخرون يسعون إليه، لربط الأمراء الكرد بهم، لأهداف من بينها السيطرة على مناطقهم وإضافتها إلى الدولة الصفوية.

كان الشاه طهماسب ينظر إلى شرفخان كأحد أبناء الأمراء العظام. لذا فقد جعله يتلقى تربيته بين أبناء الأمراء والملوك منذ أن كان في التاسعة من عمره في البلاط الشاهنشاهي، على الرغم من أنه لم يكن يسمح لأبناء الأمراء بالاختلاط بالمجتمع ، وهذا مما يشير إليه شرفخان (وكانوا يمنعون على الدوام من الاختلاط بالناس الأشرار الفاسقين ذوي السلوك المنحرف) (ص٥٧٦).

هناك تم تعليم شرفخان العلوم الدينية، وتدريبه على فنون الفروسية والرماية وألعاب الكرة الخشبية والصولجان وفنون استخدام السلاح، كما تعلم فن الرسم... إلخ.

بقي شرفخان في البلاط الشاهنشاهي ثلاث سنوات، واختارته عشيرته/الروزكي، بعد موافقة طهماسب على ذلك، أميرا عليها وهو

لايزال في الثانية عشرة من عمره. ومنذ ذلك التاريخ أوكلت إليه المهام الادارية والعسكرية، وتزوج مقتديا بوالده ابنة خاله محمد بيك الذي كان حاكما في همــدان. وعندما اعتلى الشــاه اسماعيل الثاني العرش في قزوين عام ١٥٧٦ ، منح شــرفخان رتبــة أمير الأمراء، وأصبح مســؤولا في بلاطه عن شؤون الكرد كما ذكرنا سابقا.

بعد وفاة الشــاه طهماســب بــدأ الصراع وحبك الدسائس والمؤامرات بين أفراد عائلة الشــاه وأتباعه. ونتيجة للنجاحات التي كان شــرفخان قــد أحرزها، والحظــوة التي كان قــد نالها، فقد بات في موضع الحســد . وبدأ الجواسيس والحاسدون يوجهون إليه تهمة التآمر على الشــاه الجديــد بهدف إطاحته والقضــاء عليــه. وفي الثالثــة والأربعين من عمره ، تخلى شرفخان عن السلطة.

في أعقاب تخليه عن الســلطة، شمّــر عن ســاعديه، وبدأ بتأليف رائعتــه . ولا يعرف يوم ـ وســنة وفاته، وإن كان أحد احفاده قد أفاد بأنه توفي في ١٥٨٧ م.

نظر شــرفخان إلى الأحداث نظرة تمتاز على العموم بالموضوعية. وقد وضع العاطفة والرغبــات الذاتيــة جانبا. كان يتوســع في الكتابة، ويذهب إلى حيث تسعفه معلوماته. وحتــى فانــه إن كانت المعلومات شــحيحة، مــا كان ليفوت الفرصة لذكر اســم الامارة، والقليــل الذي في حوزته. بيد انه يجب أن لا يفهم من هذا، بأنه كان يريد ملء الصفحات بكلمات فيها تلفيق أو تزويق.

لــم يكتب شــرفخان بالكردية التي هي لغة شــعبه، ولا بالتركية التي كانــت لغة بلاط العثمانيــين، بل ســار علــى درب المؤرخين الذين ســبقوه وكتبوا نتاجاتهم بالفارسية. وهنــا نرى مدى اســتعداده لتحمل الصعاب، ذلك أن الفارسية لم تكن سهلة حتى بالنسبة إلى الفرس أنفسهم، باســتثناء الأدباء منهم. وقد صاغ شــرفخان لغة الكتــاب وعباراته باعتبــاره حاكما ليس له طمــع بالمكافئات والعطايــا، مثلما كان يفعــل مؤرخو البلاط الذيــن يملؤون كتبهــم بالمديــح والعبارات المشــروخة التي تلقى القبول من الســلطات الحاكمــة والمتنفذين من رجالهــا. إنه كتاب يخلو من التوسل والتكسب على حد سواء.

كــرس شــرفخان ربع الجــزء الأول من شرفنامه للحديث عن بتليس ، وعن تاريخ عشــيرة الروزكي. وفي ذلك لــم يعتمد على معلوماته الخاصة وحدهــا، ولا على ما كان قد رآه وخــبره واطلع عليه شــخصيا على الرغــم من أهمية ذلك كله. وإنما اســتخدم مصــادر كثيرة أفضت تاريخ إيــران والدولة العثمانية بشــكل عام. وقد ذكر أسماء أكثر مــن اثنين وثلاثــين مصدرا اســتفاد منها. صحيــح أن تلــك الكتب وضعهــا مؤرخون عثمانيــون وإيرانيون توقفــوا أمام أحداث وقعــت في كردســتان ، وأن بعضهــا قد جاء على وفق أهواء المحتل، وأنها فيها الكثير من الهجاء والســباب والشــتائم على الكرد، إلا أن شــرفخان وهو يستخدمها ، كان يسعى لإبراز الحقيقة ، وإعــادة كتابة تاريخ الكرد كما هــو وليس كما يــورده المؤرخــون الذين لا يناصرون الحقيقــة. هنا ينبغي أن لا يغيب عــن الأذهان أن الكتب التي توقف شــرفخان أمامها، لم يكن من اليســير الوصول إليها من

قبل القارئ . وهذا جانب من الصعوبات التي واجهته وتحملها بجلد وأناة.

ما الذي دفع شرفخان لتأليف رائعته؟

ما الذي دفع شرفخان إلى سلوك طريق لم يسبقه أحد إليه؟ لاشك في أنه كان عالما بما يفعل، وأنه إنما يعبر طريقا وعرا، يفتقر السائر فيه إلى مقومات حقيقية لكي ينجح. وقد حرص إلى جانب ذلك على اختيار أفضل السبل لنشر البذور التي سيزرعها . كان شرفخان يعرف نفسه جيدا، ويعرف أنه ليس من مؤرخي البلاط الذين يحرصون على تدوين أحداث عهود السلاطين والملوك، الذين يسعون غالبا إلى التدخل بما يجعل التاريخ وصناعته حكرا عليهم. بمعنى آخر فإنه لم يكن من أولئك الذين تنحصر توجهاتهم في إرضاء الملوك والسلاطين.

لم يكن شرفخان إذن مؤرخا مهنيا يعمل من أجل الحصول على هبات بصرف النظر عن أشكالها ومقاديرها . وكما يبدو فقد كان ذكر اسم الكرد حتى في ذلك الوقت، يعني المصاعب والمشاكل واحتمال قطع الأرزاق والأعناق معا. لذا فإن تأليف كتاب حول تاريخ الكرد كان يعد مغامرة كبيرة لا يقدر على خوضها إلا من كان صاحب موقف خاص لا نظير له. وكما يظهر من شرفنامه، فقد كانت سياسات تذويب الكرد وطمس هويتهم تمارس في تلك العهود من قبل المحتلين الغاصبين.

إن سياسة التذويب تلك، إنما كانت تعني مطالبة شعبنا بالتخلي عن هويته القومية. لذا فقد جاء كتاب شرفخان على عكس ما كان المحتلون يتمنونه ، وعلى النقيض تماما من أهوائهم . لقد كان هدفه في إبراز الوجود الكردي المؤثر واضحا، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف تجشم عناء وتعبا شديدين. ومن المحتمل أن يكون شرفخان المؤرخ الوحيد المؤهل ماديا لممارسة علمه وعمله معا . ومن الممكن أن يكون قد أنفق اموالا طائلة من أجل جمع تلك المعلومات التي تتناول تأريخ الكرد. إن نسج الجمل والمفردات البديعة التي يبدو ضليعا في نسجها، وكل هذه الورود والرياض التي استخدمها في لغة التعبير، إنما هي حصيلة تربية وصقل كبيرين ، وهي تعبر بدون شك عن مجمل علاقاته بالطبقة العليا الراقية من المجتمع، وبمجموع المثقفين وأصحاب السلطة كذلك. لذا لم يكن غريبا أن يطلق عليه لقب السلطان شرفخان. وهل كان السلطان نفسه قادرا على صياغة مثل هذه الجمل والكلمات البديعة كما فعل شرفخان؟

لقد كان البتليسي متمتعا بواقعية براغماتية، ولا يبدو مما قام به أنه كان يأمل في إقامة دولة شاملة في عموم كردستان. كانت أمام أنظاره تجربتان لإقامة مركز للامارات الكردية : واحدة في ظل سلطة الصفويين حين تم تنصيبه أميرا للأمراء كما سبقت الاشارة ، وأخرى رآها وقد تجسدت في تجربة رجل بتليسي آخر هو مولانا إدريس البتليسي ولكن تحت مظلة العثمانيين في هذه المرة، إبان عهد السلطان سليم الذي طلب أن يختار الأمراء الكرد واحدا من

بينهم، ليجعلوه أميرا عليهم ويكون له مركز كبير يعدّ مرجعيتهم. ولا يستبعد أن يكون غرض شرفخان من رواية هذه الموضوعات أن يلقي على مسامع السلطان محمد الثالث فكرة إحياء ذلك المشروع الذي يتمثل بإقامة مركز للإمارات الكردية. إن كل هذا الاطراء لإمارة بتليس وكونفيدرالية الروزكي، كطليعة للإمارات والعشائر الكردية، يشبه إلى حد ما محاولاته لجعل السلطان يؤمن بأن أمراء بتليس جديرون أكثر من غيرهم بإدارة مثل هذا المشروع. قام شرفنامه على المرتكزات الآتية:

- لما كان شرفخان قد تربى مدة ثلاث سنوات في البلاط الشاهنشاهي، فقد توفرت له فرص وظروف ساعدته على إنجاز الكتاب في صورته التي أمامنا. في تلك السنوات، تهيأت له أسباب التربية الجيدة، كما تفتحت عيناه على معلومات غزيرة ما كان من الممكن أن تتوفر له لو لم يعش في البلاط.

- مطالعة الكتب التاريخية ، وهي مما أثرى الكتاب وأضاف الكثير إليه.

- موقعه في أجهزة السلطة، والمركز الأميري الذي حصل عليه.

- علاقاته الواسعة وما هيأته له من سبل للحصول على المعلومات الغنية.

- حالة الثراء التي كان عليها، وكثرة موارده المالية، وهما صفتان لم يمتلك غيره من العلماء والشيوخ والزهاد ما يوازيهما. وكما نعرف فإن الانسان صاحب الثروة والسلطة ، يكون أقدر من غيره على امتلاك أسباب البحث التي تهيئ له نتاج افضل.

شرفخان بين الوعي القومي والحس العرقي

المقصود بالفكر والعرق الأثنو-القومي Ethno National كما اصطلح على تعريفه في زماننا ، ذاك الذي يأتي قبل ظهور الفكر القومي . وهو الذي يأتي قبل ظهور المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتجانسة، التي تظهر في حالة ولادة كيان سياسي أو ثقافي يحرك الجماهير الشعبية ويقود حركتها. وحسب هذا التعريف المختصر فإن القومية لم تكن قد ظهرت في ذلك العصر، ومثلها الطبقة البرجوازية (Das Burgerturm) والمدن والمؤسسات الحكومية.. إلخ . إن وجود عدد من الإمارات والعواصم ، لا يعني أن المجتمع الكردي قد وصل إلى مرحلة المجتمع الرأسمالي الذي ولد الفكر القومي في رحابه . بيد أنني لا أمتلك هنا المجال للاسهاب في الحديث حول الفكر القومي والأثني، والأهم في اعتقادي تقديم فهم يمتاز بالموضوعية والدقة لفكر شرفخان. وهو الفهم الذي قد يساعدنا في فهم فكر أحمدي خاني ، وسوى ذلك مما يرتبط بفهم قضايا الذات الكردية، وهوية الشعب الكردي قبل ظهور الفكر القومي الكردي الجديد.

كان لدى شرفخان العديد من الأسباب التي في مقدوره توظيفها لإخفاء هويته الكردية، حتى لا يثير المسؤولين الإيرانيين والكورانيين ضده، ولكي يرتقي صعودا في مراكز المسؤولية بسهولة ويحمي مصالحه الخاصة. فهو قد ولد خارج أراضي كردستان، في قرية قرب (قم) كما ذكرنا، من أم هي

ابنة أمير خان موصلو ، الذي كان أحد قادة قزلباش-الآذريين الشيعة. كما أن زوجته هي الأخرى كانت شيعية. وهذا يعني أنه ولد في بيئة بعيدة عن العادات والتقاليد الكردية، بالاضافة إلى أن تربيته تمت في مدارس بلاط الشاه طهماسب الأول الخاصة، من أجل غرس روح التشيع والولاء للصفويين والقزلباشيين في نفوس أبناء الملوك والأمراء الأكراد. هكذا فقد كانت مصلحة شرفخان إذا أردنا الدقة تكمن في ربط مصيره بمصير أوساط السلطة المركزية ، وبالتخلي عن هويته الكردية، إلا أنه وعلى العكس من ذلك، لم يقطع منذ ان وعى ذاته ، وطيلة الفترة التي قضاها في كنف الصفويين ، وحتى بلغ السادسة والثلاثين من العمر، اواصر العلاقة مع عشيرته الروزكيين ، وغيرهم من الكرد الذين كانوا يعيشون معه في إيران. إن أربعة وأربعين عاما من حياة الغربة لم تكن قادرة على تفكيك العلاقة السابقة الذكر . وحينما قرر شرفخان العودة إلى بتليس ، رجع ومعه أقرباؤه الذين حافظوا على هويتهم وتراثهم.

ومن أجل تسهيل فهم دور الكرد المغتربين في إيران، نرى أهمية إجراء مقارنة بين أولئك الروزكيين من أقارب شرفخان، وغيرهم من الجماعات المعارضة في أيامنا ، لنكتشف عظمة أولئك الذين لم يتنازلوا عن قوانين وجودهم كعرق له أرض.

لم يتوقف تفكير شرفخان السياسي في منطقة واحدة. وقد كان ينطلق من فكر ووعي إثنو – قومي . ومن الواضح أنه كان هناك اختلاف كبير بين فهمه وبين الفكر القومي المعاصر. لقد استعمل شرفخان تعبير الطائفة الذي هو عربي . في بعض الأحيان استعمله بصيغة الجمع : (طوائف الكرد).

صحيح أن كلمة الطائفة ما تزال تستعمل في عصرنا . إلا أن فهم شرفخان لها، لا يتفق مع مفهومها المعاصر. وقد كان يقصد بتعبير طوائف الكراد الشعب الكردي كله، على اختلاف لهجاته وتقاليده وأماكن وجوده وعاداته وأديانه ومذاهبه.

لا أستبعد أن يكون شرفخان قد وقع في نوع من الحيرة في صياغاته. لذا فقد استخدم تعبيري (الطائفة) و(الطوائف). هذا يعني أنه لم يكن قد قرر مسبقا أيهما سوف يستخدمه. وهو ما نراه في ثلاثة أسطر يستخدم خلالها الصيغتين كلتيهما. والغريب في الأمر أنه استعمل التعبير حتى عند الحديث عن التركمان هم الآخرين فقال : طائفة التركمان . كما استخدم الكلمة في حالة الحديث عن العلماء الذين اعتبرهم أيضاً طائفة . بيد أنه لم يخلط بين مفاهيم العشيرة والقبيلة والطائفة، فالاولى والثانية تعنيان الوحدات القبلية التي كانت تقع آنذاك داخل حدود الامارات.

البتليسي وخارطة الرؤى

برز البتليسي في رحم شريحة راقية من المجتمع، قد وجد أن تاريخ كل من الأمراء وكبار رجال الإمارة ، وكذلك الأحداث السياسية المرتبطة بهم، جميعها جديرة بالتدوين والتسجيل . وهو في الوقت الذي يدون فيه مجريات الأحداث في الإمارات الواحدة تلو الأخرى، يحرص على تدوين

أبرز وقائع هجمات المحتلين باعتبارها جزءا مــن الأحداث هــي الأخــرى. وحينما يذكر اسم الكرد فإنه يقصد الأمراء وعليّة القوم، وليس الرعيــة والكادحين وبقية الناس من العامة.

وحتــى فــإن اللوحات التــي تزين بعض صفحات مخطوطة شرفنامه، تصور الحياة اليوميــة في دواوين الأمــراء. كما انه عندما يشــير إلى أن الكرد ميالون للــزواج من أربع نســاء، وأنهم إذا أصــاب الواحد منهم الثروة والمال، أضاف إلى نســائه أربــع جوار(ص٣٣) فإنمــا لا يقصد في هذا العوام من الكرد وإنما الكبار والسادة.

كان البتليســي يعتبر نفســه مسلما سنيا شــافعي المذهب. ومع ذلك فإنــه لم يظهر الامتعــاض مــن المذاهب الأخــرى. وقد نأى بنفســه إلى حــد بعيد عن تلــك الصراعات الدينيــة . وعلى الرغم مــن أنه قدم كتابه إلى ســلطان ســني حنفي المذهب، إلا أنه لم يستنزل اللعنات على الصفويين الذين كانوا يتنافســون منافســة دموية مع العثمانيين. فالإســلام كما يؤمن بــه، لا يتمثل بالعنف ونفي الآخرين، وإنما الذي يجب أن تتلاشى فيــه الحدود بين الشــعوب. ويبدو أنه كان يتخوف بشــكل واضح من تهمة الســعي إلى الانفصــال ، لذا فقــد كان يرى، شــأنه في ذلك شــأن السياســيين المعاصرين ، الذين يتخفى الكثيرون منهم وراء الأقنعة أنه عليه التشبث بالآية التي تقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شــعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات_الآية ١٣).

البتليســي الــوزّان السياســي للكرد

يحتــل تاريخ إمارة بتليــس حوالي ربع الجزء الأول من شرفنانه. ولم يقف شرفخان عنــد حــدود تدوين ملاحم أمــراء بتليس القتالية ، بل دون معلومات مهمة عن حياتهم الاقتصادية والدينية والثقافية والحضارية. ويمكن عند التوقف أمام ما كتبه حول هذه الجوانــب، الاطلاع على واقع وحياة المجتمع الكردي في القرون الوسطى.

من بين ما يلفت النظر في شــرفنامه ، بروز وعي شرفخان السياسي وسعة اطلاعه، وإصراره على أن يقدم صورة صادقة للواقع، شــأنه في هذا شــأن البارومتر الــذي تمكن من خلالــه معرفة الضغط الجــوي بدقة، لكنه سيكون هنا بمثابة البارومتر السياسي الكردي (إنه لأمر مألوف بين الكراد قولهم: بعــدد كل الأحجار التي وضعــت في طبقات جدران قلاع بتليس، جزت رؤوس الروزكيين من أجلها. حين يرنو الملوك الكبار والأقوياء إلى كردستان ، ويتطلعون إلى الاستيلاء عليها، فإنهــم يهجمون قبــل أي عمل آخر يقومون بــه على رئيــس منطقة بتليس ومســلحي الروزكيــين، وكلما كان الروزكيــون أقوياء، اســتعصت بتليــس على الغــزاة والاحتلال، لأن جميــع الكــرد يقتفون أثــر الروزكيين ويتصدون للعــدو)(ص٤٧٠). وقبل ســطور مــن هذه العبــارات يقول (كلمــا صادف أن قام الأجانب باحتلال أرض بتليس، وأزاحوا أمراء الروزكيين وكبــار رجالهم عن الحكم، فــإن الروزكيين ينهضون من تلقاء أنفســهم ودون أن يمد أحد إليهم يد العون. معتمدين

على وحدتهم فيما بينهم ، واضعين أيديهم في أيـدي بعضهـم، ومعتمديـن على الله عز وجلّ، فيعيدون تحرير أرضهم) (ص٤٧٠).

ومـن خلال شـرفنامه أيضـا، تظهر لنا أصالـة الحكام الكـرد ، وهـم يدافعون عن أرضهم ويحاربون المحتل. وشـرفخان بذلك كأنما يريد أن يؤكد مشـروعية الحكم الذي يمثله الواحد منهم . ثم إنه يرينا ما يحدث في بعـض الأحيان من قيام المحتلين بابادة عائلات رؤساء بتليس ، وعدم إبقاء أحد منها على قيد الحيـاة . ثم نرى كيف أن أحدهم كان قـد تزوج في إيران وتـرك وراءه ثلاثة أبنـاء. وهنا تجري أحـداث غريبة وعجيبة ومصادفات أسـطورية. وبعـد ثلاث رحلات يقـوم بها محمد آغا كلهوري إلى مدينة(قم) ، يقتـل خلالهـا التنـين اثنين مـن أبنائه هما حسـن وحسـين، فإن الابن الثالث الذي هو الشـاه محمد يعـود ويتربع على عرش آبائـه وأجـداده بعـد تحريـر بتليس من المحتلين(ص٥٠٩).

شرفخان مفكراً في السياسة

لم يكتب شرفخان بحثا سياسيا، كما أنه لم يضع نظرية سياسية كذلك . إلا أننا من خلال السطور التي كتبها ، في جملها الأنيقة المنسـقة، يمكننا اكتشاف أسلوب تفكيره بكل وضوح وشـفافية. وهـو في الوقت الذي كان منهمكا في كتابة قصص الإمارات وسـردها بطريقة مشـوقة، قام باضافة أبيات شـعر غايته منها طرح فلسفته وآرائه.

لقـد تكونت ملاحظاته وفلسـفته من التجربة والخبرة. ومما يلاحظه القارئ ، أنه لـم يحاول إثبات صحـة طروحاته وأقواله بتقديم الحجج والبراهين . وهو أمر طبيعي وليس ثمة فيه ما يدعو للدهشة أو للتساؤل، فشـرفخان مؤرخ كبير وليس بحاجة لإثبات صحة هذا القول.

إن ما أراد فعله قاده إلى النظر إلى الأحداث مـن الزاوية التي ينظـر منها المؤرخ وليس السياسـي، وقد أراد بطريقة غير مباشـرة إضافـة كومـة إلى بيدر معلومـات الكردي السياسـية فيما يخـص كيفية إدارة أعمال الامارات ومجابهة سياسـة محتلي كردستان. وهو النهج نفسـه الذي اختـاره ميكافيللي في كتابه(الأمـير) مـن أجـل أن يكون الأمير ناجحا وموفقا في أمـور الادارة والحكم. ولو كان من الجائز قيـام القارئ بإجراء مقارنة في هذا الشأن، لوجد أن ظروف تأليف كل من كتابي :الأمير وشرفنامه، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا. فأمير شـرفنامه هو نفسـه أمير بتليس الذي هو الكاتب أيضا، ومن غير المعقول أن يكتب من أجل ان يهدي كتابه إلى أمير كردي آخر مثلـه ويطلب منه أن يقوم بدوره الرئاسـي ويوحد البلاد ، على اعتبار أن شـأنه لا يقل عن شـأن غيره من الأمراء، وهـو ما لا نراه عند ميكافيللي الكاتب الذي يوجه كتابه إلى غيره.

لقـد أراد شـرفخان مـن كبـار الكـرد وأمرائهم ان يسـتفيدوا من أحداث التاريخ، فيأخذوا منها الـدروس والعبر، ولا يضيعون هويتهم الكردية. لقد أراد منهم جميعا بأن يعملوا بنصائحه.

كان شـرفخان يعتقد أن الأخلاق الحسنة والإقدام والذكاء والشـجاعة جميعها ليسـت

كافية وحدها لإدارة دفة الحكم وتمشية أموره. إذ يجوز أن يتحلى الحاكم بجميع الصفات الحميدة ويكون ممن يقل أشباههم، إلا أنه يصاب بالانتكاسات ، فيفوز بالرهان أشخاص جبناء وخونة:

يسلم الدهر زمام الأمور إلى أناس جهلة وأنت أهل العلم والفضل فيكفيك هذا ذنبا(ص٣٤٨)

وبخلاف هذا، فإذا ألقى القارئ نظرة على أمير ميكافيللي، فإنه سيرى عشرات النماذج أمام ناظريه ، مما في مقدوره التماهي مع حالة أمير بتليس. لقد كان ميكافيللي يرى أن سر نجاح الحاكم يكمن في سمو أخلاقه. و هنا مصادفة عجيبة ، تتمثل في كون شرفخان البتليسي الكردي، قد سبق السياسي الانجليزي توماس هايس (١٥٨٨ -١٦٧٩) في الكتابة حول حرب الجميع ضد الجميع. وفيما صاغ هذا المبدأ من خلال التأملات في الحروب والمعارك الألمانية الإنجليزية، فإن شرفخان صاغ كل ما كتبه من خلال المعايشة، وبعد أن رأى بأم عينيه الفوضى والاضطرابات التي ضربت بأطنابها أرجاء الامارة بعد سقوطها:

فحين تخلو الولاية من أميرها
يصبح الرئيس في كل قرية واليا (ص٤١٨).

والمقصود هنا هو ضعف سلطة الإدارة الذي أدى إلى تفجر النزاعات والخلافات بين القادة الروزكيين الذين بات كل واحد منهم يمسك بزمام الحكم بيده في إحدى المناطق كي يقوموا بتطبيع أوضاع الحكم في الإمارة.

من الواضح أن ظاهرة عدم توحد الكرد ، وبروز ظاهرة التنافس فيما بينهم باستخدام طرق غير معقولة ، قد شغلتا ذهن شرفخان الذي يقول عن ذلك:

تتكون مقومات الدولة كلها من الاتفاق وعن النفاق يتكرس انعدام الدولة(ص٢٢١).

ويبدو أن هذه الظاهرة لصيقة بالكرد طيلة تاريخهم ، ولم يطرأ عليها حتى اليوم أي تغيير. ومن المحتمل أن تكون الألوان والسماء والأشكال والرموز قد طرأ عليها تغيير قليل، إلا أن المضمون بقي على ما كان عليه ولم يتغير في أي شيء.

لقد قدم شرفخان صورة دقيقة للكردي. وعبر عن رأيه بصراحة وبموضوعية. لذا فإن أي باحث إذا أحب الحصول على معلومات دقيقة حول شخصية الكردي، فما عليه إلا أن يراجع مقدمة شرفنامه. وهذا بحد ذاته موضوع من الموضوعات ، وقد أشرت إليه في مكانين آخرين في الكتاب .

لا أريد تكرار أقوالي، على الرغم من اعتقادي بأن كل من يقرأ شرفنامه سوف تراوده أفكار ورؤى جديدة. ويا حبذا لو احتفل بالذكرى المئوية الرابعة لتأليف شرفنامه بشكل يليق بهذه الرائعة التي لعبت دورا كبيرا في بلورة وعي الكرد اليوم بأنفسهم وبتاريخهم.

المصادر واهم الملاحظات

١ـ طبقا لمعلوماتي المتواضعة هنالك كتاب ورسالة مطولة عن تاريخ الكرد ونمط المعلومات الوارد فيها منصب على منطقة واحدة.

- أحمد بن يوسف بن بيك بيك/ مذكرات مأمون بيك بن بيك بيك- ترجمة محمد جميل الروزبياني وشكور مصطفى عبد الله(عن التركية) /بغداد ٩٨٠ ، (وقد أرسل هذا الكتاب عام ١٥٧٤كرسالة إلى السلطان، ويظهر منها أن بيك بيك هو نفسه والد مأمون بيكه بيك الذي هو الآخر رسالة طويلة إلى السلطان العثماني).

٢- اعتمدت في هذا البحث على النص الفارسي لشرفنامه، الذي نشره محمد عباسي في طهران عام ١٩٦٦.

٣ـ الجدير بالتنوية ان ابن فضل العمري الذي ظهر قبل شرفخان بحوالي مئة وخمسين عاما (١٣٠١ـ ١٢٤٩) كان قد الفَ كتابه في (٢٧) جزءا، حيث يعتبر فيه ان اللور والكوران من الكرد. انظر: ابن فضل الله العمري/ مسالك الابصار في ممالك الامصار، الناشر/ فؤاد سزكين السفر ٣ -٤ ، فرانكفورت ،١٩٨٨ ،ص١٢٤ .

٤ـ احد الامراء الذين تطلعوا الى تكملة هذا القسم الذي يتعلق باماراتهم من شرفنامه، هو امان الله خان الكبير (١٧٩٩ـ ١٨٢٤) الذي كان واليا على اردلان، واستجابة لإلحاحه عليه الف محمد ابراهيم اردلاني عام ١٨١٠ تاريخ اردلان. وقد تم تقديم هذا الكراس مع مخطوطة شرفنامه الى مالكولم. انظر: أنور سلطاني(ده روازه- البوابة)/ العدد (١) كوبنهاجن ١٩٩٣، ص٣٦ -٥٥.

٥ـ لقد كتب الدكتور كمال مظهر في (التاريخ): لقد اغتصب الدكتور شمسي نصف شرفخان حينما قال ان شرفخان البتليسي مؤلف شرفنامه كردي من ناحية الاب واذربيجاني من ناحية الام/بغداد ،١٩٨٣ ص١١٧ .

٦-vgl. Kaempfer, engelbert: am-hofe des persischem grossknigs. (hrg) walter hinz. Ott. /baden ١٩٧٧. s. ٢٠ ff.

٧-كانت البرويس تعلب دورا هاما في الدولة والامارات الالمانية. حتى ان مشكلة التوحيد الوطني كانت تحت رايتها. فهنا لا نقصد المقارنة بين البرويس والبدليسيين، بل القصد هو ان ننظر الى انفسنا من خلال مرآة الاحداث السياسية التاريخية.

Vgl. Thadden.Rudolf v.Fragenan preussen.Munehen١٩٨١

(٨)فيما يتعلق بكيفية تكون روزكي انظر:

Bruinessen Marin van:Agha Seheich and staat .Berlin ١٩٨٩/٢١٢

Khler.w.Die Kurdisehenstaadt Bitlis.(Diss)Munchen١٩٢٨ ،٢٨

Vgi.Zippelius.Rencold:Geschicht Aufi١٩٨٩ ٦.ederstaasdienst.Muchen ،١٠٠ .

من أجل فهم طروحات ميكافيللي وتوماس هايس ، تمت الاستفادة من الكتاب أعلاه.

شيركۆ بيكس
في قصيدة مسكننا
(ماڵەكەمان)

إدريس كريم محمد
جامعة السليمانية كلية اللغات
قسم اللغة العربية

إن قصيدة (ماڵەكەمان – مسـكننا) للشاعر شـيركۆ بيكـس في ديوان (المـرأة و المطر) مـن إحـدى قصائـده المشـحونة بجماليات و وظائـف أدبيـة كثيرة ، حيث أن الشـاعر إسـتخدم أسـلوبا بسـيطا في هذه القصيدة و أنه قريـب من الاسـتخدام اليومي للغة ، لكن ذاك الأسـلوب اسـلوب مصقل بزخارف معنوية و ظاهرية متينة ليس باستطاعتنا اسـتخدام ذاك الاسـلوب الـذي اعتمد عليه الشـاعر و أن الشـاعر حاول أن يوضح نوعا مـن الوهمية و العلاقـة الخفيفة بين كثير من الامور بصـورة تدريجية و باسـتخدام كثير من الحروف و الكلمات و الاشـطر ، وأن هذا النوع من الاختيار من قبل الشاعر نوع من الوضوحية للعام ليؤكد بأن ((مسكننا)) مصـدر كل الفرح و البهجة و السـرور و أن (المسكن) ليس بمفرده يستطيع أن يحصل على الفرح الكلي .وأن بإلتحامه مع الإنسـان (الأب) يـؤدي الى تنويـر كل الطرق للإبن والحفيـد و العـام حتى يسـيروا عليه الأبن والحفيد و العام بأن المصدر الوحيد للإنسان و إسـتمرار عيشـه يبدأ من مسكنه (وطنه – بلاده – مسقط رأسه) و أن الإبتعاد عنه بتأثير خارجي أو داخلي من قبل الانسـان

أو تدريجيـــة تغيير الحياة الى الموت شــيئان ووقتيتان و أن الإنسان يعود اليهما أخيراً لكن العودة عــودة متميزة .لمزيد من الوضوحية والشفافية نبدأ بتحليل القصيدة من البداية إلى النهايـــة بالتدريج لنعطي يداً من القيمة الأدبية الموجودة في روح القصيدة:

مســكننا:- عنــوان القصيــدة أو المفتاح .أن الشاعر بدأ به و إنتهى به أيضاً لكن في البداية أن المســكن معه نوع من العبوســـية أو حالة النفســية التي نحس بها عــن طريق إحدى الحواس و في النهاية نشعر بنفس الحالة لكن النهايــة نهاية أبدية بوجــود لفظة (تابوت هو مســكننا) و هو دليل على وقف الحركية الدائمة للحياة الدنيوية و تحويل الانسان أو الهــدف من العنصر الحركــي الى اللاحركية الظاهرية (الجنازة) أمام أعيوننا، ان الربط الموجود بين المقصدية الموجودة في القصيدة و إرتباطية البداية و الوســط والنهاية دليل قوة القصيدة . وصل الشاعر الى كل الأهداف بصورة تدريجية من خلال السير خطوة تلو أخرى الى الوســط بإســتخدام أساليب كثيرة كإســتخدام العناصر الطبيعية منها عناصر كبيرة الحجــم وقليلة العدد أمام أعيننا.مثل استخدام الفاظ طبيعية و كونية كـ (الشمس ـ المطر ـ القمر ـ نســيم) و الفاظ إنســانية (أبي ـ لحية أبــي ـ حارس ـ أحلام ـ صوت أبي ـ شــقيقة ـ فستان ـ أسفل الساق ـ رأس ـ ملابس ـ الشفة ـ المجلات ـ تفكير).

لفظــة ((مســكن)) هــي المفتــاح للقصيدة الشــبيهة بالمقدمة الطللية التي إســتخدمها شــعراء الأطلال في العصر الجاهلي ، و المسكن مصــدر الفرح للعام و في نفس الوقت مصدر القلــق و الاضطراب النفســي حتى يشــعر الانسان بأن المسكن سبب تلك الحالة النفسية الداخليــة المؤثرة علــى الشــاعر و تلاعب بالشاعر ليستخدم طرقاً عديدة للتعبير عن تلك الحالــة مثلاً إســتخدام لفظة (عبوس الوجه) أي أن المصدر (المســكن) هو السبب الوحيــد لابتــكار ذاك القلــق و الاضطراب النفســي في الشــطر الأول بجانب المسكن. أن هــذه الحالة حالة مســتمرة بدليل تكرارها مرة أخرى في الشطر الثاني، وخلق هذا نوعاً مــن الضدية أو علاقــة الثنائيات الضدية و هي علاقة مصدر الفرح و السرور مع الحالة النفســية الداخلية و هي حالة العبوســية و المزاج الحاد كما في :-

الشطر الاول: المصدر اي المكسن ← عبوس الوجه] بداية
الشطر الثاني: المصدر اي المكسن ← حاد المزاج] القصيدة

فالنتيجة في كلتا الحالتين نتيجة لا متناهية لأن العبوســية الموجودة في وســط القصيدة تمديــد لبدايــة القصيدة و هــذا دليل قوة الارتباط بينهما حتى لايبتعد الشــاعر عن المســكن .و مرة أخرى عاد الشــاعر في وسط القصيدة الى الحالة النفســية المســتمرة و في كلتا الحالتين الســابقتين موجودة مع الشيء الجامد المصنوع من قبل الانســان (المسكن) لكن في هذه الحالة هنــاك نوع من الإمتزاج مع العناصــر الكونية كالشــمس بمطرها و القمر بنسيمه .وأن درجة الصعوبة النفسية في هذه الحالة أقل بســبب مساعدة العناصر المشاركة مع المسكن أو توسيع دخول عناصر أخــرى ليدخل مــع المســكن الى المقصدية.

فالشاعر هنا إنتقل من الطريقة النفسية البدائية الى الوسط و من ثم إلى النهاية ، وهذه الادراجية أو التدرجية الثلاثية دليل الأرتباطية الكاملة بين المواقع الثلاثة و أيضاً دليل التوازي المتكامل بين كل من البداية و الوسط و النهاية :-



فالعلاقة هنا للمسكن علاقة سكونية ثابتة و الشاعر لايرضى بسكونية واحدة للمسكن ومدّها إلى سكونية أخرى و هي عن طريق (الأسوار) فالأسوار هنا جزء من الكل الموجود (المسكن)، و الثبوتية الجزئية في الجزء (الأسوار) دليل على الثبوتية الكافية و الكاملة في الكل (المسكن) .وطرد الأضواء من قبل الأسوار هي محاولة لتغيير السكونية و الثبوتية بالتدريجٍ إلى الحركية أو اللاثبوتية. أتى الشاعر أيضاً بعكس الأول الذي أتى بالمسكن ثم بالأسوار أي (الكل ثم الجزء) و لكن من هنا أتى الشاعر بالأضواء ثم بالشمس أي (الجزء ثم الكل) .

الشمس :- العلاقة الموجودة بينها و بين الأنسان علاقة إرتباطية و تجديد الحيوية بينهما من خلال ربط الشطر السابق بهذا الشطر حتى يصل الهدف إلى الإنسان أي أن القدسية كلها في سبيل الانسان و الإنسانية لأن :-

الشمس (المصدر) ← إرسال الضوء ← الإنسان (تجديد الحيوية)

هذه المصدرية دليل على أنِ الشمس لم و لن تتخل عن الإنسان و أيضاً أنه و مع القمر مددا خطواتهما للخدمة الإنسانية و أتى الشاعر بالشمس قبل القمر لأن تأثير الشمس في القصيدة تأثير مباشر ومجيئه إلى الإنسان مجيء حر ومطلق و ليس هناك أي حاجز أو مانع ليمانعها أو ليتأخر مجيئها حتى تحل ضيفاً للإنسان ، لكن مع هذه الحرية ما جاءت إلى الإنسان و لم تقبل الضيافة من الإنسان، بعد هذا و في الشطر الذي أتى به الشاعر بعده أشار إلى القمر و أنه يؤدي دورا آخر اللإنسان لكن بسبب قلة قدرته و وزنه

و حجمه مقارنة بالشمس، لايستطيع أيضاً أن يحل ضيفاً مباشراً للإنسان و لا بإستطاعته زيـارة الإنسـان لأن هناك حاجـزاً أو مانعاً منعــه من الزيارة و هو الشـباك والقمر هنا كالشمس مرة أخرى لايريد تلك الزيارة :

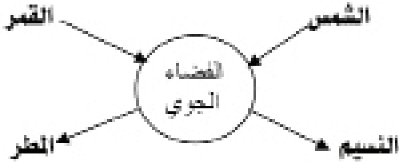
الشمس ← الأضواء ← الإنسان (تأثير مباشر و قوي)
القمر ← ضوء بسيط ← شباك الغرفة ← الإنسان (تأثير بسيط)

الريــاح :- رمز للسـكون الوقتــي و من ثم الوصول إلى الحركية و الحركة حركة محبوبة إذا كانت هادئة و أن هذه الهدوئية تسير نحو إبتــكار نوعٍ من الغنى و الموسـيقى وأن هذه تخلـق جواً متحركاً و هو حركية مســتمرة هادئة و الهوئية هنا لثلاثة أشياء :-

١- الحركة الهادئة للمسكن
٢- الحركة الهادئة للرياح
٣- الحركة الهادئة للموسيقى و الغناء

و الرياح كالشـمس و القمر أيضاً بعيدة عن المسـكن و الشاعر و لم ينشد لهما بين هنا و هناك .ومن أجمل الأوقات للطيور هو مجيئه عند النسـيم و المطر و بنــوع من الفرح و السـرور. فالطائر هنـا كالآخرين لايرضى بالزيارة إلى الإنسان و المسكن .

النسـيم و المطـر :- ظاهرتــان طبيعيتان تظهــران بتأثيرات كل من الشــمس و القمر الذي أشــار إليهما الشاعر مســبقاً، فالنسيم والمطــر لم يقبلا مجيء الطـير من عندهما إلى الإنسان و مسـكنه، وأن خطاطة الشمس والقمر مع النسم و المطر واضحة ومغلقة في نفس الوقت و لا لأحد أن يدخلها حتى ولو أن الشاعر لجأ إلى عدة أشياء ليساعده كالشمس والقمر و الرياح و الطائر .وفي هذه المرة لجأ إلى النســيم والمطر ليزوراه في المسكن لكنهما لم تأتيا و حتى انهما لايقبلان إرسـال الطير من عندهمـا. ومن هنا نسـتطيع أن نقول بأن مقصديــة كل العناصر مقصدية كاملة لنفســه لا للشاعر أو المسكن فكل عنصر جاء مع نتيجته النهائية لكن الشاعر في المسكن لم يحصل على أية عنصر من العناصر الموجودة أي:-



من خلال هذا نفهم بأن الخطاطة الطبيعية للشمس و نتيجتها هي أن الشمس تؤثر على ماء البحر و بهذا التأثير يتبخر الماء و يصعد الى الســماء و مع وصوله إلى الســماء الباردة يحدث المطر فتأثير القمر في الليالي نتيجته حدوث النســيم .أي هــذان الشــيئان دليل على أن مقصدية الشــمس و القمر مقصدية ناجحــة بظهور لفظــة النســيم و المطر في الشــطرين اللذين جاءا بهما الشاعر بعدهما و في هذه المرة أيضاً لم يســاعد الشــاعر أي شيء في المسكن. أن الأستمرارية التي إنشغلت بها الشاعر مستمرة و لا مجال للخروج منها و تخلق جواً متوازياً بين البداية و الوســط و النهايــة بدليل عودة الشــاعر إليها في كل مرحلة من المراحل الثلاث أي :

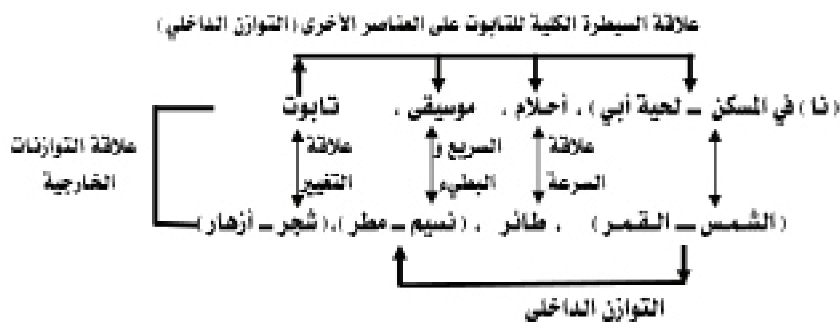


و هذا بدليل تكراره للفظة الدالة على الحالة

النفســية (عبوس الوجه ،حاد المزاج)، فهذا الشــيء علامة للشــاعر بأنه يريد أن يبحث عــن الطمأنينة الأبدية داخل المســكن ليجد المصدر الحقيقــي بأرقى أنواع البحث و ذلك من خلال إستمراريته في اللجوء إلى (الشمس، القمر، الرياح، الطائر، النسيم، المطر) .

أن الشاعر حاول أن يخلق جواً من التوازنات بين العناصر الطبيعية والإنسانية بينهما أو بخارجهما لإســتمرار بحثه و من هنا حاول تخليط أكثر مــن عنصر ويربطه بالآخر أو بالعكس وهذا أقصى حد يســتخدمه الشاعر تحت تأثير شدة تمســكه بالمسكن،و من هذه التوازنات:-

أبي ......أبــي ...... لحية أبي :- مرة أخرى لجأ الشاعر إلى عنصر آخر ليساعده لكن هذه الحالة حالة قوية و هذه الصورة صورة حية

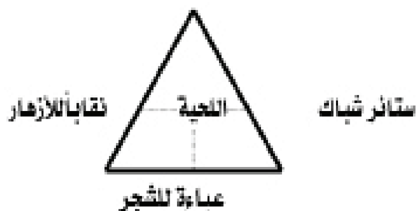


لدى الشــاعر، وأنه إلتحم مع أبيه للسيطرة على الحالة النفســية لكي يتفاعل معه لكن الإلتحــام ليس إلتحاماً كامــلاً لأنه في النهاية أشار إلى (لحية أبي) و تغيره إلى أشياء أخرى كـ(ستائر شــباك)و هذا تشابه جزئي بين الجزء من المسكن و جزء من جسد أبيه(لحية أبيه ـ ســتائر شباك مسكنه) فتتغير اللحية إلى الســتائر تغيــيراً تحركياً نحــو الثبوتية والسكونية:-

لحية أبي

(تغيير حركي من خلال تغير لونه بتأثير عنصر الزمن) ← ستائر شباك (سكون دون تأثير عنصر الزمن)

و بنفــس الطريقة تغيير اللحية إلى ((عباءة للشــجر و نقاباً للأزهار)) فتكرار إستمرارية التغيــير هنا تكــرار خارجية ليــس تكراراً داخليــاً نفســياً لا تكرار داخلي نفســي كما وضحته مسبقاً ، وهنا شكل مثلثاً متأثراً كل واحد منهم بالآخر بصورة متواصلة :-



فــ(لحية أبي) مقصديــة جزئية بدلاً من الكلية لكن مــع عدم ثبوتية لحية الأب لأنه من هنــا فهي قنــاع للأب و فضل الشــاعر إســتدعاءها حتى تؤدي دور الوالد للشــاعر و تــؤدي دوراً كلياً معه ونســتطيع ان نقول ان هــذه اللجوئية للشــاعر تنــاص مع المثل الكردي:

مەڵی باو باپیرم ئەگاتە ڕۆستەم
ئەگەر ئازای ئێستا بلێ هەم

أي :-

لاتقل بأن أجدادي أحفاد روستم
إذا أنت شجاع فقل أنا الآن موجود

هذا الرفض للشاعر دليل على قوة الحالة و قدرتها و حجمها التي وقع فيها الشاعر (الأبن) و يعطي الشاعر الأدوار الكافية و الكاملة للأب حتى ولو كان بجزء منه لتشكيل مثلث الصور و الصورة البلاغية وصنف الصور البلاغية تصنيفاً وظيفياً إلى ثلاثة أنواع بما يأتي :-

١.صور الاختيار
٢.صور الحضور
٣.صور الاتصال

وان الصور البلاغية تعتمد على ـ الاختيار ـ لأنها لا تشرح الكلمات التي تقدمها ، وإنما تبرز بعض مظاهرها دون البعض الآخر. وكذلك فإن (التورية ،والكناية،والمجازات) هي صور بلاغية، وتؤدي وظائف ـ الاختيار ـ أيضاً.

في حين أن (التكرار) يؤدي إلى زيادة الحضور أي جعل الموضوع حاجزاً في الذهن وكذلك (المحاكاة الصوتية) ـ الأونوماتوبيةـ التي تستحضر الأشياء، رغم أنها تكرار.



أحلام:- ان الشاعر فكر كثيراً عن أبيه وهذه الكثرة جاءت مع السرعة الفائقة للزمن وان الأب ساعد أبنه على شكل الأحلام وان الزمن في الحلم أسرع من الزمن الاعتيادي وان كثرة أتيان الشاعر ب(لحية أبي) دليل على قدسية الأب لدى الشاعر (الأبن) وحب الأب للإبن ،أ،عدم وجود القوة و القدرة الكاملة للحصول عليه دفع الشاعر إلى إستدعاء لحية الأب بكل حركاته وسكناته ليساعده بطرق شتى مرة كـ (ستائر شباك وأخرى كعباءة للشجر أو كنقاب الأزهار).

أن العلاقات المستمرة للحية مرتبية و هي مربية حجب البيتونة ثم السطح ثم الهبوط إلى الأفريز ،فإن علاقة الأول (البيتونة ثم السطح)علاقة مرتبية تدريجية لكنها مع الثالث (الأفريز)علاقة ضدية أي علاقة الاستعلاء والانخفاض:-

أبي ....أبي ..... صوت أبي :- من هنا أن الشاعر تخلى عن اللحية ولجأ الى شيء آخر أو جزء اخر من الكلية الجسدية للأب وهو



الصوت. فهذا دليل كثرة ارتباط الإبن بالأب وإستدعاء أي جزء منه تلو الآخر ليلتحقه لهدم الحالة النفسية في المسكن وهذه الاستمرارية رمز الإشتياق وارتباط الإبن للأب ،و وصل الشاعر بهذه الإستمرارية إلى حد اللامنتهي وتجديد تمسكه بالأب وأيضا دليل لشدة التوتر المستمر للشاعر بالأب وأنه مر بالمراحل النفسية الثلاثة و وصل الشاعر إلى جزء من أجزاء جسد أبيه كبديل عنه أن هذا التمسك المستمر(الإبن للأب) دليل على أن الإبن (الشاعر) لم يقبل ولم يعترف بالحقيقة الواقعية وهو موت أبيه،و أن الحالة النفسية تدفعه الى هذا الاعتراف لكي لايقع في التشاؤم وهذا الشيء علامة تفاؤل الشاعر حتى ولو بحجم ذرة ،ومثال هذا التوتر والحالة النفسية التشاؤومية في قصيدة لنازك الملائكة وهي تبحث عن امها المفقودة ولم تجدها على شكل أي نوع من الظل والوهم والشبح لكن في الاخير عادت الشاعرة ضائعة أمها الحقيقية دون إتيانها بأي جزء منها خلافا لشاعرنا (شيركو) الذي أتى بالأب أو بأجزاء منه:

ابي .... ابي .... لحية ابي
ابي .... ابي .... صوت ابي

من خلال هذين الشطرين نرى بأن الشاعر لايريد أن يبتعد إبتعادا كاملا عن أبيه وأنه استخدم جزءاً منه في كل مرة وأيضا ان الأب لايريد ذاك الإبتعاد وأرسل أجزاء نفسه بأشكال عدة كـ:

لحية أبي صارت ستائر شباك
عباءة للشجر
نقابا للأزهار
لحية والدي تقف حارسا على باب أحلامنا
تحجب البيتونة والسطح والإفريز
صوت أبي
مقص يتمدد ويستيقظ

جمع الشاعر بين نوعين من الإنسان
١. الانسان الموجود الحقيقي (الشاعر)
٢. الانسان المتوفى لكن حقيقي على الشكل الوهمي والخيالي (الاب).

هذا الجمع بين الشيئين هو (الجمع بين الشيء وشكله) و مبدأ (الجمع بين شدة الائتلاف وشدة الاختلاف) ولن يغيب عن بالنا هنا التركيز على كلمة (شدة) التي تقوم مقام الشرط، إذ الأمر لايقصد به مجرد الأئتلاف و الأختلاف وإنما المراد هو (شدة) كل منهما. فتمسك الأبن بالأب ليس تمسكاً شفوياً أو إعتيادياً لأن حراسة الأب للأبن دليل على رقابته المستمرة على أبنائه داخل المسكن التذكاري ،وأنه يبحث عن آثاره للأبناء بداخل ثنايا الرؤوس أو يبحث عن الهدوئية التامة الموسيقية للملابس أو الموجودات المتبقية عنه كالشفاء الحمراء في المجلات ، بصورة عامة أن بحثه بحث كامل لكل الأشياء الخاصة بالمسكن أو الخارجة عنها كمنقار نغم.

ان التشبيهات أيضاً موجودة داخل هذه الأجزاء كاللون الاحمر بين (الشفاه و المنقار)، أن كل هذه الأشياء مكتوبة ومسجلة في مسكنه وأنه لاينسى أي شيء من المسكن كوفاء له و لأبنائه .وأخيراً أن الشاعر يأخذ دوره من أبيه و جاء مرة أخرى كالجزء البارز أو كالباث للقصيدة ولكن مرة أخرى

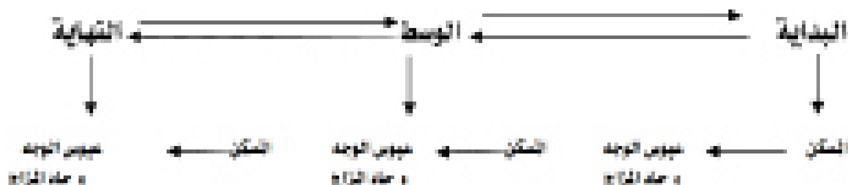
جاء بنفس الحالة النفسية الموجودة التي نشعر بها في بداية القصيدة بسبب مسكنه. وان الحالة الموجودة في البداية مجرد حالة نفسية مع المسكن و كرره الشاعر ثلاث مرات (البداية ـ الوسط ـ النهاية) و بطرق مختلفة وخطوات متميزة لكل حالة داخل الأبيات ولم يعترف بالحقيقة لكي لايقع في التشاؤم وفقدان أبيه يستدعيه مرات عديدة أو يستدعي جزءاً منه لكن في النهاية و تحت تأثير الحركة الجدلية الدائمة أي الجدل بين الحياة و الموت و من ضمن التعارضات أو الثنائيات المتضادة أتى بالنتيجة وهي الصراع المستمر من قبل الأنسان مع الزمن وهو الماضي (تأسيس المسكن مع وجود الأب) والحاضر (عدم وجود الاب بداخل المسكن). وأيضاً هذا دليل تمسكه كالسابق بالمسكن كما يشعر بالبهجة و الفرح مع وجود الأب في تأسيس المسكن لكن الآن مع عدم وجود الأب وقع الشاعر في الحالة النفسية الموجودة والمستمرة من البداية إلى النهاية ،أما الآن فان الحالة النفسية من أقوى أنواع الحالات لان الشاعر إعترف بها كجزء موجود داخل مسكنه ويحول مسكنه نتيجة هذه الحالة إلى أقوى حالات التشاؤم و هي النتيجة النهائية للحياة (الموت) لكن مع شدة الخوف من الموت لايشير إليه وبطريقة أخرى أو كبدليل عنه يشير إلى لفظة (التابوت) وهي الشيء الأخير الذي يمتلكها المرء حتى لحظة وصوله إلى المقبرة، وأن الشاعر يقف مع التابوت فقط، بل ان التشاؤم النفسي الشمولي سيطر على كل الممتلكات له حتى انه سيطر سيطرة كاملة على المسكن و من فيه أو مافيه من الأشياء ،و من هنا نصل إلى أن شطر (تابوت هو مسكننا) هو البيت القصيد.

ان الحلقة الدورانية هنا هي الحلقة الموجودة المستمرة و المسيطرة على الحياة وتؤدي الدور الأساس كالبطل وأعطت المرء زمنا لكي يسير فيه ولكن لاقعطيه الوقت الكافي للحصول



على كل الهوايات و المقاصد الانسانية كما في هذه الحلقات الدورانية:-

أن الشـاعر في كل مـرة مـن المـرات الثلاث (البداية ـ الوسـط ـ النهايـة) حاول ربط كل واحـدة منها بالأخرى مثلاً في الوسـط لاينسـى البداية وفي النهاية لا ينسى الوسط فهذا دليل قـوة الربط بين الخطوات الثلاث وهذا الربط شكل نوعا من التوازن المتساوي للحالة النفسـية الخاصة بالمسكن فالشاعر في كل خطوة نحو التقدم عاد إلى سـابق حالته



كما في هذا المخطط:

هـذا دليـل على أن حـب الشـاعر و وفاءه اللامتناهي للمسـكن الـذي صنعه الأب ،وأن الشـاعر أكـد في كل حالة على قـوة الحالة النفسـية و تأثيرها على الشاعر لكن مع كل حالة أن الشاعر لايستسلم و يكرر مسكن أبيه معـه وربط ربطاً قوياً بين المسـكن والحالة النفسية من بداية و وسط و نهاية القصيدة

وأخـيراً ان العلاقات الموجـودة كلها علاقات مترابطة أو متسـاوية أو علاقـة تأثيرية إلا علاقة واحدة و هي علاقة السـيطرة الكلية و المؤثـرة على الحلقة الدورانية الموجودة في القصيـدة من جهة ومن حيـاة الأب و الأبن (الشـاعر) و عامة الناس من جهة أخرى من خلال سـيطرة الموت و التابـوت على الحياة الأنساني.

ماڵەکەمان

ماڵەکەمان ،چ ماڵێکی مڕومۆچ و
پەستمان هەیە، ماڵەکەمان!..
هەسارەکان روناکیان دەرکردووە
دەرگای حەوشە .. روخۆشی کلۆم کردووە
نەرۆژێ هەتاو ئەبێتە میوانمان و
نەشەوێك مانگ سەرێك ئەدا لە پەنجەرەی
سەروو ژورمان و
نەجارێك «با» لەهەیواندا
گۆرانیەکمان بۆ ئەڵێ و
نەباڵدارێك لەلای هەواو
بارانەوە دێ بۆلامان
ماڵەکەمان چ ماڵێکی گرژومۆن و
پەستمان هەیە.. ماڵەکەمان!
باوکم ....باوکم....ڕیشی باوکم
بووە بەپەردەی پەنجەرەو
بووە بەعەبای درەخت و
بووە بەپەچەی گوڵەکان
ڕیشی باوکم بەردەرکی خەونی گرتوین و
هەورەبان وسەرسەربان وچیمەنمانی داپۆشیوە...ڕیشی باوکم
باوکم...باوکم..... دەنگی باوکم
لەناو ژوری خوشکەکەمدا
مقەستێکە ڕائەکشێ و هەڵ ئەسێت و
لەکەنتۆردا
کراسێکی ئاودامانی تابەرپێ یە
هەموو ڕۆژێ پەناو پەسێری ناو سەرمان ئەپشکنێ و
بۆمۆسیقای کراسی کورت وبۆ لێوی سوری گۆڤارو
بۆدەنوکی ئاوازێك وبۆخەیاڵێکی تەنك و
بۆنوکتەی قاچاغ ئەگەڕێ!
ماڵەکەمان ! چ ماڵێکی مڕو مۆچ و پەستمان هەیە......ماڵەکەمان
دارەمەیتی ماڵەکەمان

مسكننا*

مسكننا، أي مسكن عبوس الوجه
وأي مسكن حاد المزاج نملك، مسكننا
الاسوار طردت الأضواء
باب الفناء اقفل على البهجة
لا الشمس تحل ضيفا علينا ذات يوم
ولاالقمر يتفقد شباك غرفتنا ذات ليلة
لا الرياح
تنشد لنا أغنية في الايوان
ولا طائر
يزورنا مبعوثا من النسيم والمطر
مسكننا ،أي مسكن عبوس الوجه
وحاد المزاج نملك ،مسكننا
ابي،ابي ،لحية ابي
صارت ستائر للشباك
وعباءة للشجر
ونقابا للازهار
لحية والدي تقف حارسا على باب احلامنا
تحجب البيتونة والسطح والافريز ،لحية والدي
أبي ،أبي ، صوت أبي
مقص يتمدد ويستيقظ
في غرفة شقيقتي
وفي خزان الملابس
فستان طويل يصل اسفل الساق
يفتش ثنايا رؤوسنا يوميا
يبحث عن
موسيقى الملابس القصيرةوعن الشفاه الحمراءفي المجلات
وعن منقار نغم وعن تفكير شفاف
وعن النوادر المحظورة
مسكننا ،أي مسكن عبوس الوجه
وحاد المزاج نملك،مسكننا
تابوت هو مسكننا

* من ديوان (أنت سحابة، فامطرك)، ترجمة: دانا احمد مصطفى.

اجتراح النص المفتوح في (ضراوة الحياة اللامتوقعة)



صباح الانباري

اشتغل بعض الشعراء على فكرة الانفتاح على الأجناس الأدبية والفنية ـ بعد أن ضاقت بهم فسحة الشعر ـ لمد فضاء القصائد بما يتيح للشاعر التحرر من القيود، ومركزية الشعر، وانغلاقه على فضاء الشاعرية.

إن هذه الفكرة الجامحة لم تكن وليدة رغبة التجديد أو المغامرة حسب، بل جاءت كضرورة ملحة من ضرورات استيعاب كامل لهموم الإنسان المعاصر ومعاناته ـ التي لا تقتصر على ما هو روحي فقط، أو على ما يستطيع الشعر تضمينه باقتضاب فقط ـ خاصة فيما يتعلق بالقصائد الطويلة الملحمية أو شبه الملحمية. وكان من ابرز أولئك الشعراء شيركو بيكس الذي كتب عددا

مــن المطولات الشــعرية تحــت يافطات وان اختلفت محدداتها إلا أنها تندرج تحت عملية الانفتــاح على الأجناس الســردية/ الأدبية/ الفنية. ورأينا في تجربة هذا الشاعر تأسيساً متينا لتوجه جديد أخذ بزمام تثبيت نفسه كجنس أدبي وتأسيسي مركب.

ولــم يكــن شــيركو منفــردا في رغبته الجامحة هذه علــى الرغم من رياديته فيها بل أن شعراءَ آخرين نهضوا بمهمة اجترا ح ما يدعم هذه التجربة، ويعزز دورها الريادي في حلحلة التركيبة الشعرية للقصيدة المحدثة. وكان من بين أولئك المبدعين الشاعر بولص آدم الذي طلع علينا مؤخرا بديوانه الجديد (ضراوة الحيــاة اللامتوقعة) الصادر عن دار الحضارة للنشر.

وقبــل الدخول إلى عالم بولص، والغور، والبحث فيما قدمه لهــذا النص المفتوح كما يحلو للبعض تســميته، لنا أن نتســاءل عما يمكــن أن نطلق على خالق هــذا النص وما إذا كانت تسمية شــاعر ستظل سارية عليه بعد انفتاحه شعرياً على فنون السرد، أو أنها ســتأخذ منحى مختلفا باختلافه اجناســيا مع الشــعر؟ إذا اتفقنا على التسمية الحالية (النــص المفتوح) فهذا يعنــي أننا بإزاء نص جديــد، مختلف عــن النص المألــوف. ليس بالضــرورة أن يكــون شــعرا منفتحــاً على الســرد لأنه بــات من الممكن أن يكــون نثراً منفتحــاً على النثر أو درامــا منفتحة على الســرد. ولنا في (قصرحيــة) الراحل المبدع محيي الدين زنكنه مثال على هذه التركيبة الجديــدة، والمبهرة إجناســياً، وفنياً إذ جعل القصة القصيرة تتداخل في المسرحية دون أن يترك بينهما فراغــاً يلغي واحدية النص، أو انشطاره على نفسه، أو استقلالية تركيبيته الأساســيتين. عليه يتوجب اشتقاق تسمية خالق هذا النــص من كلمة (مفتوح) فيكون الخالق تحديداً هو (الفتّاح) والفتّاح لغة هو الحاكم، والقاضي لأنــه يفتح مواضع الحق. وقد يكون للمشــتغلين في المجال الاصطلاحي رأيهــم الذي قــد يتفق أو يتعــارض مع ما ذهبنا إليه.

لنعــد إلى معاينــة النص المفتــوح عند الشاعر بولص آدم.

بدءًا لا بد أن نشــير إلى أن اختيار الشاعر لوحة تشــكيلية ـ زيّن بهــا غلاف ديوانه لا على أســاس قرابته من مبتكرها (لوثر اشو آدم) ولكــن على أســاس نــوع القرابة التي تخــدم توجــه ديوانــه نحو الانفتــاح على الفنــون الأخــرى ـ كانت اســتباقية في بيان جوهــر العلاقــة، وحميميّتها بين الشــعر من جهــة، وبقية الفنون مــن جهة أخرى. اللوحــة كانت تمهيداً أولياً لدخولنا إلى حياة بولص، وضراوتهــا اللامتوقعــة، وتوضيحا فنياً لغير المتوقع فيها. الشــاعر أو العازف أو المغنــي المحاط برموز شــعبية محلية يحاور الحياة بالصوت، والنغمة دون أن يلقي بالاً لما سيحدث له حين يفك الآخر ـ الوحش الرابض خلفــه بعينيــه المحمرتين، والمستشــاطتين غضباً ـ رمزية تلــك النغمة. الفنان هنا (في اللوحة) هو البديل المرئي للشــاعر الذي راح يدبــج قصائده دون أن يلقــي بالاً هو الآخر للوحــش. ويظــل اللامتوقــع رهنــا لردود أفعــال الوحــش اللامتوقعة. وبقــدر تعلق الأمــر بهيمنة الوحش علــى خلفية اللوحة

بشكل دائم، ومهاجمة العازف من الخلف في أية لحظة يراها الوحش ملائمة ـ على وفق الرؤية المتشكلة صوريا داخل اللوحة ـ نستطيع كمشاهدين(من خارج اللوحة) توقع ما سيلحقه بحياة العازف من ضراوة غير متوقعة داخل اللوحة. ولبيان هول تلك الضراوة اشتغل التصميم (تصميم الغلاف) على أن تكون اللوحة متقدمة على خلفية كبيرة مستنسخة عنها في إشارة إلى انغلاق خلفية الحياة على تلك الضراوة.

الإنفتاح على القصة والحكاية

في قصيدة (شاعر) ثمة قصة قصيرة ـ يرويها بولص بأسلوب شعري لا يؤهلنا للحكم عليها كقصيدة، أو كقصة قصيرة لأنها الاثنان معاً في آن واحد ـ تبدأ بالفعل (دفن) في إشارة إلى أن الحدث قد وقع في الزمن الماضي وعليه ترتبت الأحداث الأخرى، وان فاعل الدفن هو (شاعر) ما داخل النص ولهذا وضع بولص عنونته من دون أن يلحق بها (أل) التعريف ليضع أمامنا حقيقة انه يروي عن شاعر لا علاقة له بالشاعر الذي يروي عنه من خارج النص.وكأي فاعل لا بد له من مفعول وهي هنا القصائد:

دَفَنَ الشاعرُ القصائدَ

ولا تغير (أل) التعريف هنا شيئا من مجهولية الفاعل لأنها تعود على (شاعر) العنونة. أما التوصيفات الأخرى فهي مجرد رسم لملامح فعلته القاسية، ومسببات تلك الفعلة المؤلمة التي تدل على أن الظرف المحيط في بلاده لا يقل قسوة عن دفن القصائد أو وئدها وهي ابنة ليلة واحدة حسب. وفي اثر فعل (الدفن) يأتي فعل (المسح) لفاعل هو الشاعر نفسه ولمفعول يختلف عنه وظيفياً (روائح) وهي غير قابلة للمسح ولكن بارتباطها بالنوافذ المتفحمة لبلاده تصبح كذلك نظراً لارتباط الروائح بشواء بلادة المتفحمة. ثم يأتي الصمت الاختياري ليدخل في منافسة خاسرها يخضع بشكل ما إلى ما سنه (شالوك) في (تاجر البندقية) بخبثه المبين من مطالب في منتهى القسوة البشرية. بولص هنا يبتكر أحداث نصه من غرائبية الواقع الذي يحياه يوميا، وتفصيلياً لبلاد شديدة الوطأة، فنتازية المسار، وغرائبية السلوك. فمن مقدمة النص ينتقل إلى وسطه ليقدم وصفاً تتداخل عنده وظيفتا الشعر والقصة. الشعر بتكثيف توصيفاته الفنتازية، والقصة بتوصيفاتها الاستطرادية لخلق صور واقعية الحدث، وفنتازية المسار في آن واحد. لنتأمل في جوهر الصورة الآتية:

«طفل على وسادته وهو يحلم بابيه الذي بلعه الحوت المحلي،

لا ذاك الذي يبلع الأقمار»

في هذه الصورة ثمة مفردات مهمة جدا وهي الطفل الحالم بأبيه، والحوت الذي ابتلع أباه، والحوت الآخر الذي يبتلع الأقمار. وهذا يعني ارتباط المفردات الثلاث مع بعضها بصلة وصل واحدة هي الطفل (مركز البراءة). فالطفل هنا يرتبط أولا بصلة الرحم مع أبيه ـ الذي يرتبط هو الآخر بالحوت المحلي الذي ابتلع البلاد والعباد ـ ويرتبط ثانياً بالحوت المحلي الذي يبتلع الأقمار، وهذا الحوت بريء من دم الأب براءة الذئب من دم يوسف، وفي واقع الحال يرتبط حوت الأقمار برؤية جمعية شعبية فولكلورية تبرئ ساحته من

هضـم الرجـال والأموال قدمه لنا الشـاعر لارتباطه ببراءة الطفولة التي انتهكها الحوت المحلي بقتل الأبوة، أو ابتلاعها، أو تشـويهها، أو تشييئها على وفق إرادته ورغبته المحض. ضمن هذه الصورة نجد قصتين متداخلتين لحوتين مختلفين، ومرتبط بعضهما ببعض عن طريق الطفل. يكتفي الشـعر بالتلميح إليهما باعتبارهما طاقة مخزونة في ضميرنا الجمعي بشكل فعل جماعي ذاكراتي يرتبط بما آل إليه وضع البلاد إبان هيمنة وسـطوة الوحـش الـذي بدّد حلـم الطفولة، وقتل البراءة، وحرّم عليها دوام الدفاع عن قمرها المنير المهدد بكسوفات، وابتلاءات، وابتلاعات جديـدة، ومـا إلى تلك القصـة من مكملات تراثيـة، وحركيـة، وصوتية، وطقوسـية. ومن خلال القصتين نعرف مدى كابوسـيّة الوحش الـذي طال فعله التدمـيري الأبوة، والطفولـة على حد سـواء. وفضلا عن هذا كلـه قدم لنـا النص لقطة صامتة لشـجرة تميـل على النهر، وتكاد تسـقط فيه بينما يظـل الشـاعر موغلا في صمتـه لان الكلام يكلفه أرطال لحم تقطع من جسده على وفق اشتراطات شايلوكية خبيثة وملزمة؛ جعلته ليس كممتنع عن الكلام حسـب بل كمساهم في إسـقاط الشـجرة لتدفن في مقـبرة النهر بـكل أغصانها الخضـر، وعصافيرها الصغار. الوحش إذن يحيِّد الشـاعر إذ لا يسـتطيع القضـاء عليـه كليـاً ليبلـوَهُ في جرم غير مغفور، ولتبدأ من هنا (قصة جريمة شاعر) كاستنتاج أخير للقصتين السابقتين، ولتشكل القصة الجديدة رؤية الشـاعر للواقع المعاش من خلال صورة الشجرة وهي تغرق مع من عليها من العصافير الصغيرة ليصل الموقف إلى ذروة أزمته عندمـا يراقب العصفور (الأب) كما يراقب الشـاعر غرق أبنائه أمام عينيه دون أن يفعل أي شيء.

«ببساطة، فكر الشاعر بان العصفور جن جنونه لأن صغارا له رافقوا

الشجرة في غرقها تنفيذا لتخيل الشاعر وكيمياء تراكيبه!»

وبهذا تقفل الفاجعة نفسـها على البراءة فـلا يبقى من الشـجرة غير غصـن واحد، وعصفور واحد يتحركان فوق مدفن الشجرة. وبهذا يكون النص قد استكمل قصوى غاياته مشـيدا بناءه على لبنات رصفت في أسـاس القصة مثل: الدفـن، النوافذ المتفحمة، الدم، الامتنـاع عن الـكلام، البلع، الحـوت المحلي، الخـوف، خنق الأطفـال، النفـس الحزينة، الألم، الغرق، سفك الدم، رخام القبر، الجنون، الجريمة.

وفي النص الموسوم (البغل) يطوّع بولص فـن الحكاية لتنفتـح على الشـعر تطويعا لحكمتهـا في خدمة غاية النـص الذي يبدأ بعبارة قص تقليدية:

في سالف الأيام والأزمان

يستكملها الشاعر تقفيةً، وسجعاً بالنون، ويبدؤهـا بالفعـل الناقص الـذي يفيد بث كينونتـه الشـرطية، ثـم يدعمهـا بفعل الحكي:

حـين يكـون الفلفـل مرجـان والحظ فنجان

يحكـى أن ملـكاً غريب الأطـوار حكم مملكة واهنة

لا نجـافي الحقيقة إن قلنـا ان (الملك) في

هــذه الحكاية هو (الوحش) نفســه في النص الســابق، وهو نفســه في النــص اللاحق وفي النصوص الأخــرى. وهو هنــا مطبوع على أطواره الغريبة:

عاقب قائد جيوشه بالوقوف على رأسه مدى الحياة لهزيمته في إحدى المعارك.

عاقب الترعة بتجفيف مائها نظرا لظهور أفعى حمراء فيها.

عاقــب البســتاني بالبقاء أســبوعا على شــجرة التفاح لأنه ذكر في جرده أن شــجرة الانتصار قد اختفت.

عاقب طباخة القصــر (زوجة الحطاب) بالنوم تحته ليلة كاملة.

عاقب الحطــاب (زوجها) بجعله بغلا له يحمله علــى رقبته من مــكان إلى آخر كأي دابة على وجه الأرض.

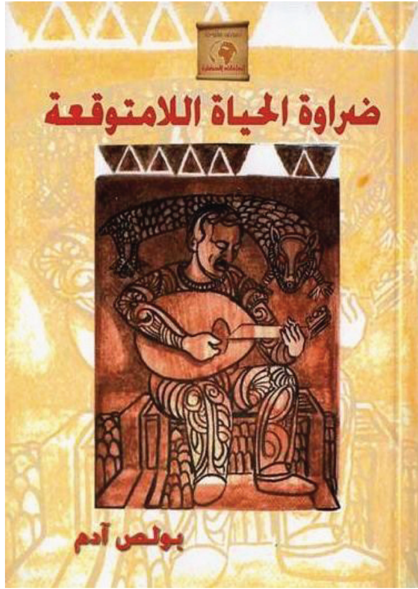
في هــذه العقوبــة (الأخــيرة) بلغ النص المفتــوح مفترق الطرق بــين محتواه، وبين عنونته التي أعطت انطباعا أوليا أن المقصود من ورائها هو الدابة/البغل، وليس الإنســان/ الدابة. لقد اســتخدم الملك بغله البشــري في حلــه وترحالــه، وحدث ذات يــوم إن طرق رجلا الملك باب البغل فخرج إليهما متسائلاً:

-عجباً! ما الداعي لحضور حضرتكما، فأنا أعرف وجهتي اليومية إلى القصر كبغل؟

-اليوم شيء آخر

عليك أن تحمل جلالة ملكنا إلى القبر.

إن الجملة الأخيرة الوامضة ألقت بمعناها ومغزاها التنويري بسرعة خاطفة هي سرعة زوال الظالــم واندحــاره بالموت المحتوم على الرغم من كل جبروته، وطغيانه، وسطوته، وهيمنته على أحوال البلاد والعباد.



الانفتاح على المسرحية الصامتة

على الرغم من أن المســرحية الصامتة لم تحاول أن تجنس نفسها بعد ـ كنوع فني، وأدبي قابل للمشاهدة من على خشبة المسرح، وللقراءة من على الورق، وللاستماع من على المنــبر إلا منذ وقت قصير جدا حين أصدرنا مجموعة مســرحيات صوامــت تحت عنوان (ارتحــالات في ملكــوت الصمت) عــام ٢٠٠٤ فضــلاً عن بعض المحاولات المفردة الســابقة أو اللاحقة لكتابنا هذا، والمنشــورة ورقياً أو الكترونياً ـ إلا أن الشــاعر بولص آدم طوّعها لخدمة نصه المفتوح (أصوات جديدة لمطحنة قديمــة) مســتخدما أفعالهــا الحركية التي تمنح الجسد لغة خاصة تحوله إلى أداة طيعة لإيصال الأفكار المختلفة بالإشــارة، والإيماءة، وحركة الأطراف، والجسد على الخشبة؛ وأداة حركية مرنة في رسم المواقف الدرامية على

الورق. وقد استخدم الحوار المنطوق أكثر من مرة واحدة كان بمقدوره الاستغناء عنه لو شاء ذلك ليظل النص مشكلا من الصمت حسب.

لنستعرض الأفعال الوصفية المشكلة للنص:

أولا .الأفعال ذوات التوصيف الأنثوي

تطلق، تصم، تحمي، تشد، تترقب، تتسع، تنفث، تلتف، تنهمر، تتصاعد، تتقدم، تدخل، تساق، تلاشي، تقف، تنفض، تنقل، تعوي، تنظر، تطرد.

ثانياً.الأفعال ذوات التوصيف الذكوري

يتصبب، يقتنص، يقف، يشعر، يتصاعد، يتغير، يلمح، يتأخر، يتناهى، يحترق، يستمر، يفتح، يواجه، يرفع، يتثاقل، يبدو، يتأمل.

من هذه الأفعال نستنتج هيمنة الجملة الفعلية على النص بكليته فضلا عن هيمنة الفعل المضارع على مسار الحركة الآنية للحدث درامياً مع بعض الاستثناءات القليلة جدا والتي استخدم فيها بولص الأفعال الماضية الآتية: قال، وقع، سأل، نظر، بدأ.

إن هذه الهيمنة المضارعة شبه التامة تنبئ بحاضر الفعل الذي يدل على حاضر الحدث، ولحظية وقوعه؛ وهذا مرتبط بطبيعة حياة الدراما التي تحدث آنياً على خشبة المسرح ـ فهي تختلف عن الرواية التي تسرد ما حدث، والقصة التي تخبرنا بما حدث، وكلتاهما تعتمدان الفعل الماضي كفعل رئيس للنص ـ فضلاً عن اعتماد النص المؤثرات الصوتية (طقات المطحنة، تكات الساعة، ناقوس الكاتدرائية، دربكة سرير المضاجعة) والتي تركت تأثيراً درامياً واضحاً في انتقاله من مشهد إلى آخر، وانطباعا سردياً باستخدامه لهذه المؤثرات كهمزات للوصل بين فقراته المسرودة. ولكي لا ينحو النص منحى دراميا خالصا اشتغل النص على الأفعال التي تصف الحركة أكثر من الأفعال الحركية نفسها. يقول بولص آدم في مفتتح النص على سبيل المثال لا الحصر:

تطلق صرخات تصم الآذان

الفعل في هذه الجملة يصف حال الصرخات بدلاً من أن يتركها لتعبر عن حالها بشكل مباشر. فلو جاء النص بالفعل (تصرخ) فانه يكون في غنى عن الوصف نظرا لوقوع الفعل الذي يلغي الوصف. وعلى الأغلب أن بولص تعمد الاشتغال على الأفعال الوصفية لتكون لنصه استقلالية واضحة عن الدراما، ولكي يكون مفتوحاً على الشعر، والقصة على حد سواء.

الانفتاح على السينما

ليس غريبا على من عرف بولص آدم كواحد من المهتمين بل العاملين في الحقل السينمائي اهتمامه بالسيناريو أيضاً. في نص قصيدته الموسومة (الحجر الأساس) أسس لانفتاح الشعر على العمل السينمائي فبدأ بـ(النسخة الأولى) للفيلم ـ مزينا ثرياها بما قاله السينمائي الفرنسي روبير بريسون: «قد لا يرى الناس في هيامك بالحقيقة سوى الجنون».

ومنطلقا من (المهمة) الأولى أو اللقطة الأولى لسيناريو القصيدة/الفيلم التي حددت زمن اللقطة ونوع الحدث:

« الصباح الأول له بعد العاصفة»

الحدث الاستباقي الأول إذن هو ظهور

العاصفة التي استمرت طوال الليل السابق للصباح الأول وفيه (تمنت) الشخصية فظهرت أمنيتها كرؤية داخلية (مونولوج داخلي)، أو كاسترجاع لما تمنته (فلاش باك). ثم تأتي المهمة الثانية أو اللقطة الثانية التي تصور المكان ما بعد العاصفة، ومغادرة الشخصية للمكان المدمَّر إلى مكان آخر تحت الأرض. فلسفة اللقطة تشير إلى أن العاصفة كانت الحد الفاصل بين مميزات الشخصية أو مجموعة الشخوص المتواجدين فوق الأرض والتي فقدوها تحت الأرض فتأقلموا على حياة العماء. وفي حياة العماء تلك يهتدي عالم الآثار (اندراوس هرمز) عن طريق الحلم إلى الطريق المؤدية إلى (الحجر الأساس) الذي احتفظ بداخله بأنبوبة تحتوي على هيكل عظمي لملك عوقب بالحشر داخل الأنبوبة حياً (للتدليل على معالم عصر بناء المبنى) قبل أن يوضع في الحجر الأساس.

في لقطة لاحقة تضمنها سيناريو القصيدة هي:

«كشف ذلك اللغز»

وعملية الكشف تصور من قبلنا ـ كقراء للنص ـ على وفق مخيالنا وقدراته التصويرية، أو عن طريق ما توفره السينما من لقطات توضيحية وتفسيرية أثناء العرض.

هذه الأمثلة، وأخرى غيرها يحفل بها النص ـ من أوله إلى آخره ـ توضح الكيفية التي على وفقها استطاع بولص آدم جعل السيناريو مدخلا في الشعر ومنصهرا معه في تلاحم قوي يفضي إلى استكمال مشروع النص المفتوح ـ المستوعب للحالة والحدث ـ بطريقة سهلة تيسر فهمه، واستبطان جوانياته.

من هذا كله نستنتج الآتي:

١. اشتغال بولص آدم على اجتراح نص مفتوح على الأجناس السردية، والفنية كمهمة رئيسة من مهامه الشعرية التجديدية والتجريبية في آن.

٢. جاءت عملية اجتراح النص المفتوح على وفق الضرورة الملحة لاستيعاب النص الجديد لكامل هموم إنساننا المعاصر.

٣. عمل بولص آدم على تطويع القصة، والحكاية، والمسرحية الصامتة، والسيناريو السينمائي لخدمة نصه الجديد.

٤. اعتمد التداخل، والتماهي، والمصاهرة، كأسس رئيسة من أسس بناء النص الجديد (المفتوح).

٥. انتقاؤه الدقيق للوحة الغلاف والتي تصب في مصب الانفتاح على الفنون الجميلة فضلا عن تعبيرها الدقيق عن المحتوى العام الذي أراده الشاعر، وتوصل إليه من خلال النص.

نأمل أن نكون في هذا المقال المقتضب قد القينا ضوءًا على جانب من جوانب تجربة الشاعر بولص آدم، وعلى كيفيات الانفتاح على الأجناس الأدبية والفنية كما تضمنتها مجموعته (ضراوة الحياة اللامتوقعة).



رواية ئاسوس: أفق مفتوح وحياة جديدة

ناجح المعموري

أعتقد بأن رواية ئاسوس للفنان محيي الدين زنكنه أول رواية عراقية شكلت الطفولة صوتاً ضمن تسعة أصوات هي حواريات الرواية القصيرة ووزع زنكنه الأهمية الفنية والفكرية عليها، بحيث تبدّت جميعها متوازنة وبحركة متجانسة وإيقاع توفر فيه الانسجام التصاعدي، والنمو التدريجي لها. وكان «ئاسوس» ابن خمس سنوات قد ارتبط بعلاقة حب طفولي، غريب من نوعه، حيث تعلق تماماً مع طائر القب، والعلاقة بين الاثنين كانت تعبيراً عن انتماء ئاسوس المبكر الثقافي وعلاقته مع الطبيعة الكردية من خلال طائر الحجل. للطائر حضور قومي في مكان مكون قومية أكبر وأوسع وهي مدينة الحلة. هذا المكان له دلالة خاصة في الرواية، فهو الذي انتقل إليه فرهاد وأعتقد بأن وجوده فيه قسري ولأسباب سياسية، ووجود الأسماء الكردية في الحلة شكل من أشكال تمثلات الثقافة والحوار الثقافي بين قوميتين.. وأربيل متحركة نحو مدينة الحلة من خلال الاتصال الهاتفي بين دلشاد وفرهاد، بين أربيل / والحلة. كبرت دلالة مكان النفي عندما تسلّم اتصالاً من أخيه دلشاد يخبره بوضع والده الصحي

الشيء وبعد المسافة ضاغطة نفسياً وأن لم يصرح الزوجان بذلك. الحلة مدينة تحولت الى مكان لتعطيل رجال السياسة من خلال سجنها المعروف، والذي رآه فرهاد بزيارته لأبيه المسجون فيه واتسعت العلاقة مع المكان / السجن ودخل إليه كل من باران ودلشاد وفرهاد وداليا وعزيز لزيارة باران والد فرهاد والعم الياس والد داليا وعزيز. زج محيي الدين زنكنه شخوصه وسط الهم السياسي وكلهم تقريباً ارتبطوا بالسياسية وانتموا الى الحزب الشيوعي. عرف فرهاد بوقت مبكر الأفكار السياسية ومنذ كان عمره سبع سنوات عندما كان باران نافذة لدخول الحياة وخصوصاً حياة الفقراء والبؤساء وتحول الاثنان فرهاد وعزيز باتجاه السياسية التي الجأتهم الى السرقة من أجل مساعدة العوائل الفقيرة:

- ما فعلتماه.. ينطلق من شعور نبيل.. بآلام الناس وجوعهم ولكنه شعور.. أخطأ الطريق الصحيح للتنفيذ............ ليس ذلك طريق حل مشكلة الجائعين والفقراء... إن ذلك طريق آخر يا فرهاد.

سأله بلهفة: - ما هو ؟ أين هو ؟

- ستعرفه.. يا فرهاد... سأجعلك أو يجعلك غيري أن تعرف وستشقى في سبيله كثيراً.. وتتعذب ولكنك تظل متعلقاً به.. ولن تجد خارجه سعادة حقيقية لك... ثم عانقه، وهو يقول:

- إني أتوسم الكثير.. قلبك وفي. وظل بعد ذلك يحدثهما.. حديث رجل لرجلين وصديق لصديقين.. كلما وجد في الوقت فسحة // ص١٧٢

توزعت رواية ئاسوس بين مركزين أولهما الخبر المنقول عن خطورة الوضع الصحي لباران، والمركز الثاني الأكثر تمركزاً علاقة ئاسوس مع القبب[١]. واتضح وتطور المركز الأول من خلال الثاني الذي انفتح كثيراً في السرد وتحول الى محيط واسع للغاية، شمل عدداً من الأمكنة والوقائع التي هيمنت على السرد كي يصير بؤرة موحدة وئاسوس مركزها. لا شيء يتحرك خارج انشغال ئاسوس، او ينمو بعيداً عن طائر القبب[٢]، وظف محيي الدين زنكنه الطفل ئاسوس بذكاء ومهارة، كي يتحول الى كشاف يضيء بعض المساحات الفنية، مثلما كان سبباً في دخول شخصيات أخرى الى الرواية. ظل ئاسوس مركز الرواية وكشّافها الفني ومساهم بشكل من الأشكال بإضاءة جوانب فكرية، شغلت فضاءً واسعاً. أهمية ئاسوس الفنية في الرواية لأنه استهلال العمل واستمرار وجوده ونموه وختم هو نهايتها. وبلغ الاهتمام الفني بها مرتبة عالية، انشغل محيي بها وأدرك أهمية ئاسوس وخطورته المتأتية من عمره الزمني وصعوبة الموازنة بين عمره وبين مشاركته بما حصل ويحصل بحيث هيمن على ما يجري، بلغة سردية تداخل فيها الرمز والمجاز واتضح بأن ما كان يقوله ئاسوس عن ئاسوس يمتد ليستوعب باران / الجد المريض، الذي كان رجلاً ومعلماً بالنسبة لولديه، واختار محيي جبل ئاسوس كي يتناظر رمزياً مع أبيه ويضفي صفة الثبات والقوة والشجاعة ولوذ الناس به واشتغلت الرواية على ئاسوس بفنية عالية، وكأن مشاعر ئاسوس على طائره / ئاسوس

زاحفة نحو الجد الذي يعاني سكرات الموت ولم يشأ زنكنه التركيز على اللحظات الأخيرة للأب، بل اهتم بشكل جيد بالوضع النفسي لئاسوس وحيرته على طائره / ئاسوس الذي أشار عبر المجاز لباران المحتضر والتناظر بين ئاسوس والأب فيه شعرية وتسامي وبلاغة في التعبير الذي أفضى نحو صورة شفافة عن الأب وقد اختصر محيي الدين زنكنه كل ما في ذهنه عن والده، عندما أوكل المهمة الصعبة والمعقدة لئاسوس الطفل وقد نجح زنكنه جيداً بتحقيق الانسجام بين ئاسوس وعمره وثقافته وحواره، ولم يكن كل الذي قاله بعيداً عنه، بل هو مرتبط بعلاقة مع ئاسوس بشكل مباشر، وساهمت هذه العلاقة بتصعيد المأساة والإحساس بالخسارة. وخصوصاً حوارات السائق مع ئاسوس التي حاولت إرضاء ئاسوس بشراء قب[٣] فخاري، لم يقنع به الطفل وتركه يسقط في السيارة، لأنه ساكن وغير حي بحركة مماثلة لطائره، حتى البلبل المعلق أمام السائق لم يمنحه هدوءاً كاملاً. الطفل مقترن بالطائر وبذلك يضيء العلاقة بين فرهاد وأبيه التي لم تكشف جيداً بشكل مباشر وحاز الطفل على موقف فيه شفافية وجمالية مضيئة لمكانة الأب المتميزة والفريدة [أحس فرهاد بعجز عن قول أي شيء... فاكتفى بأن تساءل:

ـ والنتيجة ؟... الى متى سيظل يبكي ؟ قال أبو حيدر... ونهنهات ئاسوس تنزل رصاصاً مصهوراً في ضميره... سيقتل نفسه هذا الولد.

استسلم فرهاد لعجزه.... تماما.

ـ لا أدري ماذا أفعل... لا أدري.

قال أبو حيدر:

ـ أتسمح لي أن أقول لك ما ينبغي أن تفعل ؟ أو.. ماذا كنت سأفعل، لو كنت مكانك ؟

تساءل فرهاد بيأس: ـ ماذا ؟ ـ كنت أرجع.

ـ ترجع ؟

صرخ الرجل والمرأة.. وكل منهما يخيل إليه أنه يستمع الى صدى ما يعتمل في نفسه.

ـ ما بالكما ارتعبتما ؟

....

....

ـ ولكن.. كيف يمكن أن نرجع.. لا.. لا.. لا يمكن أن نرجع.

ـ لم أقل لك ارجع.. قلت لو كنت مكانك.. لرجعت /ص١٦٦

أضفى محيي على السائق لباقة وخفة ومشاركة بهموم فرهاد وداليا، مع كونه لا يعرف كثيراً عن والد فرهاد، لكنه يعرف الكثير عن علاقة الطفل مع طائره [هز أبو حيدر رأسه وقال بغلظة:

ـ الأمر كما تقول.. فأنا لا أعرف الكثير عن أبيك.. وربما حتى القليل.. ولكني أعرف الكثير عن هذا الطفل الذي يذوي وعن طائره ئاسوس.. أيضاً / ص١٧٢] الطائر ئاسوس رمز مزدوج بدلالته، ومن هنا تمركزت واتسعت شعريته. الطائر دال على عالم ئاسوس، وعلى مكانة الأب، وتكفل ئاسوس بمهارة محيي الدين زنكنه التعبير عن ثنائية حدثية، لا بل تعمقت كثيراً وصارت فضاء موحداً للشخوص والرضا بهذه الشبكة

الشفافة التي هيمنت على الرواية وأعتقد بأن مثل هذه المهمة صعبة وليست بسيطة. لأن الموازاة بين عالم الطفولة والكبار، والاستعانة بأفكار الطفل وأحلامه للإفضاء على ما هو إنساني في منتهى التعقيد، لكن زنكنه تمكن من ذلك، ومن هنا تأتي أهمية هذه الرواية.

تسمية الطائر بئاسوس تعبير عن انتماء لقومية وتكريس له في مدينة معروفة الهوية، وهذا الانتماء هوياتي واعتزاز بثقافته القومية، كذلك اختيار اسم ئاسوس ووجود الطائر النادر في مدينة لها اهتمام بأنواع طيورية أخرى. أضفى القاص زنكنه اهتماماً على الطائر الزائر وللعلاقة بين الطفل وإياه وتحول الى مركز مهم وحيوي في الرواية، وتمتع بهيمنة كبيرة جداً وتنوعت دلالته واتسعت عميقة وصارت به الرواية أكثر شعرية ورمزية بتعبيرها عن التنوعات الثقافية والانتماءات الاجتماعية / والسياسية. منح الاسم للطائر وللطفل ينطوي على معنى كاشف عن وعي الجد العالي، وهو الذي أسمى القب[٤] ئاسوس ومنح الطفل اسم ئاسوس، ووافق الزوجان على اختيار الأب، إعلاناً عن احترامهما له وتعزيزاً لموقعه في العائلة، ويبدو بأن الطائر مرتبط بالجد، لأنه فكر بإطلاق اسم ئاسوس على المولود إذا كان بنتاً، ومن هذه اللحظة نشأت العلاقة بين الطائر والجد، علاقة خفية وعميقة، امتدت في الرواية، وصارت العلاقة بين الاثنين، من هنا استولد القاص ازدواج الإفضاء لئاسوس، وكان رمزاً دالاً وظل مقترناً ومتصاعداً كلما اقتربت السيارة من أربيل، حسم ئاسوس في الحلم نهاية الجد وقال بها بدون تصريح / أيمكن أن يكون حبه لطائر.. طائر «كرر مع نفسه» موازيا لحبه لجده ؟.. بل أبعد عمقاً، وهو.. هو بالذات، الذي كان بالنسبة له شيئاً.. شيئاً هائلاً جداً.. كما لو كان شكلاً من أشكال الاستمرار في حياة باتت الأيام والشهور والسنين تطويها في تعب / ص٣٩/ والتساوي بين الطائر والجد له دلالة على المكان ومميزاته الطبيعية وما يعنيه المكان / الجبل من معنى رحمي / صبياني والطائر نوع خاص، جميل يعيش في المناطق المرتفعة وئاسوس جبل معروف في كردستان، من هنا تتضح العلاقة بين الطائر وئاسوس والعلاقة واضحة بين الاثنين والجد.

يعني الاقتراب الى أربيل، حتمية تكشف الحالة التي عليها الجد، ولذا صعدت الحركة البنائية باتجاه التجلي، وتم توظيف ئاسوس، العين الفنية للتحرك باتجاه الجد، ولكن من خلال ئاسوس المتروك في الحلة بدون غذاء. وكان حلم ئاسوس كافياً للتعبير عن الحالة التي وصل إليها الجد / كادت المرأة تجن.. توقف أبو حيدر عن السير... بينما راح فرهاد يخضه.. ينقذه من الكابوس الجاثم فوق صدره.. ولم يكد الطفل يفتح عينه.. حتى صرخ باكياً:

- ئاسوس.. بابا.. ئاسوس.. مات.. مات.
- ئاسوس.. ابني..
- ئاسوس.. روحي.
- ولدي ئاسوس.
- ئاسوس مات.
- لا.. ابني.. لا.. لم يمت ئاسوس..

تحلم.

ـ ها..؟

وأجـال الطفل نظره هنيهة.. ورفض أن يصدق أن ما رآه.. كان مجرد حلم.

ـ لا.. لا.. ضرب الثلاجة بقوة.. وسـقط تحتها ميتاً.. وتفجرت عينا الأم بالدموع.

ـ بابا.. نرجع.. بابا نرجع / ص١٨٣.

تبـدو الرواية قصيرة، علـى الرغم من انفتاح المتن الحكائي على الكثير من الحوارات الممكن الاستغناء عنها، وأرى بأن محيي الدين زنكنـه تعامل مع الأصـوات المتعددة تعاملاً مسرحياً، حيث دائماً ما يكون الحوار طويلاً، ومسـتمراً بتدفقه وحتماً يعرف زنكنه بأن وظيفة الحوار في المسـرح مختلف عنه تماماً في الروايـة. منح شـخوصه فرصاً واسـعة للمشاركة بالحوار، في وقت لم يكن ذلك مهماً، مثل حديث السـائق عن دخوله للسجن لأنه قتل زوجته بسـبب فقدانها العذرية وتأكد بعد الفحـص بأنها عذراء وهنـاك حوارات أخرى لا ضرورة فنية لها، جرت بين فرهاد وداليا. ومثلما اهتم زنكنه بإضاءة شخوصه، تجاهل تماماً الأخرى التي ظلت غائمة مثل جواد عبد الأمير وكريم ومقهى السلام وكنت أتمنى أن يلعب الطفل حسين دوراً في الرواية ليحقق التوازن الفني المطلوب مع ئاسوس.

كشفت الرحلة من الحلة الى أربيل كثيراً مـن التفاصيل وهي ذات أهمية فنية بالغة، أضـاءت عتمة الشـخوص وكشـفت جوانب عديدة من حياتها ومثال ذلك سـجن باران وإلياس لأسباب سياسـية ومعرفتهما لسجن الحلـة وزيارتهما من قبـل عوائلهما، إعدام إلياس عام ١٩٥٥، والسـائق الذي ظل بانتظار ولده الذي أعدم في السـجن، وكلما رأى جنازاً اعتقـد بأنه لولـده، هذه الوحدة السـردية مثيرة جـداً، فالمـوت لا يضع حـداً للحياة، بل يبقى الأمل بالعـودة والحلم بما هو غير ممكن، اسـتمر الكشـف عن وحدات سردية عديدة أثناء التوجـه الى أربيل، ومنها أيضاً العلاقـة بين فرهـاد وداليا وكشـف حكاية الحـب التـي نشـأت بينهما بوقـت مبكر. واستعادة قصة الحب المباركة من قبل عزيز تنطوي على معنـى تجديد الحياة ومقاومة المو ّات والانطفاء، الذي يشير له الأب المسجّى، وانفتحت الرواية علـى الحياة، لكنها قدمت إضاءات سـلبية علـى الحياتي السـائد عبر كثرة الجنازات في الحلة وكثافة زو ّار السجن وازدحـام حركتهـم، احتضـار الأب وموته مع ئاسـوس، القطار الفارغ، القب[٥] الفخاري والبلبل البلاستيكي شكلان إيهاميان وبدون حياة، ولم يكونا رمزيين، بل هما يجسـدان الخسارة والإحساس بها.

في الروايـة شـخوص حاضـرة وغائبة، حضرت تلميحـاً وغابت في البنـاء الحكائي المتنوع، مثل شـخصية جواد، وكريم وظلت الرسـالة سـراً، بعث بهـا فرهـاد الى كريم وتكتم السرد عليها على الرغم من السياسية الحاضـرة فيهـا، لاأدري كيف سـوغ محيي الدين لنفسـه ذلـك الفعل الحزبي السـري والثقـة المطلقة بجواد، حتى لو كان منتمياً، باختصار شديد، ما حصل خرق للانضباط الحزبـي، وأعتقـد بـأن ما حصـل محاولة للتخلص مـن الدور الخاص بجواد في الرواية وفتح نافذة للتنوع من خلال السائق، هنالك

شخوص شاحبة مثل دلشاد / وعزيز / وأم داليا، وحازت الأخرى مركزاً مهيمناً في السرد، وأكثر هذه الشخوص أهمية ئاسوس / وئاسوس وعبرهما تبلور البناء الفني الذي اتسع لحركة الزوجين ومحيطهما الأول، الممثل له بالعائلتين. صحيح أن وضع الأب باران الصحي هو الذي تهيكلت عليه الرواية، لكن ئاسوس / وئاسوس هو المركز الحيوي الموحد لفضائين هما الحلة وأربيل، من هنا تشكل المجال السردي وتنوع بهدوء، لكنه لم يشطب على ثنائية ئاسوس / ئاسوس.

طلب الياس قبل إعدامه ورقة حمراء يكتب عليها رسالته المؤثرة والبليغة الى عزيز وداليا، معبراً فيها عن مشاعره تجاه الناس والحياة، سعيداً بالذي سيكون وحتماً سيتعرفان على حقيقة موقفه، ابتدأ الياس رسالته بداليا وثانياً بعزيز. وأعلن الياس حماسته للطريق الذي قاده الى الشنق ولو سيعود ثانية للحياة لما اختار غير الطريق نفسه واحتفظت داليا برسالة والدها ودائما ما تعيد قراءتها حتى حفظتها كلمة كلمة. وفاجأها فرهاد في عيد زواجهما الأول بنجمة مضلعة كي تحفظ فيها رسالة والدها. والنجمة الخماسية رمز دال على جذر الأرقام السحرية للآلهة الكبار في العراق القديم، وهي علامة على الإلهة أنانا / عشتار. وهي علامة الإلوهية وتدل عليها عندما تتقدم اسم الملك في العراق القديم. ولعبت النجمة عبر دلالتها دوراً تفاؤلياً مرحباً بالأفق والحياة، تكررت النجمة المضلعة خمس مرات في الرواية واختارها محيي الدين زنكنه نهاية روايته. وأعتقد بأن النجمة المرئية أحالت الى أخريات غير مرئية، نجوم عديدة توجت حياة الزوجين، فرهاد وداليا مثل عزيز / السائق / الأب / ئاسوس / وئاسوس، ولعبت الشخوص دوراً مهما بإضاءة حياة الزوجين وعلاقتهما. ولعل أبرز الأدوار التي تميز بها باران والياس، الدور السياسي ورفض الظلم الاجتماعي والتفاؤل والدفاع عن المظلومين والانفتاح على الحياة. وانعكس هذا الموروث الثقافي على سلوك فرهاد وداليا وأدى ذلك الى اتفاقهما على الزواج مع اختلاف ديانتيهما.

أعتقد بأن رسالة الياس بعد تنفيذ الإعدام لعبت دوراً واضحاً في حياة عزيز وداليا وتحولت الى ناظم لحياتهما، ومن كثرة اطلاعها عليها حفظتها [وسفحت فوقها الدموع دون أن تشعر وهي تقرؤها... مما حدا بفرهاد أن يفاجئها في عيد زواجهما الأول... بهذه النجمة المضلعة... كي تحفظها فيها... فاكتفت بترديد كلماتها التي حفظتها عن ظهر قلب / ص١١٣]

النجمة أكثر العلامات الموظفة في الرواية تعبيراً عن دلالات عديدة وقد أشرنا لبعض منها، وهي مقترنة دائما مع المرأة التي توصف بها. ومثلما تنوعت دلالاتها تعدد معنى حضورها في السياق السردي، وهذا ما سيتضح للقراءة من خلال النصوص السردية. وستكشف أيضاً ذكاء زنكنه في استثمارها متنوعة مع تعدد شخوصه ولم تظل النجمة المضلعة محكومة بالوظيفة الزينية بل تعددت الدلالة كما سنرى.

[راحت داليا.. تتحسس النجمة الذهبية المضلعة الصغيرة المتدلية بين نهديها... التي التصقت بلحمها بسبب العرق الغزير الذي

راح يتصبب منها... بعد توقف السيارة وضعتها فوق ثوبها... وقالت:

- إن تاريخاً أسود، مليئاً بالكراهية والحقد.. تخطه هذه البقعة الخرساء.. في نفس كل فرد منا / ص١١١]

استحضار الوالد الياس المنفذ به حكم الإعدام وجعلت من المحفوظ في النجمة جزءاً من لحمها / جسدها، وربما يقال بأنها - النجمة - تشير لتاريخ الحب بين الاثنين، داليا / وفرهاد فقط. استذكار الأب اقتراناً مع مشهد سجن الحلة، ليس الأب الياس فقط، بل باران الذي كان سجيناً، كما يمثل ذكرى للطفلين فرهاد وداليا.. وتنفتح النجمة دلالياً على تنوع آخر ثقافي / وديني، مهد له زنكنه [للمرة الأولى، أحست بفارق بينها وبين الأخريات وقد أقلقها ذلك الإحساس.. آلمها الى حد بعيد.. وذلك حين أخرجتها معلمة الدين، مع بضع أخريات.. من الدرس] ص١٦٤ واستطاعت الأم بعد معارضتها القبول والاقتناع بالمختلف وبعد عودتها لوالدتها [وهي تحتضنها.. وتلثم النجمة المضلعة التي تتدلى من رقبتها.. التقت شفاههما.. فوقها.. فأحست المرأتان بإحساس عميق يشدهما.. ويزيد من عناق الواحدة منهما للأخرى ص١٦٤] عودة الأم ورضاها بزواج داليا، تجاور تام بين المسيحية والإسلام وتقبيلهما للنجمة مباركة للتحقق بين الاثنين واستعادة لذكرى الياس الذي لم ينس زوجته عندما كتب رسالته الأخيرة، واعتذر منها للمتاعب الكثيرة التي كان سببها. لقاء الأم والبنت معاودة جديدة وأكثر وعياً للتاريخ الجديد الذي دشنه زواج الاثنين [فتحت شق ثوبها الأسود من جهة الصدر.. وأخذت تمسح رقبتها وصدرها.. «لا أدري، لا أدري.. ماذا يتحتم عليّ أن أفعل؟».... أخذت تلثم النجمة المضلعة.. بابا.. لو كنت أنت فرهاد.. وكنت أنا.. ئاسوس.. أكنت تدعني.. أن.. أن.. ليس هو.. هو فرهاد وحده الذي يدع الطفل يتعذب.. بل ربما أنا.. أنا المسؤولة.. آه.. ص١٦٨.

الكلام موجه للأب إلياس وماذا كان عليه أن يتخذ من قرارات لو كانت داليا ئاسوس ؟ ولثم النجمة هذه المرة تعبير عن ديمومة علاقتها مع والدها، ولم تكن علاقتها مع النجمة لأنها ذهبية وإنما لأنها حاضنة لرسالة إلياس المرسلة لها ولعزيز.

حصل الانعطاف الأخير، وغير المتوقع أبداً. كان حلم ئاسوس النبوئي وتفجيره للمأساة وتصعيد الإحساس بها سبباً بالذي حصل بوصفه تحولاً درامياً، مشحوناً بالمأساة والفجيعة، لكن التحول تشكل معتمداً على الوقائع كلها في الرواية، هو نتيجة لذلك ومعطى من معطيات وموقف بقبول التابو متأت من تأثيرات الأب إلياس على عزيز وداليا، لذا كانت ذكراه حاضرة وحية في حياة الزوجين وحصراً داليا.

[بدأ ئاسوس.. يحرك شفتيه.. ويخرج صوتاً مخنوقاً. .

- ماذا به.. ماذا بالطفل ؟

سألت داليا بخوف.

- لا شيء.. لعله.. يحلم.

قال أبو حيدر بألم:

- وهل كف المسكين لحظة عن الحلم.

....

ـ ليحلم.. لا ضير.. كل إنسان يحلم. ص١٨٠]

حلم ئاسوس هو الذي أحدث تحولاً مفاجئاً وغير متوقع أبداً، لأن الوصول الى أربيل هو المطلوب والتمكن من رؤية باران في لحظاته الأخيرة وتوظيف زنكنه لئاسوس بدلالة مزدوجة، فتح مجالاً فنياً وفكرياً، وهذا ينسحب كذلك على الطفل ئاسوس، المقترن مثل ئاسوس مع الجد / باران، لأنه اختار الاسمين، ولأن ئاسوس هو الأفق فبالضرورة ما يكوّن المستقبل هو الحلم المترقب، ولأن مكوناتهما الثقافية / والفكرية ذات أصول معروفة لنا، واختصر ئاسوس الحاضر والآتي ولابد له من البقاء وحيازة حاضر جيد ومستقبل زاهر:

ئاسوس حلم العائلة وأمل البقاء والاستمرار بالنسبة لباران المستقبل وأفق الحياة. ئاسوس أفق العائلة الذي اختاره باران لحفيده الجديد. ولأن ئاسوس هو الحاضر والمستقبل، فلا يجوز أن يموت بطريقة دراماتيكية. لابد أن يبقى الطفل / ئاسوس، لأنه رمز للعائلة، ابتداءً من باران ودلشاد، فرهاد وداليا. وموت باران أمر حتمي ومنطقي ولا يمكن إنقاذه، بينما احتمال كبير قائم للحفاظ على ئاسوس، العلامة الدالة على كردستان في مدينة الحلة. ويجب التمكن من حل واحد على الأقل، هو العودة الى الحلة وهم قريباً من أربيل. مات الجد، هذا هو حلم ئاسوس الطفل الذي وحّد بين ئاسوس / القب(٦) وبين الجد باران، هنا تكمن الثنائية الصعبة / المعقدة، وقد تمكن منها محيي الدين زنكنه. الاستجابة للحلم / الطفل / المستقبل، هو المعيار الحقيقي للعلاقة بين الطرفين ئاسوس / ئاسوس / الجد / باران. ظل ئاسوس هو المحور المركزي الذي ابتدأ منذ بداية الرواية وحتى أسطرها الأخيرة، بمعنى ئاسوس / وئاسوس هما جوهر الرواية الجاذب لعدد من الشخوص كما قلنا.

بعد أن استمع ئاسوس لاستجابة الوالد للعودة [طوق.. ئاسوس عنق أبيه.. يغمر وجهه بالقبل والتقت ثلاثة أكف.. فوق رأس الطفل تربت عليه بحنان، وبدا فرهاد أنه يلمح في وجه الطفل المبتسم وجه أبيه، يبتسم له.. ويكشف عن سنتيه البارزتين. ص١٨٣]

حسم ئاسوس الموقف وانتصرت الحياة على موت الجد، وموته حياة باقية عبر الطفل، وئاسوس رمز للحفاظ على ذاكرة الكورد وتاريخهم الثقافي. والعودة توسل بالانبعاث الممثل له بئاسوس بوصفه امتداداً للجد [وحين مالت عليه داليا تقبله سبقتها الى وجه الطفل النجمة المضلعة المتدلية من رقبتها.. فلثمتها معه بسعادة. ص١٨٣].

لثمة داليا للنجمة مباركة للأفق الجديد والمفتوح، واعتراف بمستقبل العائلة، فرهاد وداليا وئاسوس، مثلما هو تمجيد لتاريخ الجد ومثوله في حاضر العائلة ومستقبلها وهو كائن مع غيابه الفيزيقي ومدونته ما يشير إليه بالبقاء والاستمرار.

الطريق

شعر: هيرو كورده
ترجمة: جليل محمد شريف

تُغرّرُ بي الكتبُ
في منزلي هذا ذكرياتي نمطٌ فريد
أمّا في ملبسي فأنا فتاةٌ على شاكلة أخرى
فؤادي في الجانب الأيمن من صدري
وفي الجانب الأيسر من السكة يتشكك رجلٌ في وجودي
ماضيةٌ أنا
وللمرة الأخيرة تسدلُ والدتي الستارة
أواصل خطاي
(مسمار)
(حجر)
أرمزُ لكلماتي بحروفها الفوائح
وجودي مستقر في رحم عدمي
تغورُ يداي في ثنايا قلبي، اللون المفحم يلوح في زجّتي ذات المئة عام
أتشبثُ بنفسي
لاتأخذني السكة الى الجهة الأخرى
أ
أنا
م

منزل
ما الّذي يبقيني في مأواي
الطرقات تجذبني
أولئك الرجال يتحدثون عني
تلتهمني العيون
الأفواهُ تدفنني في الافتراء
الطرق تمضغني
يمتلىء صدري حَنَقاً بلا حدود
تفترسني الظلمة وأفترسها
لا أعلم
الوحشة من هذه النافذة شيء آخر
تحكّني قدماي
في هذا الضباب لا ألمح أيَّ شيءٍ والرؤية لاشيء
أخشى أن أغادر المكان وتبقى أنت
في مضجعي
مرتدياً ثيابكَ الجديدة
وتبقى ها هنا عند حوض السمك.
مدخناً اللفائف في مواجهة زوجي العبوس.
أنا منقسمة بين خشيتي من السفر والرغبة فيه
يحثني منزلي على أن أغادر المكان
(م)
منزلي
في هذه الدار يتآكل جسدي
زوجي في حالةِ غضب دائم
قلبي ميالٌ اليكَ اكثر
أما روحي فهي لديك هناك
في المقهى الكبير
كتبت على صدر الماء (حجر)
انحَتْ في أسفل الصخرة هلمّي
وانطلقي نحوي
وعندما أصل الى الصوب الآخر من الشارع
فاذا بك تختفي وتغيب عني

خطواتي لاتطيق حملي
ثمة رجل في كل مدينة، ذو معرفة بي
يخفي حديثه عني من زوجته
رجل ينصبني محل النقطة والفارزة في أحد أشعاره
أنام ويبقى طفلي متحركاً في جوفي
وزوجي يغطُ في شخيره
وانت في تلك المدينة القاصية
تكتب خواطر من وحي جسدي دون أن تراني
تدير الطرْف ولا يصلك أريجي الفوّاح
تحنُّ اليّ دون أن تصلك رسالة مني
أغادر الى الشاطي الآخر من الطريق
لاتكتفي خطواتي الاّ للوصول الى الوجه الآخر من السبيل فحسب
وذلك في منامي
أنشقُّ الى شقّين
الطفلة المستقرة في بطني تواقة للسير
لكنني لا أجد يداً تتلقفني بعيدا
لأ عبر الطريق ولو بخطوة
ما أشدَّ أسفي
تواصل مسيرك حتى نهايات المدن
كم أنا سعيدة
تجعل حافات العالم غايتك القصوى
أرغبُ في المسير لكنّ قدميّ قد تخدّرتا
استغرق مسيرنا قرناً من الزمنِ
تتطاير الصراصير
لكنّي مازلتُ هنا
والخنافسُ تواصل السير الى أبعد مدى
ومازلتُ في مكاني
على مقربة من السنادين، وأمام آلة الجرجر
تحبو طفلة رحمي
وتحكها أقدامها
طفلتي هذه راغبة في أن تخطو خطواتها البِكر
انغرست رجلاي في ارضيةِ غرفتي

أرى صغيرتي تتبع الطرقات
لاتعلم ماذا يجري في بيتي هذا
وايّ جحيم تحيط بقدميّ
اختفت هي عن أنظاري
والطرقات تمتد بعيداً بعيدا
تتثاوب نافذتي
وبعلي يُسمِعني دردمتهُ المتواصلة
وأسدلت الستارة من جديد
هناك أنا
في الصوب الآخر
الى حين قدومه
لو تجعلني أصاحبك الى أقصى الأرض
واثقة أنا من مجيئك
واعلم بوجودك الدائم على مقربة مني
تراقب منزلي من خلال الضباب.

في تهذيب العاطفة



دلشا يوسف

القُطبُ الآخَر

حينَ كُنتُ كنَهرٍ
أسيرُ عكسَ البوصَلة
كُنتَ أنتْ...
تُشيِّدُ لنفسِكَ قِبلَةً!.
حينَ كانتِ الشَّمسُ
ترتفِعُ مِن مَشْرِقي
كنتَ أنتْ ....في الغَرب
تنصبُ الفِخاخَ
أمامَ الأماني!.
ألَم تكُن أنتْ
حينَ تصادَفنا
عندَ نجمِ سُهَيل؟
وعلى مُفتَرَقِ

دَرْبِ التّبّانةِ
كُنتَ تُلَملِمُ النُجومَ المتساقطة!.
متى ستبلغُ الفِطامَ
وتدَع شَمشَمَةَ تَلابيبي؟.
لَن نَنهَمِرَ معاً،
ما لَم تَستَحِل أنتَ...قُطباً آخَرا.

إعدام الصوت

آهٍ..
من سنوات
إعدام الصوت
على مرآى من
الحنجرة
آن لنا
أن نهدم جدار الصمت
بالغضب المقدس
و نخرج أيدينا من قلوبنا.

نبراس

عزيزي...
حين أكون
في أوج الخصام معك
تيّقن عندها
أنني....
في أوج حبي لك
حبُّك....
نبراس
يضيء الزوايا العاتِمة
في قلبي
نبعٌ متدّفقٌ
في أحشائي
يُزهرُ

صحاريَّ الموحشة

* * *

في الحبّ...
لا خصامَ
لا تحت و لا فوق
لا حدود
لا أنا و لا أنت
في الحبّ...
الأكاذيب أيضا حقائق
عندها.....
سأكذب عليكَ
كذبة كبيرة
إني أح .....بُكَ !.

الحرية

ماذا تعني الحرية؟
حين اكون سيد نفسي
وتكون انت سيد نفسك
وحينما ارغب ان اكون
كما انت
وترغب انت ان تكون
كما انا
وحينما احل محلك
وأنت تحل محلي
عندئذ سنكون احراراً
لكوننا سنغدو متحدين
ونكون كل العالم

المعرض الثالث للحرب



حسين لطيف

قرأ المذيع أخبار اليوم,
قال أبي:سوف تندلع الحرب,
لن نخرج من بيتنا بعد
قلت :الى متى؟
قال :الى الأبد !
-٢-
الحرب حيوان مفترس
ننتظر نبيا,
أو دونكيشوتا,
لقتله,
هل يأتيا؟!
-٣-
قبل الحرب
كانت بيوتنا مغمورة

بالزهور,
والورق,
والشمع,
وقهقهة افراد العائلة.
والحرب جعلت من بيتنا
مقبرة
الزهور
والورق
والشمع
وقهقهة أفراد العائلة!
-٤-
ربما بعد قرن أو اكثر
بغية اءعداد تقرير عن سمات هذا القرن
يأتي الصحفي
أو
دارسي الآثار الى بيتنا
لايقراء شيأ على جدرانها
سوى ذكريات أليمة
لايرى شيأ سوى تأوه
سوى حسرة!
-٥-
همسات ألأُم
قبل بزوغ الفجر
ذهبت مبتسمًا.
في الغروب
رجعت متشظياً.
-٦
عابث ,
بين الصباح
و
المساء
ابحث عنك مجنونا

كي أجدك طفلا مثلما رضعت
كي أعثرعليك كحبة فى الصحراء
لكنني,
لم
أرى شيأً
سوى شبحك
لم أسمع شيأً
سوى طنين الذكريات.
-٧-
لو أراك مرةً أخرى
سأحملك في رحمي
كى لايجعلك الآمراء
وقوداَ لماكنة الحرب.
-٨-
(صيرورة)
دون أن أرغب
ولدت,
و
كبرت,
دون أن أهوى
ذهبت الى الحرب,
اءلهي اغفرعن ذنوبه!
دون أن يرغب
ولد,
وكبر,
دون أن يهوى
ذهب الى الحرب.
الهي أعفو عنا
عما فعلنا!
_٩_
الدكتاتور
بعدما هدم المدارس

و
والمساجد
و
الكنائس
رفع يديه الى السماء:
رب واجعلني من التوابين!

١٠
بعد الحرب
والحرب انتهت
تمت ثرثرات المحللين
ذوبت النجوم على اكتاف جنرالاتها
ونحن بحاجة الى العون من
منظمة الصحة العالمية
و
الأمم المتحدة
و
يونسكو
و
يونسيف
و
صندوق النقد الدولي
و
السلام العالمي
و..و..و..
و..و..و
مجرد لجمع الاشلاء !
١١
خريف الحياة
كنا في الحديقة
هبت الريح
تساقطت أوراق ألأشجار

واغتصبت الأعشاب
وأقترفت صفحات ألأزهار.
كنا في غرفة النوم
هبت الحرب
خيبت ألآمال
و
تحرشت بالنسوان
و
اندثرت
كل ماكتب الله لنا من أعمار!
١٢
- نوح_
بحثنا عنه
لنركب سفينته
كي ينقذنا
من
فيضان
الحرب.
نسينا نحن في زمن خاتم الأنبياء!

٢/٨ الى ٢٠١٠/١٩/١٦

ذاك المساء..
لم يمر أمام الحانوت

قصة: سيامند هادي
ترجمة: سان أحمد

"لمحتُ شـيئاً من بعيد، دنوتُ منه فرأيتُ جثـة رجلٍ لطخ قميصه الأزرق بالدماء، ساقه اليمنى منحنية، ويده اليسرى فوق قلبه، ورأسه ملتف الى اليسـار" هكذا وصف الحانوتي، أول الواصلين الى الجثـة، كان واقفاً أمـام ضابط التحقيـق، أراد ان يقنع ما حوله بأنـه لا معلومات لديه حول أسباب مقتل هذا الرجل.

ولكن مـا جعل ضابـط التحقيق يدقق ويسأل الحانوتي أكثر وأكثر، هو إعتراف الحانوتي بمعرفته هذا الرجل ومرور القتيل كل مسـاء متأخر أمام حانوتـه.. هم يريدون من خلال اسـئلتهم ربما جمع أكبر قدر من المعلومات حـول الجثة المتروكة، ولكن الحانوتي اعتبره اتهاما له بمقتل هذا الرجل، لذلك بدأ جسمه يرتجف ويجيب عن أسئلتهم بأنفاس متقطعة.

تيقنوا أن الحانوتي لايعرف شـيئاً عن مقتل هذا الرجل، سـوى انه كان أول شـخص يصل الى الجثة، مـع هذا بقي الحانوتي ليلة واحدة في السـجن، قضى ليلته سـاهراً بالتفكير في الجثة، وأعاد الى ذهنه كل ما مرّ عليه حول هذا الرجل سابقا دون اهتمام وتركيز، وكأنه يريد أن يصل الى الأسباب الكامنة وراء مقتله، لم يعثر بالتحديد على شيء حول مقتله، فلم يستطع أن يرقـد له الجفن طـوال تلك الليلـة بل قضى كل سويعاتها بالتفكير حول القتيل.

أعاد الى ذهنه كل ما سمعه من أصدقائه حول هذا الرجل، فأراد أن يعرضه على نفسه وبالتالي يعثر على السبب الكامن والدافع وراء مقتله، دون أن يعلم بنفسه بدأ بتحليل أسباب القتل، فلم يعد يهمه القاتل، بل يريد معرفة الأسباب والدوافع وراء قتله.

ظهور هذه الجثة في صمت ذاك المساء الهادئ، أيقنه بأن الرجل قُتلَ في مكان آخر ثم جلبتْ جثته وتركت في هذا المكان، آنذاك فكر ملياً بالمكان الذي تركوا فيه الجثة، حيث كانت بجانب جدار مدرسة متوسطة للبنات.

حاول جاهداً ولكن دون جدوى أن يفارق طيف الجثة الهامدة في مخيلته، لذلك إضطر أن يعيد الى ذهنه بشكل دقيق ومفصل جميع الأيام التي رأى فيها هذا الرجل، ذكر الأمسيات، تلك الأماسي المتأخرة التي كان الرجل يمر أمام حانوته من الجانب المقابل، حيث كان يراه في الوقت نفسه، دون أن يعيره اهتماماً في حينه، ولكن هذه الليلة بدا وكأنه يريد البحث عن شيء مهم، أعاد الى ذهنه تفاصيل تصرفات وحركات هذا الرجل، ففي أحد الأمسيات التي كان الرجل يمر أمام حانوته من الجانب المقابل، قال أحد الجالسين في الحانوت:

"هذا المعلم يخطو ببطء شديد عندما يسير ولا يلتفت الى الوراء أبداً".

مع انه سمع بعض المعلومات عن هذا الشخص من أصدقائه، لكن لم يخطر بباله بأن حياة هذا الرجل ستصبح يوماً ما مثار اهتمامه، حيث قال أحد أصدقائه:

"لانشعر بوجود هذا الرجل في هذا الحي، حيث يتجنب كل شيء وهو هادئ الطباع" مع استذكار هذه الجمل، تذكر ما قالته تلك المرأة التي كانت في الجوار حينما اخذت الشرطة جثة المعلم، حيث دندنت وقالت بشكل لا مبالٍ وغير مهتمة:

"إنْ لم يفعلْ شيئاً لماذا يُقتَل؟"

لم يفكر بمصيره أثناء هذه الليلة، بقدر ما كان يريد أن يركز ويدقق على نقطة ما، توصله الى أسباب مقتل هذا الرجل، لم يعرف شيئاً يذكر حول حياته حتى يصبح مدخلاً للوصول الى أسباب مقتله، فلم يعر اهتماماً في السابق لما سمعه من البعض حول الرجل، لكن الآن يحاول جاهداً أن يستذكر جميع ما سمعه عنه، فجميع ما ذكره لم يتجاوز أشياء متناثرة بحيث لا توصله الى المبتغى.

لم يستطع الحانوتي أن يحلل تصرفات هذا الرجل خلال ما سمعه عنه سابقاً، لأنه لم يخطر بباله أن الرجل سوف يُقتَل في مساء ما وتترك جثته بالقرب من حانوته!

بنى حانوته الصغير بجانب باب بيته على جزء من باحة منزله، حيث يبيع فيه الحاجيات لزبائنه، رغم أن هذا الرجل لم يأته في حانوته، الا انه مرّ كل مساء متأخر أمام حانوته، كل من كانوا يعرفون الرجل اعتقدوا بأنه رجل معقد وتصوروا بأن تقييم شخصيته شيء مستحيل..

حينما وصلت الشرطة الى مكان الجثة المتروكة، سألوا الناس عن أول من رأى الجثة؟ فتقدم الحانوتي مسرعاً وأبلغهم بأنه أول من شاهد الجثة من بعيد، وما جعل ضابط التحقيق يسأل الحانوتي اسئلة أكثر، هو الاجابة الأولية له في مكان الحدث، حيث قال:

"قطعــا.. لايعرف هذا الشــخص الذي تركتْ جثته"

ولكنه قال أمام ضابط التحقيق:

"أعرفــه، ولكننــي لا معلومات عندي حوله ســوى انني رأيته عدة مرات!"

فأرادوه أن يسجل ما رآه وأن يعيد كل مــرة الإجابات نفســها وبالترتيب نفسه..

كان الرجل قبــل مقتله يمر أمام حانوته كل مســاء، ويــراه الحانوتي أغلب الأحيان اثناء مروره، فأراد أن يســتذكر ما قيل عن هذا الشخص من قبل أشــخاص في حانوته، لكنه مهما حاول لم يســتطع أن يجمــع الجمل والعبــارات.. فكل مــا يعرفه هو أن الرجــل كان معلماً، ويمر أمام حانوته كل مساءٍ، ويعرف أيضا أن بيته يقع أسفل حانوته الا إنه لم يعرف بالتحديد أين؟..

في اليوم التالي وفي الساعة العاشرة صباحاً حين سأله الضابط:

"كيف تعــرف هــذا الرجل وما معلوماتك عنه؟"

أجابه الحانوتي "هذا الرجل معلم، يقع منزله لمسافةٍ أســفل حانوتي، كان يمر أمام حانوتي كل مساء عائدا الى بيته"

قــال الضابط "كيــف تعرف أنه كان معلماً ؟"

فقال للضابــط دون تفكير "كان يمر أمــام حانوتي كل مســاء، ومن كانوا في حانوتي، قالوا بأنه معلم مع ذكر أسمه ايضاً لكنني نسيت أسمه!"

بدا الضابط كأنه التمس شــيئاً يوصله للأسرار، قال هادئاً: "في تلك الأماســي التــي يمر الرجل أمام حانوتــك، هل لاحظــت من أحد الجالســين لديك في الحانــوت أية عبارات جارحة له أو أية حقدٍ أو كراهية إزاء المعلم؟"

أجابهــم الحانوتي "إن صادف وجود أشــخاص عندي في الحانوت أثناء مرور المعلم في الجانب المقابل، غالباً كانوا يتحدثون عنه حديثا عابراً واعتيادياً"

فســأله الضابط "من يجالسونك في الحانوت، هل تعرفهم جيداً وماذا عن تصرفانهم؟"

فأجابهــم الحانوتــي "أعــرف جميعهــم جيداً، وتصرفاتهم جيدة"

الضابط "أكان يشبه أحدهم قاتلاً"

الحانوتي "وكيف هو القاتل ؟"

الضابط غاضباً "لا أعرف كيف هو القاتل، ولكن ألم تسمع أحدهم يتحدث عن القتل؟"

فأجاب " كلا، لم يتحدثوا عن أشياء كهذه"

فقال الضابط "ألم تشاهد معهم السكاكين وأدوات أخرى"

الحانوتي "كلا"

ضابط التحقيق ســائلاً الحانوتي "هل كنتَ أول من وصل الى الجثة ؟"

فأجــاب الحانوتي: "في تلك الأثنــاء كنت ألملم وأجمع أغراضي داخــل الحانوت، فأتاني صبي وقال لي: هناك رجل طريح عند زاوية حائط المدرسة!".

الضابــط: "ألم تســمع صــوت اطلاق نــار، أو صرخات؟".

الحانوتي بدون تفكير: "كلا".

الضابط: "وكيف لم تر الجثة قبلهم؟".

أجــاب الحانوتي: "يقع بابُ حانوتي مقابل جدار

المدرسة، حين أجلس داخل حانوتي، لا تظهر لي زاوية جدار المدرسة".

الضابط: "هل كان الرجل المقتول معلماً في تلك المدرسة".

الحانوتي: "كلا فهو كان معلماً في مدرسة أخرى تقع أعلى حانوتي".

سأله الضابط: "قبل الحادث، هل لمحــتَ أحداً غير معــروف يتجول في المنطقة، أو يتردد الى حانوتك؟".

الحانوتـــي: "كان المعلم يبقى في المدرســة من الصباح وحتى الظهيرة، بعــد ذلك يذهب الى الســوق، وفي آخر المساء يأتي ليمر من الجانب المقابل لحانوتي، عائــداً الى بيته، إذن لماذا يقتلونه؟".

الضابط: "أقول هل رأيت شخصاً غريباً ذلك اليوم؟".

الحانوتي: "كلا".

الضابط وكأنه يعود الى جزء مبهم من الحدث، قال للحانوتي: "مَنْ كان ذاك الصبي الــذي أبلغك بوجود رجل طريح الأرض قرب زاوية المدرسة؟".

الحانوتي للضابط: "لا أعرف مَنْ كان الصبي".

الضابط مسرعاً وبصوت أعلى من السابق: "إذن ماذا يفعل صبي في وقت متأخر كهذا هناك؟".

الحانوتي: "لا أعــرف، يظهر أن بيت الصبي قريب في الجوار".

الضابط: "أنــت حانوتي، كيف لا تعرف صبيــاً يقع بيتهم بالقرب من حانوتك؟".

الحانوتـــي: "رؤية الجثة، والإربــاك الحاصل من الازدحـــام الذي حصـــل فيما بعد، أنســـاني الصبي بالكامل".

الضابــط: "إن رأيــت الصبــي الآن فهل يمكنك التعرف عليه؟".

فأجاب الحانوتي: "لا أعتقد، بل لا أعرف من كان أصلاً؟".

الضابــط غاضباً: "بما أنــك حانوتي، عليك أن تعرف جميع الصبيان القريبين من حانوتك!".

الحانوتي: "كان ظهري باتجاه الشارع ووجهي نحو الحانوت، أبلغني الصبي بالحدث، فخرجت مسرعاً ولم أنظر اليه".

الضابط: "ألم تلاحظ أحداً يغادر ويركض؟".

الحانوتي: "كلا".

الضابط: "ألم تلاحظ أية ســيارة مســرعةٍ في الجوار؟".

الحانوتي: "كلا".

الضابط: "هل تشــك بشــخصٍ ما قام بقتل هذا الرجل؟".

الحانوتي: "لا أعلم، لمَ يُقتلُ هذا المعلم؟".

الضابط: "ألم يكن لهذا الرجل أعداء؟".

فأجاب: "حتى هذه اللحظة لم أســمع أحداً يذكر هذا المعلم بسوء؟".

الضابط: " ذاك المســاء الذي قتلوا فيه المعلمَ، هل رأيته يمر أمام حانوتك ؟".

الحانوتـــي: "كلا.. ذاك المســـاء لــم يمــر أمام الحانوت".



الشاعر السوري شوقي بغدادي:

منذ بدايتي وأنا أكافح على جبهتي الرفض والتمرد

حاوره: لقمان محمود

حقق الشاعر السوري شوقي بغدادي بمجموعته (شيء يخص الروح)اضافة نوعية إلى شعره من جهة، وإلى الشعر العربي من جهة أخرى . فقد توجت هذه المجموعة بـ (جائزة البابطين للابداع الشعري) لعام ١٩٩٨. ولأن الحوار مع الشاعر شوقي بغدادي لا يقف عند السؤال والجواب فقط، بل يمتد إلى الذات المفتوحة على الحياة بأسرها، لذلك أحببت أن أغوص في الألم ـ ألم الشاعر ـ أكثر، طالما الشاعر نظيف كالجمال، متواضع كالحرية، نشيط كالعدالة. فمنذ قرابة نصف قرن والشاعر يحمل أسئلة الحياة الصعبة، لذلك تراه حتى الآن يسعى ـ بذاك الحمل ـ إلى العدالة التي فقدت، وما زال ينتظر الحرية التي سوف تصل، وما زال ينظف الجمال من التلوث، إنه شاهد أمين على أحداث العصر، بخاصية شعرية تغوص في أعماق الذات، والتي من خلالها استطاع الشاعر أن يخرج منها كل ما هو قبيح وتكثيفها لحركته الشعورية، لأن شعره بالأساس أتى نتيجة رؤية كونية، وهذه الرؤية ـ دائما ـ تتجاوز رحمها، من خلال رؤيته للعالم والأشياء، كما سيتبين ذلك من الاجابات التي تحمل عناء التفصيلات والكليات. كما سيتبين للقارئ مدى ابداع هذا الشاعر الإنساني، المتواضع، الشفاف، الذي ما زال يسعى ـ أيضا وبنفس الحماس ـ إلى التجديد وإلى التطوير، دون يأس أو ملل، رغم تجاوزه الثمانين من العمر.

في هذا الحوار يقول شوقي بغدادي: الغزل الموجود في (شيء يخص الروح) ليس غزلا بالمعنى التقليدي للكلمة وإنما هو نوع من المكاشفات الوجدانية مع الذات ومع الآخر في آن واحد، ولا بأس أن يكون هذا الآخر هو (المرأة) ، فالمرأة هي المخلوق الألطف الذي يكتمل به الوجود.

× في البدء، حبذا لو تقدم لنا مدخلا إلى عالمك الشعري الذي توج بجائزة البابطين للابداع الشعري؟

ــ إذا كان صحيحا أن لكل شاعر عالمه الخاص فلا شك أن خصوصية هذا العالم تأخذ ملامحها وأبعادها من الخصوصية التي يتفرد بها كل إنسان على حده. هكذا، وأنا أعاود النظر في مسيرتي الشعرية أبدو كمن يقرأ في أعماق شخصه ـ لا شعره فقط ـ فألاحظ مثلا أن هناك تماثلا بين المسيرة الشعرية والشخصية، غير انه تماثل غير تام دائما إذ تعترضه تدخلات الآخرين التي تحاول باستمرار اقتحام العالم الداخلي للأفراد كي تصوغهم الجماعة على غرارها. في المضمون مثلا، يبدو أن لا شيء يؤرق هذا العالم الشعري مثل إحساسي بفقدان العدالة وغياب الحرية وتلوث الجمال. تلك هي أقانيمه الأساسية الثلاثة: العدالة، الحرية، الجمال.. في وحدة متجانسة يصعب ترتيب عناصرها من حيث الأولويات.. ومع ذلك فأنا لست واثقا من انني كنت على حق دائما فيما ذهبت إليه، فلقد كنت قاسيا أحيانا أكثر مما يجب، أو هشا أبعد مما ينبغي، كما كنت واقعيا إلى درجة الابتذال، وأحيانا مثاليا إلى درجة التبخر والضياع، الا انني في كل ما تخبطت وتعثرت فيه كنت مخلصا إلى درجة السذاجة أحيانا، وعندما أحاول الآن أن أفهم جيدا السر وراء كل هذا أكتشف أن

مرجعه الأساسي يعود إلى طبيعتي الشخصية المتصفة بسرعة الانفعال، والفضول الكبير، والرغبة المحمومة في التدخل والمشاركة ضد كل ما كنت أراه قبيحا وظالما مما أوقعني في كثير من المتاعب.. حتى الآن!. إن شخصية من هذا النوع الصدامي ـ أو (الحشري) كما يقول عامتنا ـ لا يمكن أن تتعامل شعريا مع أقانيم العدالة والحرية والجمال بمعزل عن تأثيرها البالغ بالآخرين سلبا أو ايجابا، ومن هنا سر رغبتها القوية في المشاركة ولكن ضمن المناخ الجماعي على الأغلب ومن دون الاهتمام البالغ بالهموم الذاتية والرؤية الخاصة للأشياء، وهذا ما يميز طابع (الاعتدال) في التمرد برؤية ذاتية مرة وبرؤية جماعية مرة أخرى. أما من حيث الشكل الفني فأنا أبدو منذ البدايات شاعرا يكافح في صياغته الفنية على جبهتين، فهو من جهة يرفض الانصياع الأعمى للتقاليد السائدة، ومن جهة أخرى لا يوافق على التمرد إلى حد القطيعة معها، فتراه يكبح ما استطاع ذلك من جماح نزعته التمردية انسجاما مع الجماعة، أي مع الذائقة الجمعية أو بعض تجلياتها على الأصح، ومن هنا فإن عالمي الشعري باختصار كان يعكس فنيا هذه الرغبة العميقة في الحفاظ على التوازن بين (الذات) و(الموضوع) وهذا ما يفسر أيضا سر الخصوصية الفنية له والمتميزة أيضا بالاعتدال ـ كما في المضمون ـــ بالرغم من الحيوية الفياضة التي كانت تدعم الاتجاهين. وفي تصوري انه بمعنى ما تعبير عن الثقة القوية بالنفس التي لا تؤخذ بالصرعات والموضات العابرة والتي تعنى بالتمييز بين ما هو قديم بال حقا فتطرحه جانبا وبين ما هو جديد أصيل في جدته فتأخذ به، وبهذا المعنى فإن عالمي الشعري لا يوصف بأنه (ثوري) إذا فهمنا الكلمة على أساس أنها التعبير على الرفض المطلق للماضي والسائد وقلب النظام الشعوري رأسا على عقب وتدمير الجسور مع التراث وتحطيم اللغة أو اختراقها ـ كما يقولون فإذا قبلنا بتعريف آخر لمصطلح (الثوري) على انه التعبير عن التغير الواقعي، والضروري، بعيدا عن المزاودات الشكلانية، والتجاوزات المتصفة بالاطلاق والتعميم فعالمي الشعري إذن (ثوري) بهذا المعنى.

× **منذ ما يقارب نصف القرن وحتى الآن، وشوقي بغدادي في تطور مستمر، فهل لك أن تحدد ما هي الميزة التي حققتها مجموعتك الشعرية (شيء يخص الروح) ؟**

ـــ لعل أهم ما يمكن أن يقال في هذا الصدد هو ان مجموعتي هذه قد حلت أفضل من غيرها مسألة التنازع الخالد في أعماق كل مبدع فنان، بين (الذات) و(الموضوع) . صحيح ان (الذاتي) كان حاضرا باستمرار في جميع ما كتبت من شعر غير أن حضوره لم يكن كافيا دائما في نظري. إن التطور الأخير الذي تمثله مجموعة (شيء يخص الروح) هو التطور الذي وجدت فيه (الذات) فرصتها الأوفى في التعبير الشعري من دون أن تفرط طبعا بـ (الموضوع) ، وهكذا يمكن القول ان واجهة اللوحة ـ القصيدة ـ باتت للذات بعد أن كانت للموضوع الذي تحول بدوره إلى (خلفية) لهذه اللوحة ـ القصيدة.

ـ **وهل سيعقب (شيء يخص الروح) ابداع آخر أكثر تميزا؟**

ــ لا أدري.. وإن كنت أرجو ذلك وأعمل له باستمرار، فأنا في سبيلي مثلا إلى انجاز ديوان شعري يعالج موضوعا واحدا فقط، هو علاقتي بمدينة (دمشق) بكل ما في هذه العلاقة من أبعاد اجتماعية، وثقافية، وسياسية، وعاطفية، وتاريخية. وفي اعتقادي ان هذا الديوان إذا ما تحقق فإنه سيكون جديدا في نوعه تماما، ولهذا فإن عنوانه جاهز منذ الآن وهو: (البحث عن دمشق) وقد أنجزت منه قسما هاما.

× **في الشهر العاشر من هذا العام سيبلغ الشاعر شوقي بغدادي عامه الثمانين ، وللوهلة الأولى نرى قصائده وكأنها غزلية فقط، ولكن النظر إليها بإمعان يكشف عن انعكاس الصوت الداخلي (الجواني) ، والسؤال ماذا يقول شوقي بغدادي للمرأة التي تخص الروح؟**

ـ أولا هذا تصحيح بسيط لمسألة الأعمار، فأنا ولدت في ٢٦ يوليو عام ١٩٢٨ ومعنى ذلك أنني بلغت الثمانين منذ ذلك التاريخ وليس في الشهر العاشر.. ولكن دعنا من حكاية الأعمار هذه التي لا يعنيني أن أخفيها على الاطلاق فالشباب ـ كما قال الكاتب الأمريكي (أولمان) ـ ليس زمنا من أزمنة الحياة ولكنه شعور في النفس، وإرهاف في العزيمة، وتوقد في الخيال، ولا يهرم الناس لأنهم عاشوا عددا من السنين، وإنما يهرم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانبا، وكر السنين يغضن الجلد، ولكن ترك الحماسة يغضن الروح، وأنا والحمد لله بصحة جسمية ومعنوية عال العال ـ كما يقال ـ وحماستي لا تزال في أوجها لكل ما هو جميل وضد كل ما هو قبيح، وما زلت أصرخ من الدهشة أو الفرح أمام المناظر الحلوة، وأتميز غضبا وغيظا حيال المشاهد القبيحة مهما كان نوعها، وبهذا المعنى فأنا إذن ما زلت شابا!.. وبالمناسبة فالغزل الموجود في (شيء يخص الروح) ليس غزلا بالمعنى التقليدي للكلمة وإنما هو نوع من المكاشفات الوجدانية مع الذات ومع الآخر في آن واحد، ولا بأس أن يكون هذا الآخر هو (المرأة) ، فالمرأة هي المخلوق الألطف الذي يكتمل به الوجود، واكتمال الرجولة لا يتم إلا بوجود الأنوثة، والعكس صحيح.. وما أقوله للمرأة، أقوله لنفسي أولا، فالحب الذي أتغنى به، أو أطالب به، هو في الوقت ذاته صدى للمونولوجات التي يهمس بها الإنسان لذاته متخيلا، أو متمنيا، أو واصفا لواقع معين له أبعاده المختلفة التي تغني المشهد وتجعله أعمق وأبعد من كونه تعبيرا محدودا عن العلاقة العاطفية التي تربط الرجل بالمرأة.

× **أنت لست شاعرا مبدعا فقط، بل أنت لاعب جميل باللغة وعارف قسطا كبيرا من طاقاتها الجمالية، فأين تضع الجمال من اهتمامك الابداعي؟**

ـ إذا كان المقصود من هذا السؤال الاهتمام بالجمال في الصياغة اللغوية حصرا فهذا أمر بديهي في الشعر خاصة، ذلك لأن فن الشعر في الأصل يقوم أكثر من كل الفنون الأدبية الأخرى ـ كالقصة والرواية والمسرحية مثلا ـ على استخدام الشاعر اللغة استخداما خاصا به، يوظف من خلاله كل ما في اللغة من طاقات تعبيرية انسجاما مع مضمون معين، ووصولا إلى أرفع التجليات الجمالية للشعر. إن

اللغة الشعرية بهذا المعنى لغة بكر، وهي اللغة التي تبدو أنها (منزلة) لأول مرة على شاعر معـين بالرغم من قرابتها للغة المتداولة. إن الشاعر يستخدم لغة الناس بالتأكيد، غير انه بمهاراته الخاصة، وموهبتـه المتميزة يبدع لنصه الشـعري لغة طازجـة مخلوقة الآن ـ أو هكـذا تبـدو ـ وهي مهمـة لا يطالب بها القصـاص أو الروائي، وإنما الشـاعر وحده. وحين تمتـزج لغة الشـاعر باللغة المتداولة للناس إلى حـد التماهي يقع في مطب النظم البـارد والاجترار الممل. وهـي مهمة دقيقة للغايـة وتزداد صعوبة حـين ندرك أن على الشاعر في الوقت ذاته ألا ينأى عن لغة الناس إلى حـد الاغراب والابهام والقطيعة وإلا فإنه سـوف يفقد امتياز التواصـل معهم. وبهذا المعنى فإن لغة الشعر في فرادتها وبكارتها من جهة، وقرابتها مع اللغـة المتداولة من جهة أخرى، لا تبدع لغة أخرى جديدة وإنما تقدم للناس هذا الإحسـاس الخاص بوجود طاقات تعبيريـة جمالية لا حصر لهـا وغير مرئية لأول نظـرة في حين انها تتحرك تحت غطاء التداول اللغوي المبتذل والسائد، وبالتالي فإن اللغة الشـعرية تحرض فيهم نوازع الكشـف الجمالـي الكامنـة في أعماق جميع البشـر فتحولهم إلى شـعراء لحظـة قراءتهم النص الشعري على الأقل.

× شوقي بغدادي ممن أبدعوا في مجالي الشـعر والنثر، وله في النثر ما يغني ويشبع (قصة، رواية، نقد، خواطر... إلخ) فما الفرق بين شوقي بغدادي الشاعر والناثر؟

ـــ ما أكثـر المبدعـين الذيـن كتبوا في الأجنـاس الأدبيـة المتنوعـة، والأمثلة أكثر من أن تحصى!.. أما عن الفرق بين الشـاعر والناثـر في شـخص المبدع ذاتـه فهو الفرق ذاته الذي نحس بـه عادة حيال كل تجربة حياتية على حده.. ثمة موضوعات تفرض جنسـها الأدبي منذ اللحظات الأولى، وأخرى تبـدو متحيرة بين أكثر من جنس. وعندئذ يحتاج الاختيـار إلى نوع من الحوار الداخلي يجريه الكاتب مع نفسه قبل أن يقرر، وهنا تلعب عوامل كثـيرة معقدة في اتخاذ القرار، بعضهـا كامـن في طبيعة (الموضـوع) ذاته، وبعضها نابع من (حالة) الكاتب وهو يواجه موضوعه، وحين ينفرد الشـاعر بالعمل عن الناثر فهذا معناه ان اللعبة اللغوية الجمالية هي التـي اختطفت الموضـوع، أما إذا حدث العكـس فانفرد الناثر بالعمل فهذا معناه ان النشـاط الفكري العقلاني هو الذي سـيطر واسـتأثر بالموضـوع، ومن هنا فإن شـوقي بغدادي شـاعرا هو الشـخص الذي يبدو في بعـض الأوقات أكثـر ما يكون ميـلا للغناء والموسـيقى والاستسـلام للخيال، في حين ان شـوقي بغدادي ناثرا هو الشخص الذي يبدو أكثر ما يكـون ميلا للتفكير والتأمل العميق والمنطق في أوقات أخرى.

×مـا هي المحطات التـي تلتفت إليها كـثيرا في حياتك وتتوقف أمامها؟

ـــ كثيرة هي هذه المحطات غير ان الزمن ـ أو طبيعتي الشـخصية ـ علمني ألا أتوقف كثيرا إلا علـى المحطات الماثلة أمامي، أو على المحطـات الممكـن أن أمر بها مسـتقبلا.. إن الماضـي يعنيني كثيرا كما يعني كل إنسـان. ولقد تعلمت منـه الكثير، ولعل أفضل درس تلقيتـه من جميـع المحطات التـي انقضت

هــو التركيز على الواقع الحــي الراهن وعلى المســتقبل، وبهــذا المعنــى فأنت تســتطيع أن تصفنــي بالواقعيــة التــي تعني نقيض (الرومانســية) .. فأنا لست رومانسيا بمعنى الحنين المطلــق الطاغي للماضــي (الجميل) فالحاضر له جمالياته أيضا، والمســتقبل قد يكــون أجمل، والمحطات التــي غبرت صارت وقودا كامنــا في الأعماق، يمدني بالحكمة في لحظات التهور، وبالتفاؤل في مواجهة التشاؤم، وبالشجاعة في أزمات الخوف، وهكذا... ولكنها لا تستأثر باهتمامي إلا بقدر ما يعينني على اكتشاف المحطات الجديدة المدهشة.. فالسجن الــذي دخلته ـ لأســباب فكرية طبعا ـ أكثر من مرة، والحــب العظيم الذي انتهى بموت المحبوبة، والعيش بعيدا عن الوطن لســنوات متعــددة، متواصلة، ومواجهة محققي الأمن بتهمة تخريب النظام، والحرمان من الســفر إلى خارج البلاد لســنوات عديدة، أو الحرمان من النشر في الصحف وأجهزة الاعلام، وغيرها من المحطات الجديــرة بالتوقف والاعتبار.. كلهــا مرت، واســتطعت أن أدفعهــا إلى الوراء بعيــدا، أو إلى الأعماق حتى لا تعيق حركتي لأي سبب من الأسباب.

× **الشــاعر الكبــير شــوقي بغــدادي، الحداثــة الأولى بدأت بجــبران وتوجت بمجلة (شــعر) .. فهل تــرى ان الشــعر على أبواب حداثة ثالثة؟**

ـ هذا تقســيم لا أؤمــن به كثيرا، فليس هناك حداثــة أولى وثانية وثالثة، وإنما هي حركــة تطور واحــدة لها رموزهــا بالطبع ولكــن لا يمكــن حصــر البدايات بشــخص معــين أو مجلة محددة، فالحداثة بدأت قبل جبران، ومجلة (شعر) ليست تتويجا لحداثة ثانيــة وإنما هي محطة مــن محطاتها التي لهــا ايجابياتها بالطبع غــير انها لا تخلو من ســلبيات، وبالتالــي فليــس هنــاك حداثة ثالثة إذن وإنما ـ كما أشــرنا ـ حركة تطور متداخلة متلاحقة مستمرة تسرع أو تبطئ أحيانا ولكنها لا تتوقف أبدا عن الحركة.

× **أخيرا.. ما رأي الشاعر الكبير شوقي بغــدادي في هــذه المقولة الدارجــة مؤخرا وهي: (الرواية ديوان العرب) ؟**

ـ واضح من هذه المقولة ان المثقفين العرب مولعــون دائما بأن يختــاروا فنا من الفنون يحصرون فيه أهم معطيات النشاط الفكري أو الفنــي عموما، على غرار قــول القدامى (الشعر ديوان العرب) !. هذه المقولة صحيحة إلى حد كبير فلقد لعب فن الشــعر فعلا ذات عهد قديم دور السجل الأكبر والأوحد لمعظم المآثر التاريخيــة والفكرية والجمالية لأمتنا وخاصة في العهد الجاهلي، أما الآن فلا أعتقد أن الشعر يلعب هذا الدور، لقد تخلى عنه، أو جرد منــه في العصر الحديث ولكن من دون أن يحل محله وبالقوة أو الشمولية ذاتها التي كانت للشــعر أي فن آخر، فــلا الرواية، ولا الفيلم الســينمائي، ولا المسلسل التلفزيوني، لم يســتطع أي فن جديد مستحدث أن يلعب الدور القديم الكبير للشعر اطلاقا، وإنما هي أدوار موزعــة بــين هذا الفــن أو ذاك ولكن دونما أصالة بارزة أو قدرات كافية مقنعة.

الـ(رۆژبيانى) خليفة شرفخان



هوشيار بكر عزيز

إن الدراسة الواقعية والوافية من خلال إلقاء نظرة شـاملة على بلاد الكورد، بلاد الجبال والجمال والخضار، وبالرغـم مماعاناهُ هذا الشـعب الأبي، من المآسـي والويلات والمجازر المريعـة التي ارتكبت بحـق أبنائهِ من قبل المحتلـين لأراضيـه، كانـت مهبطـا للوحي والإلهام والإبداع ومعينا لاينضب، وولد بين ظهرانيـه العديـد مـن الأبطال الشـجعان والعلماء الأعلام، منهم شـرفخان بن شـمس الدين البدليسي الروزكي ومحمد جميل ملا أحمد الفرقانـي الرۆزبيانى. أحيانا يتمنى الكاتـب أو الباحـث أن لايكـون موسـوعيا ليتشعب في مختلف صنوف العلم، بل يفضل أن يقتصـر مجالـهُ العلمي في إطـار محدد كالشـعر، أو القصـة، أو التاريـخ. لكن هذا المفهوم مغايـر تماما لدى الرۆژبيانى، إذ هو أحـد العقول الموسـوعية الذي تبـوأ مكانة عاليـة في النهضـة الأدبية،ندر من نافسـهُ

فيها،فهـو يقف بـين أعلامها،وكلـهُ هامات سامقة، علما شـامخا، واجتمع مالم يجتمع لغـيره من المواهـب والمَلَكات،فهو كاتب كبير، ومؤرخ حصيف، ومترجم نابه، ولغوي وناقد بصير، وشاعر مجيد، ولم ينل منزلته بجاه أو سـلطان أو بدرجات وشـهادات بـل نالها بمواهبـه المتعددة، وهِمتـه العالية، ودأبهِ المتواصـل، فقد تلقى علومــه على يد علماء عصـرهِ، وكان والدهُ رحمهُ الله عالما فذا في كركـوك، فدفعه مبكرا إلى العلـم والمعرفة، ودرس أول مبـادئ العلوم على يده، وبعدها على يد الملا يوسـف الروّژبيانى وأخيرا نال الإجـازة العلمية على يـد الملا رضا الواعظ المنمـي (١)، الذي أعجب بذكائه وعينه نائبا عنهُ لتدريس علوم القـرآن واللغة العربية في مدرسـة جامـع قـيردار بكركـوك. الروّژبيانى عاش مع قلمهِ وكُتبهِ،وحياتهِ كانـت سلسـلة طويلة مـن الكفـاح والعمل الدؤوب، صـارع الحياة والأحداث، وتسـامى عن الصعاب، وعرف حياة السـجن، وشـاهدَ اضطهاد الحكام لبنـي جلدته، لكن كل ذلك لـم يوهِـنْ عزمـهُ أويُصرفـهُ عما نذر نفسهُ له، وكان غياهب السجون شاهدا على جسارتهِ وشجاعته، إذ لديه عشرات المواقف من هذا القبيل نذكر منها:- في صيف سـنة ١٩٣٧م عندما سـمع مقتل بكر صدقي، تألمَ كثيرا لهـذه الفاجعة، كتب مقالـة رثا فيها دعـا إلى عدم إهـدار دمه، على أثـره القي القبض عليـه، وحكم عليهِ بأربع سـنوات سـجن. وفي احدى زيـارات الرئيس التركي الأسـبق جـلال بايـار إلى أمريكا قـال بأن لايوجد كـورد في تركيا، وان من يُسـميهم



ملا جميل الروژبيانى

البعض كورد تركيا ليسوا إلا أتراكا جبليين، فانـبرى لـه الروّژبيانــى بمقالــه الــلاذع والشـهير(التتريك لايزيد الشعب الكوردي إلا تمسـكا بقوميتهِ وحقدا على المسـتعمر)، كلف هذا المقال متاعب لهُ وابعد على أثرها إلى العمارة وسُـجنَ هناك، وأغلقت جريدة الأهالي التي نشـر فيها المقـال، وحكم على مديرها بغرامة ماليــة قدرها٥٠٠ دينار، إلا أن وجهاء الكـورد كل من كاكه زياد، وأحمد عثمــان، وعلي كمال أنقذوه بدفعهم الغرامة (٢). الروّژبيانى لم يكن غنيا بالمال، بل كان غنيا بشـهامتهِ وغزارة علمه، وكان كبرياء أمام المتكبرين، ومسـاعدة الآخرين سـجية مُتأصلة فيه وخاصةً مع طالبي العلم،وكان

متأنقا في ملبسـهِ ومشيتهِ ومسكنهِ، ويلح بكـرم الضيافة على كلُ مـن زارهُ في بيته، ويسـأل زائريهِ عن أحوالهم وعن أقربائهم، ويتفقـد مـَـنْ غـاب مـن أقربائـهِ ومن أصدقائهِ ويَسأل عن شأنهم، وإذا أهديت له هدية فرقها أوبعضها على من حضر ويكافئ عليهـا مهديها. وكان حلو المجالسـة عندما أتذكـر لطائـف أقوالهِ يـكادُ يحترق قلبي اشـتياقا إلى مثـل تلـك الأيـام. في بدايـة التسـعينيات مـن القـرن المنصـرم ولحين استشـهاده، كنت أتشـرف بزيارتـه في بيته ببغداد، فكان يسـألني عن أخبار كوردستان ومجريات الأمور هناك، فأقول له كوردستان بخـير وهنـاك اهتمـام كبـير و رعايـة لا متناهية للثقافة والعلماء وطلاب العلم، بدءا بتعمير المـدارس وإنشـاء مـدارس جديدة وجامعـات ومؤسسـات علميـة وثقافية في مناطق مختلفة من إقليم كوردستان، وهناك تسهيلات للكُتاب والباحثين لنشر نتاجاتهم، وعندما تمر بالأسواق والمكتبات تندهش من كثـرة المطبوعـات مـن الكتـب والمجـلات والجرائد التي تروي الفكر الإنسـاني وتنور طريقه، فكان يفرح مما يسمعهُ مني ويقول مبتسما الحمد لله ...الحمدلله. والذي يتميز بـهِ رحمـه الله انهُ ليـس ناقلا بـل كان متميـزا بعقليـة تحليلية فلسـفية، حيث أخضع النصوص التأريخية والتراث الكوردي للتحليل والدراسـة وفقاً لمنهج علمي محايد بعيدا عـن التعصب وإكراه الآخرين، وبذلك استطاع أن يتفادى تشويه الحقائق التأريخية عـن طريق ابتداء الكتابـة من النقطة التي اعتقـد ان مصـادره التي نُقلـت عنها قد صدقـت، وبهذهِ اسـتفاد منـه الكثير ممن كتب عن الكورد، وكان مرجعا مهما في تاريخ الكورد وكوردسـتان، وخاصـة المناطق التي اسـتعربت من قبـل الأنظمـة المتعاقبة في العراق. إذ كان قويّ الذاكرة إذا سـألتهُ عن أي بقعة من بقاع كوردستان، فكانت إجابته سـريعة و وافية، و لم يبق ساكتا في معرض الحال، بل يأتي بجواب شـافٍ وكافٍ إسكاتاً لمـن يبحث عماهـو باطل. الأمير شـرفخان مؤلف كتـاب شـرفنامه باللغة الفارسـية، والذي اسـتقى معلوماته من مصادر شرقية متعـددة ومن الروايـات للشـيوخ والثقات اضافـة إلى مذكراتـه ومحفوظاتـه، وعدم توضيحه لبعض الوقائع يعود إلى عدم تيسر الكتـب الأدبيـة والتاريخيـة حسـب قول الروژبيانى. شـرفخان سـليل أُمـراء ايالة بدليـس، أَبـى عن قبـول حكـم الايالة في (١٠٠٥هـ ـــ ١٥٩٦م) وعهد شـؤون الايالة إلى ابنه شـمس الدين، وسـنذكر بعض الوقائع لهـذه الإمارة لاحقـا.اذ إن بعـض الإمارات والدويـلات قـد اضمحلـت عـن الوجود و أخرى بقت واسـتمرت في الحكم، وبذلك لم تدون وقائع أحداثهم بشكل كامل. شرفنامه ترجم إلى عدة لغات منها الكوردية والعربية والتركية والانكليزية والروسية ....الخ لكن ترجمـة إلى العربيـة مـن قبـل المرحـوم الروژبيانى لـهُ نكهة خاصة فهو يقول بهذا الصدد لقـد أمضيتُ في أواخر عـام ١٩٤٢م، وقد أُقحمتُ ضمن مئات من السياسـيين في معتقـل العمـارة مـن ذوي آراء سياسـية مختلفة من بينهم أَساتذة وأُدباء ومثقفون، وقـد تحـول المعتقـل إلى حلقـات أدبيـة

وثقافية،تعرفتُ من خلالها على المرحوم عبد الرزاق الحسني،فكنت انتقدهُ على الهفوات التي وقع فيها في مؤلفاته عن الكراد وصححتُ لهُ العديد منها، كما التقيتُ بالعديد من المثقفين والسياسيين العرب، فكنا نتباحث عن حضارة وتاريخ الكورد وثقافتهم، فشعرتُ أَنَّ هُناك هوَّة سحيقة بينهم وبين فهمهم لحقيقة هذا الشعب وتأريخه، فكنت ألوم المثقفين الكورد لتقصيرهم في تعريف شعبهم للآخرين، ولاسيما اقرب الناس إليهم وهم إخوانهم العرب. ويُضيفُ الروّژبياني: نعم هذه ناشئة عن قلَّة اطلاع المثقفين العرب بتاريخ الشعب الكوردي، لذلك قمت بترجمة شرفنامه من الفارسية إلى العربية، وأنا في سجن العمارة، وكنت اعرض المسودات على المرحومين عبد الرزاق الحسني و محمد بهجت الأثري لتقويمها من الناحية اللغوية حيث ما كان لديه مصادر تاريخية(٣)، هكذا بدأتُ بتعريب هذا الأثر التاريخي الكوردي بتاريخ ١٩٤٣/٥/١١م، وانا في السجن(٤) وانتهيتُ من تعريبهِ بتاريخ ١٩٤٤/١/١٠م(٥). ففيها قام المترجم بتوضيح بعض النصوص التي التبست على بعض المؤرخين، وكذلك تعريف بالحكام والأمراء والأعلام ذاكرا جزءا من سيرتهم وأعمالهم والوقائع التي وقعت في عهدهم، والتعريف بالمواقع الجغرافية في الكتاب، وتفنيد أقاويل بعض المؤرخين التي لاتمت بصلة إلى الحقيقة وتكملة الحوادث والوقائع التي تلت عهد شرفخان إضافة إلى ذكر العديد من الدويلات والحكومات التي حكمت في عهد شرفخان والتي فاتهُ المؤرخ ذكرهم مستنبطا هذه المعلومات من الكتب التأريخية. عن تصحيحه لبعض الآراء والتعليق عليها نورد منها:- فند الروّژبياني ادعاء البعض من ساذجي العقول ومن اُسر ذوي النفوس الضعيفة تستصغر نفسها وتشعر بالنقص، ودعوا انتسابهم بآل البيت أو الأموية اوالعباسية أو الخالدية ويقول كلهم كرد اقحاح شعروا بالنقص من حقارة منزلتهم بين الناس فانتحلوا لهم هذه الأنساب الكاذبة. ويضيف بان العباسيين لم يكونوا بحاجة إلى الالتجاء كردستان وهم يتمتعون بالخلافة في بغداد. لكن بعد أن قضى هولاكو على الخلافة العباسية، فقد أشار العلامة نصيرا لدين الطوسي الشيعي، لم يبق منسل منهم سوى طفل واحد أخذه معه هؤلاكو وجهل مصيرهُ(٦). كما كتب إسماعيل بن أبي الفداء في كتابه(تاريخ أبي الفداء الجزء الثالث) عند ذكر سقوط بغداد ٦٥٦هـ يقول لما وثق الخليفة المستعصم بالله ان هولاكو يبقيهِ في الخلافة، سلم نفسه لهُ مع أكابر أصحابه والفقهاء والمدرسين وجمع كبير من الناس، فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم. ولم يسلم الامن كان صغيرا اخذوا أسيرا (٧). والانتساب إلى العباسيين كذب محض اختلقه بعض من الكتاب العرب الشوفينيون، مثل من دعا بانتسابه إلى العباسيين وهو محفوظ محمد العباسي والذي جند هو وأمثالهُ من أدعياء العلم والمعرفة من قبل صدام حسين لكتابة ماسموه بإعادة كتابة التاريخ، فهذا الكاتب ألف كتابا سماهُ (العباسيون بعد احتلال بغداد)(٨)، فكتب ماشاءَ وزوره وحَرَّفَ

وزَيّفَ دون خوف من الله ولا وازع من الضمير حيث رجع انساب الأمراء البهدينانيين وبعض القبائل الكوردية، إلى العباسيين، فَسَودَ بعض صفحات التاريخ الإسلامي بذلك، وشَوهَ سمعة بعض الشخصيات الكوردية الإسلامية ظلما وبهتانا، كما بَطَّلَ المترجم ادعاء البعض بأنتمائهم إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد مستندا الى أدلة تأريخية ذكرها المؤرخون المسلمون، إذ نشأ هذا من ولع الكراد بالبطولة وإعجابهم ببسالة خالد، وبما أن خالد بن الوليد لم يقتحم كوردستان بل رجع من العراق إلى الشام، وقد انقرض نسلهُ حتى ورث أملاكه التي خلفها في المدينة أيوب بن سلمة بن عبد الله، فقد جاء في كتاب (الأسد الغابة في تأريخ الصحابة) لأبن الأثير، أنه لم يبق من ذرية خالد بن الوليد أحد، فقد قضى الطاعون على أكثر من أربعين من ذريته، وجاء في الجزء الثاني من كتاب (نهاية الأرب)، إن من انتمى إلى خالد بن الوليد فهو مُبطل، وكل من ادعى الانتماء إليه فقد كذب، فلم يبق من نسلهُ شرقا ولا غربا (٩)، كما ذكر القلقشندي في (نهاية الأرب)، بنو خالد عرب حمص، بطن من بني مخزوم من قريش العدنانية وهم رهط خالد بن الوليد، قال الحمداني وهم يدعون النسب إلى خالد وقد اجمع أهل النسب على انقراض عقبه(١٠)، إذ يقول الروژبياني ظهر لي اَنَّ هذهِ العشيرة من بقايا شعب خالدي ـ هالدي ـ كالدي التأريخي احد عناصر الأمة الكوردية في التأريخ(١١)٠ وكما قام الروژبياني بتفنيد بعض القصص



الخرافية التي وردت في بطون بعض الكتب، أشار فيها بعض المؤرخين بأنتساب أصل الكورد إلى الجن،إذ قالوا:-{{إن الجن والعفاريت تزاوجوا من نوع من بني الإنسان،فنشأ منهم الشعب الكوردي.......}} . رد الروژبيانى بأن هذه الرواية تخالف العقل والمنطق والدين، فهي الخرافات الواردة في الأخبار الإسرائيلية من ان الشيطان المدعو الجسد (طاساد) كان عند خروج زمام الملك من يد سليمان بن داود عليه السلام يراود جواريه عن نفسه ، فكانت المؤمنات منهن يستعذن بالله من شرهِ، أما المنافقات منهن فكن يسلمن أنفسهن له، فلما رجع سليمان ملكهُ وجدن حاملات منه ، قال:- {{ اِكْردوهُنْ(١٢) إلى الجبال والأودية .....}}، ولا يخفى سخف هذه الروايات على أولي الألباب، فلغة سليمان لم تكن عربية،ولم يسيطر سليمان ملك اليهود على كوردستان،

إنما سيطر حسب ماجاء في القرآن الكريم على سبأ (اليمن) وملكتها(١٣)، وجاء ايضا في باب الكورد في تاج العروس إن أبا المعين النفسي قال في بحر الكلام ماقيل أن الجنيّ وصل إلى حرم سليمان عليه السلام، وتصرف فيها وحصل منها الكرد باطل لا أصل لهُ(١٤)، اضافةً الى الروژبياني و أبو المعين النفسي، قد بطل أيضا الكثير من أهل تحقيق وتدقيق هذه الأقوال وذلك لأصطدامه بحقائق تأريخية أمثال المرحوم الدكتور مصطفى جواد والدكتور فرست مرعي، هكذا كان الرؤذبياني خيرمدافع عن ثوابت قومهِ بدلائل وقرائن موثوقة مستنبطة من الكتب التأريخية٠ وكذلك قام الرؤذبياني بتدوين تكملة الوقائع والأحداث للإمارات والحكومات الكوردية بعد انتهاء عهد شرفخان، نذكر منها:- في تراجم أُمراء سوران، كان علي بك احد أمراء هذه الإمارة يتولى عصر والده الحكم في جۆلەمێرگ (هكاري)، ولما انتقلت الإمارة من أبيه، اتخذ حرير دار ملك له، وقام في سنة(١٠١٠هـ ـ١٦٠١م) بتشييد قنطرة حجرية فخمة على نهر الزاب الكبيرعند ملتقى نهر بالكيان و رواندز وأصلح الطريق المار بمضيق گلى على بك، تسهيلا لتردد القبائل الرحل، وشيد على باب المضيق قلاعا ومعاقل لدفع الطوارئ........ وهكذا دام حكمه حتى وافاهُ الأجل عام(١٠٤٤هـ ـــ ١٦٣٤م)٠ واخيراً انتهى حكم إمارة سوران بانتهاء حكم رسول باشا بن مصطفى باشا((١٥))٠ وعند حكم الإمارة العمادية وفي اثناء حكم سيدي خان قبادبك انتهى عهد المؤلف يقول المترجم استنادا لأقوال المرحوم محمد أمين زكي بگ والذي ذكر أن الذي تولى الحكم في بلاد العمادية بعد سيدي خان هو يوسف خان الذي هاجمه احمد باشا والي دياربكرعام ١٦٢٨م، فتمكن من أسره وزجه في السجن....... وهكذا حتى نهاية حكم آخر حكام إمارة العمادية وهو محمد باشا الذي داهمهُ محمد رشيد باشا الصدر الأعظم بجيش عرمرم،وحاصرهُ في العمادية،وتمكن من إلقاء القبض عليه وإرسالهِ إلى بغداد حيث القي في غياهب السجون، وبقى بها حتى وفاته عام (١٢٥٩هـ ـــ ١٨٣٤م)، وهكذا استدل الستار على هذه الإمارة(١٦)٠ وعند انتهاء عهد المؤلف، دون المترجم في تعليقاته على حكام ولاية بدليس و الوقائع التي حدثت لهذهِ الإمارة في عهدهم يقول مستندا إلى أقوال المرحوم محمد أمين زكي بگ، في عام (١٠٦٦هـ ـــ ١٦٧٦م) تذرع ملك احمد باشا والي ولاية وان من قبل الدولة العثمانية ببعض الأسباب، وزحف على أبدال خان أمير بدليس حينذاك بجيش، ألف معظمه من جيوش الكرد المجاورين لهذه الولاية، وظل يقاتله حتى اضطر إلى الفرار، وأعمل يد النهب والسلب في البلاد حتى قضى على الإمارة، و وضع يدهُ على خزائنها التي طالما الترك طامعون فيها، وكان أولياجلبي حاضرا في اللجنة التي تولت ضبط مخلفاته، فيحدثنا عن تلك المخلفات قائلا {كان مما خلفهُ أي (عبدال خان)، حمل سبعة جمال من الكتب، فكانت مكتبته الخاصة تحتوي على أكثر من أربعة آلاف نسخة من الكتب القيمة من نوادر

المخطوطــات، كان تبلغ مؤلفاتــه (٧٦)كتابا و(١٠٥) رســائل كتبها بالفارسية والعربية} ويضيف الرؤذبياني بأن هذا الاميركان قديرا شــديد البأس تـَهابــهُ الدولتــان الإيرانية والعثمانيــة، فتقدمــان لــه الهدايــا و تســترضيانه، ويظهــر ممــا جــاء في كتاب القضيــة الكورديــة، إن أبنــاء هــذه الولاية (بدليس) ما زالوا يكافحون ويناضلون حتى عام (١٣٣١هـ ـ١٩١٣م) وآخر ثورة قاموا بها في سبيل استقلالهم هي التي قادها كل من الملا سليم وشــهاب و علي، الا انها أخمدت بشدة، والتجــأ الملا ســليم إلى القنصلية الروســية، وبقي بها حتى نشــوب الحرب بين الدولتين الروســية والتركيــة، عندئــذ اقتحم جنود الأتــراك القنصليــة، واخرجوا الملا ســليم وشنقوه في شــوارع بدليس(١٧)٠ وأيضا ذكر المترجم العديــد من الدويــلات والحكومات التــي فاتها مؤلف شــرفنامه أن يســجلها في كتابه مثــل، الحكومة الدلفية بكوردســتان (٢١٠ـ ٢٨٥)هــ، الحكومة الروادية (٢٣٠ـ٦١٨) هـ، الحكومة الساجية (٢٦٦ـ٣١٨)هـ، الحكومة السالارية بآذربيجان (٣٠٠ـ٤٢٠)هـ، الحكومة الشــدادية بــآران (أريــوان) (٣٤٠ـ٦٤٥)هــ، الحكومة الدوســتكية (المروانية) بدياربكر (٣٥٠ــ ٣٨٠)هــ، الحكومــة الكاكويهيــة بكوردســتان (٣٩٨ـ٤٣٣)هــ، الحكومــة الشــبانكارية بفارس(٤١٢ـ ٦٥٨)هـ، وأخلاف الإمــارات الهذبانيــة بأربــل (٥٠٠ـ٦٣٠)هـ، والحكومــة الملكيــة الكرتيــة بخراســان (٦٤٣ـ٧٨٥)هـ (١٨)٠ كما فاتهُ ذكر الجاوانيين الذيــن كانــوا في أواســط القــرن الرابع من الهجرة من اشــهر القبائل الكوردية حســب مادونــهُ المســعودي في مروج الذهــب(١٩)، وأكــدهُ المرحوم الدكتــور مصطفى جواد في كتابه(جاوان) القبيلة الكوردية المنسية الذي قــام بطبعه المجمــع العلمي الكوردي ســنة ١٩٧٠م(٢٠)٠ ماقــام به المرحــوم الرۆژبيانى عند ترجمته لشــرفنامه خيرُ دليل على انه فعلا خيرخلف لشــرفخان، وازداد لشرفنامه رونقــا وتكامــلا بتدوينــه تكملــة وقائــع الأحداث، وإضافة التوضيحات والتعاليق التي احتاجهــا معــرض الحــال، لأن إهمالها يعد نقصانــا في الحقيقــة التأريــخ، وحرمانا في العلم الذي غايته الكشــف عن الحقائق٠ من خلال تمعن الباحثــين والمختصين في مجال التأريخ توصلوا إلى نتيجة بأن الضرورات قد اكتملــت، من خلال الحواشــي التــي دونها المترجــم، و وصلوا إلى حقيقة بأن الحواشــي أقــوى من المتن، لذلك قــرر اتحاد المؤرخين العراقيين وبالاشتراك مع دار الثقافة والنشر الكوردي بتكريــم الرۆژبيانى في١٩٩٤/٣/٣١م، الوســام الذهبي لإتحــاد المؤرخــين العرب، ومكآفأتــهِ علــى مؤلفاتــهِ المترجمــة إلى العربية، واثناهُ العديد من الشــعراء والأدباء بهذه المناسبة منهم الشاعر المبدع والصديق الوفي للرۆژبيانى الأســتاذ طالب عبد المجيد رستم بقصيدة عصماء أثنى فيها الرۆژبيانى بما هو أهل لهذا التكريم جاء فيها:-

بوركْتَ مِنْ ضَيْفٍ كَبير ... وحُبيتَ بالحب الغَزير
وسَقَيْتَ من كَأسِ الكِرامِ ... سلافةَ الكَرَم الاَثيرِ
الماجدين العاملينَ ... لِكُلِ مأثَرةٍ و خير
والذاكرينَ بِرفعةٍ ... مجدَ المؤَرخ والخَبيرِ
والعاقدين مع الوَفاءِ ... وَثاقَ مؤتَمنٍ غيور
اَن لا يوسّد عالمٌ ... بوسادِ مغبونٍ حَسير
وبأنّ يعّز مكرّما ... بـ (قلادةِ) الفكرِ المنير
أ أخي ((جميل)) والمآثرُ ... سطع كسنى البدور
من ارض ((فرقانِ)) العَذيّةِ ... مَهْدِ (احمد) هاَ الشهيرِ
خَطّت لَك الأقدار نجحا ... في سرى الدربِ العسيرِ
....

للّه دركً يا اِبنَ ((كردستان)) من دنفٍ جهير
فلطالما جاهرتَ بالعشقِ العميق لها الكبير

في سنة ٢٠٠١م قامت مؤسسة موكرياني للطباعة النشر بإعادة طبع الترجمة العربية لشرفنامه، لكن من المؤسف ان المترجم لم تمهله المنية، ليرى بنور عينهِ هذه الطبعة، إذ اِغتالتهُ يد الغدر والخيانة في بيتهِ في حي أور ببغداد في ليلة ٢٧/٢٦ ــ٣ ــ ٢٠٠١م، حيث جريمة بشعة يندى لها جبين الانسانية. لقد فجع الكثير عند تلقيهم خبر استشهادهِ ،وأخذ البعض يتساءل عن سر هذه العظمة والمكانة الكبيرة والمحبة العظيمة الذي امتلكها المؤرخ الجليل في قلوب الناس،امتلأت أعمدة الصحف والمجلات في كوردستان وخارجها،شعرا ونثرا ومقالات تعبر عن الأسى والحزن على فراق ذلك العالم الجليل. عندما سمعت خبر استشهادهِ تَجّشمتُ بكاءً وما كنت صادقا هذا حلماً أم واقعا. وشيعهُ خلق كثير من المحبين لهُ والعارفين بعلمهِ وفضلهِ يتقدمهم رجال الفكر والثقافة والتربية، وقد رثاهُ العديد من الكتاب والشعراء منهم الشاعر الكوردي المبدع الأستاذ طالب عبد المجيد رستم بقصيدة عصماء القاها في أربعينية الشهيد:ــ

لستُ في حاجة إلى القول بأن الكورد فقدوا برحيل العالم الجليل الأستاذ محمد جميل الرؤذبياني،قمة من قممها الشامخة و واحداً من جيل العمالقة في مجال العلم و الثقافة و الفكر،قَلَّ أن يكون لهُ ضريب بين العلميين الحاضرين، وغير خاف أن المرحوم بذلَ الكثير

من نور عينيــهِ ليُضيء لأُمتــهِ مصابيح الحياة،لقد مضيــت أيها الفقيد العزيز هادئا الى رحــاب الخالديــن، و لا أحســبك ودعت الحياة إلا راضيا بعد أن قدمت لشـعبك أجل الأعمــال، الله يعلم كــم تفطرت عليك قلوب وسالت عليك دموع، نم قرير العين، فالعلماء و المثقفــون الكورد ســوف يخطون خطاك، ويســيرون على نهجك و يواصلون رســالتك الخالدة، فكوردســتان ســتبقى زاهية بدماء شهدائها و دموع ابريائها.

أيُها القبر ولودَدري الذي في ثَراك اليوم يَبْدو راقِدا
لأ حيلَ الترب مسكا ضله جاس اكنافَ الثُريا صاعدا
ورأيتَ النجمَ في عَليائهِ لِما قَدْ احْرَزْتَ فَخْرا حاسِدا
عُجبت تأليف في...... وإنتَخى للِكرُدِ عَنهُ غائدا
حَمَلَ آلاف عن آمالها و إرتضى الحرمانَ نَهْجا زاهِدا
بذ رى الإسلامِ هامَت روحهُ شَرعَة عدلا سبيلا عافِدا
وجِنانُ الخُلْدِ قامَتْ مَرْتَعاً وتَراعاً يَرْتَعيها خالِدا
نادِما رَبّا وفي رضوانهِ قائما يَشْكو لهُ او ساجِدا
أيها الخالِدُ في وجْدانَنا عالِما فَذا اَليما ماجدا
فألى روحِكَ من اَرواحِنا قسمٌ للود تبقى شاهِدا
لا يواليكَ الثَرى عنْ أعين كنتَ فيهن النسيجَ سائدا

المصادر والهوامش:-

١. مَنْمي : عشيرة كوردية منتشرة في عدة مناطق من كوردستان من ضمنها منطقتي كركوك والسليمانية.
٢. ملا جميل الروّژبياني، شهيد التاريخ والفكر، روّڤار، نشرة ثقافية تصدر دار سردم للطباعة والنشر، العدد٤٨، كانون الثاني، ٢٠٠٨م ص٤،٥ .
٣. شرفخان البدليسي ،شرفنامه، التعريب من الفارسية محمد جميل الروذبياني، الطبعة الثانية، مطبعة وزارة التربية اربيل، ٢٠٠١م،ص١٨،١٥ .
٤. المصدر نفسه ،ص٢٨ .
٥. المصدر نفسه ،ص٧٠٨ .
٦. المصدر نفسه ،ص٢٣٣ .
٧. إسماعيل بن علي أبي الفداء، تأريخ أبي الفداء، الجزء الثالث، ص١٤ .
٨. لمزيد من المعلومات يراجع((العباسيون بعد احتلال بغداد)) لمؤلفه محفوظ العباسي.
٩. شرفنامه،المصدر السابق،ص٢٦٩ .
١٠. احمد بن علي بن احمد القلقشندي،نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، الجزء الأول، باب الخاء.
١١. شرفنامه، المصدر السابق، ص٢٦٩ .
١٢. كَرَدَهُمْ :طَرَدَهُم، في تاج العروس، اكْردوهْم :اطْردوهم .
١٣. شرفنامه،المصدر السابق،ص٥٠ .
١٤. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني،تاج العروس من جواهر القاموس،جـ ٩ ، ص ١٠٥ .
١٥. شرفنامه، المصدر السابق،ص٤٦٧، ٤٧١ .
١٦. المصدر نفسه،ص٢٦٦، ٢٦٧ .
١٧. المصدر نفسه،ص ٧٠٣، ٧٠٤ .
١٨. المصدر نفسه،ص٥٨ .
١٩. علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب،الجزء الأول، باب الأكراد ونسبهم ومساكنهم.
٢٠. الدكتور مصطفى جواد، (جاوان) القبيلة الكوردية المنسية ومشاهير الجاوانيين، مطبعة المجمع العلمي الكوردي،١٩٧٣م،ص٨٠

مولانا خالد النقشبندي

اعداد: دانا أحمد

لقد برزت في تاريخ الشعوب الشرقية والغربية، شخصيات سياسية او ادبية او عسكرية كبيرة، سميت مرحلة او عصر باسمهم، مثل: عصر بوذا، والفردوسي، وشكسبير، وهوميروس، وكوتيه، ونابليون، ...الخ. وبالنسبة لتاريخ الشعب الكردي، اذ برز في العهود الغابرة، شخصية عظيمة في مجال الاصلاح الديني والتصوف والشعر والحركة السياسية والصراعات الاجتماعية، فان مولانا خالد النقشبندي هو شخصية مركزية ذات تأثير كبير وحركي وقوي وبطش. كما ان الحركة والتجديد الذي شرع به منذ بدايات القرن التاسع عشر ممتد ومتواصل التأثير منذ بروزه وحتى يومنا هذا.

لقد واجه مولانا خالد في حياته (١٧٧٩-١٨٢٧)، عشرات من الملالي (العلماء البارزين) والشيوخ الأكابر، اذ كتبوا ضد العقيدة الصوفية كما ان ثمة علماء آخرين دافعوا عنه وأيدوه وناصروه. ان غالبية أولئك الذين كتبوا عن مولانا، كانوا قد اهملوا بنية الزمن. واذا اراد الباحث ان يجد التسلسل الزمني فيصيب ببعض عوائق من حيث تحديد البعد الزمني. ذلك لأن الاحداث لم

تسجل وفق التسلسل الزمني.

بالنسبة الى صلة مولانا مع السلطة الكردية (امارة البابانيين)، فهناك نقطة لافتة للنظر هي: هل تتساوى لدى مولانا الامارات الماثلة آنذاك: بابان، سوران، اردلان، موكريان، أم ثمة اختلاف شاسع في تصوراته تجاهها؟

ان حياة مولانا تحت فيء الامارة البابانية لمدة طويلة، وعلاقته القوية مع الامراء، لها تأثير كبير على تفكيره، ويبرز ذلك في رسائله المبعوثة الى محمود باشا وشقيقه عثمان باشا.

ان جميع المصادر تتفق على نقطة هي ان مولانا قفل راجعا في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) من الهند الى السليمانية. فاستراح اياما ثم سافر الى بغداد لمدة ستة اشهر. عام (١٨١٣م-١٢٢٨هـ) التهبت نار النزاعات بينه وبين الشيخ معروف النودهي. فسافر مجددا الى بغداد. وعندما كان محمود باشا في بغداد، طلب منه العودة فعاد على طلبه. وفي عام ١٨٢٠ التقى بكلوديوس ريج في السليمانية، او يعرف اخباره مباشرة وعن كثب، فسجل في مذكراته اخبارا ومعلومات دقيقة حول مولانا. وفي ١٨٢٢ سافر من بغداد الى الشام وهناك اصيب بمرض الطاعون ووافته المنية.

***

مولانا والشيخ معروف النودهي

رجع مولانا من الهند عام ١٨١١م حاملا الطريقة النقشبندية حيث اخذها من الشيخ غلام علي عبدالله البهلوي. وتسلم اجازة الارشاد من جيهان اباد. وعند عودته، وفور وصوله الى ارض كردستان، دار حوله معجبون كثيرون، فمثلا ان احد العلماء البارزين اسمه(الشيخ محمد القسيمي المردوخي ١٧٣٠-١٨٢٣م)، في اول لقاء له اصبح مريدا لمولانا وهو في سنه الثمانين.

ان عودته كانت احدى الحوادث الكبيرة والمؤثرة في مدينة السليمانية. ففي عمره الـ(١٩)، اي سنة ١٧٩٨م، عندما اصيب الشيخ عبدالكريم البرزنجي (١٧٢٧-١٧٩٨) مدرس مدرسة جامع عبدالرحمن باشا البابان، بالطاعون ووافته المنية، يحل مولانا محله وذلك بسبب شهرته العلمية، علما ان هذه المدرسة بناها واشرف عليها الامير نفسه. فقصة صلة مولانا بالسلطة تبدأ من هذه المناسبة، ان تفويض هذا الامر الى مولانا جاء من الاعتراف الذي ابداه العلماء بكفاءة مولانا. كان لمولانا وقت الدراسة الدينية، صلة وتعارف بامير البابانيين وبعث اليه بقصائد يثنيه فيها. فالصلة والقرابة والعلاقة والكفاءة والقدرة العلمية كلها اثرت في زُلفاه واجلاله من قبل الطبقة العليا (السلطة)، وكانت هذه العلاقة انعكست في قصائده.

ان تبلور الناس حول مولانا جعله موضع تبصر وتجشع الاحباب والاعداء، لذا فان باشا البابان حماه في اخريات ايامه.

اصيب عبدالرحمن باشا بالمرض، وتوفي ليلة ١٧ من ربيع الاول ١٢٢٨هـ المقابل لـ(٢) من اذار ١٨١٣م. وحسب ما يسرده كاتب (بغية الواجد) ينبغي ان يترك مولانا خالد السليمانية، قاصدا الى بغداد في ١٤/شباط/

١٨١٣، اذن ان سبب هجرة مولانا من السليمانية الى بغـداد لايعـود الى انكمـاش العلاقة بين الامـير ومولانا، لأن الامير كان انذاك مريضا يحتضـر، اذ لم يقدر على ان يقر اسـتبعاد مولانا. اذن ان محمود باشـا (الامير الجديد) او تفكك آلية السـيطرة واسـتبدال السلطة، فسـح المجال امام فئة اجتماعية ان تضغط على مولانا وتهجره.

يعود مؤلف كتاب (بغية الواجد) ويسلط الاضـواء علـى جانب خفي مـن الصراعات الماثلة بـين جبهـة انصار الشـيخ معروف النودهي وجبهـة انصار مولانـا، اذ ان ٢٠٠ شخص ارادوا قتل مولانا وقت صلاة الجمعة في الجامع الكبير.

فان هذا الخبر (خبر محاولة قتل مولانا) دليل على احتدام النـزاع والصراع بين كلا الطرفين، حيث من الواضح ان تنبذ الخلافات بينهمـا عن طريـق الحوار والمناقشـات، لذا فان كليهما لجئآ الى حل المشـاكل عن طريق العنف.

موقف الشيخ معروف النودهي

حسـب ما يومئ اليه (مولانا) في رسالته الى الشـيخ معروف النودهي، بعد هجرته الى الشام. (اذ لم نعثر على رسالة الشيخ معروف لكن رسـالة مولانا بين ايدينا). فان الشـيخ معروف اجلّ احترام مولانا، فقد كتب مولانا: (الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقـه محمد وعلى الـه وصحبه. من العبد المسـكين والفقير المسـتكين الى جناب سيدي الجامع لشـرفي الفضل والادب، الحائز لكرامتي الحسـب والنسب، سـيدنا ومولانا السـيد معـروف سـامحه بفضلـه الكريم الرؤوف).

إن هـذه السـطور أعلاه، تبـين مراتب الإجلال. وكذلك الأجزاء الأخرى من الرسالة تبين مسـتوى رؤية كلا الطرفين الى بعض، لكن رغم إبداء روح التسـامح والسلام إلا ان مولانـا لم يخـفِ إنتقاداتـه، فيكتب: (ولا يخفى عليكم ان السبب الاصلي لهذه الوحشة انما هو ترك الـتردد وتقليد اقاويل الناس. فـان صح ما بلغني عنكم فعليكم بالاعراض عـن الكلمات المؤدية الى الشـك والوسـواس، فـان احوال الفقر وراء العقل والعلم لايدرك بالقياس.. الخ).

هذه الإشـارة الى العلـم والعقل في غاية الأهميـة. فلاشـك أن القياس يشـكل جزءاً مهماً من المذاهب الاربعة. فيأتي بعد القرآن والسنة.

الشـيخ معـروف النودهـي وسعيد باشا

شروعاً نظم الشيخ معروف قصيدة ضد مولانا خالد ومن ثم مزقها بيده، حيث تبدأ القصيدة كالآتي:

وضعته هدية الطلاب
تكفرة لخالد الكذاب

وحينمـا توجه مولانا الى بغداد وسـكن فيها فلم يقف الشـيخ معروف عن محاربته إذ كتب رسـالة الى سعيد باشا الذي كان والي بغداد آنـذاك، فيسـمى رسـالته بـ(تحرير الخطـاب في الرد على خالـد الكذاب). حيث طلب فيها أن يضيـق ذرعا بمولانا في بغداد ويضغط عليه ليسـتبعد منها. إن بعث هذه الرسالة الى سـعيد باشا كان دليلاً على مدى

ومساحة الوقوف ضد هذه الطريقة الجديدة واستئصال اثرها.

يوم ١٦ آيار ١٨١٣ في عمر ٣٢ سنة عُين سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير والياً لبغداد. وصلت اليه رسالة الشيخ معروف فلا يستبعد أن تنوي سلطة بغداد محاصرة مولانا في زاوية ضيقة وتستبعده.

ولكن مولانا له اقارب ومخلصون من العلماء والشخصيات العلمية والدينية، قاموا بزيارة (باشا) واقنعوه بأن مولانا هو مرشد عظيم وينبغي ان نصونه.

الموقف من السلطة

إن مولانا كمرشد دقيق وذي سليقة حاذقة، وضع معايير وقواعد وإجراءات ومبادئ لمريديه، ومناصريه، والتي ينبغي ان يسلكها ولاينحرف عنها أحد، ولايتجاوز الخطوط الحمر، وكانت الإرشادات لم تحث على المشاركة الفعالة وغير الفعالة في العمل السياسي بل تستوجب الإجتناب والإبتعاد عن رموز السلطة. فهو يمنع مريديه من الإقتراب، تحت أي تبرير كان، من السلطة، وذلك لأن الإقتراب من السلطة يؤدي الى إضعاف جوهر طريقته ولا ينتج اي نتيجة إجابية:

١ـ إنه ضد الرجاء والتضرع من أجل أحد لدى الوزراء والامراء، والذي يصطلح عليه بـ(الواسطة)، فهو يقول: يجب الا نمضي مع العوام الى المسؤولين والإداريين من أجل الوساطة لأن ذلك يؤدي الى فضحكم وفضح لطريقتكم.

٢ـ عدم الإختلاط مع الملوك والأمراء.. لأنكم لستم من هؤلاء الذين باستطاعتكم ان تغييروهم أو تصلحوهم. ولا تغتابوهم ولا تسبوهم بطراً وغروراً رغم انهم ظلمة وانتم أصحاء.

ولايذعن لهذه الطريقة بعد هذا اليوم أحد منهم ولامن أعوانهم، ولا من التجار المتمسكين بالدنيا المنهمكين في الشهوات ولا من العلماء وطبقة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه والعيشعند الخلق فيحملون أثقالهم على رقاب الناس باسم الخير والعبادة

وفي رسالة أخرى له ينصح خلفاءه ومريديه ان يتجنبوا السلطة واامورها. إن الابتعاد والاجتناب لايعني لديه الوقوف ضد السلطة، و تشق من الانتقادات الشائنة والسلبية طريقاً للتغييرات الجذرية.

إياب مولانا ـ زلزال في نهر راكد

إن إياب مولانا خالد كشخصية كارزمية وبروز العقيدة النقشبندية، حيث قام بنشرها في وقت قياسي.. كان ذا إنعكاسات مختلفة على (السلطات العليا) والشائعة في المجتمع، ثمة مرشد شاب كان عشرات من العلماء والشيوخ مستعدين ليكونوا مريديه ومنسوبيه. يطوف حوله آلاف من الصوفيين، تشيد له ولطريقته مراكز وخانقاهات في بغداد ودمشق واستنبول والسليمانية وهورامان وشمدينان .. الخ. كما ان هناك شيوخا قادرية أكابر أذعنوا نقشية مثل عائلة النهري، وكذلك عدد آخر من البرزنجيين مثل الشيخ احمد سردار ـ سرلكو، والشيخ عبدالقادر كونه كوتري،

والشيخ اسماعيل كونه كوتري، اذ حولوا طريقتهم من القادرية الى النقشبندية.

هذه التحولات رجفت الطبقات العليا لتشعر بأنه كاد ان يسحب البساط من تحت اقدامها لذلك عليها فعل شيء من أجل الحفاظ على مصالحها. فقد جعلت موجات الحركة الجديدة حول أنواع السلطة (الدينية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، .... الخ) تحت علامة الاستفهام وتلاشي النظام الأبوي في الحكم. لذا فهو زلزال لسلطة دينية ودنيوية فلكتا السلطتين شرعتا بالتأمل له والدفاع عن بعضهن، فمن الواضح في بداية الأمر بدأت الصراعات بين القديمة والجديدة بسبب أن كل واحدة منهما تريد ان تجلب الشرعية لنفسها وتصف الاخرى بالخارجة عن الدين. فمدينة صغيرة مثل السليمانية لم تقدر ان تحتضن طريقتين في الوقت نفسه. ان ازدياد عدد مريدي الطريقة الجديدة يوما بعد آخر سبب في إشعال نار العدائية، لم يبرز في رسائل مولانا عدد المريدين والاعوان، لكن يبدو ان عددهم في البداية قليل، وبمرور الزمن ازداد شيئاً فشيئاً.

أ ـ يشير في رسالتين استياءه، على قلة عدد مريديه وأعوانه في مدينة السليمانية دون الاشارة الى ذكر السبب والظروف الحقيقية. فقد كتب في رسالته المرقمة (١٤٢) الى الشيخ علي قاضي السليمانية: وصلت حركتنا الإرشادية الى مدن الإسلام القاصية والدانية إلا اهل السليمانية التي هي وطني فيكتب بالفارسية: (اخر دين اين شهرهاي اسلام زمزمه ارشاد وخلفاي اين بي مراد بمسامع ودرد و نزديك رسيده است تنها اهل سليمانية كه وطن مألوف اين بقصور موصوف است، با وجود رغبت بندكان خادم خاندان عليه اين قدر افسرده وبي بهره باشند از وحشتي وبيم مصيبتي خالي نيست).

وكذلك يكتب في الرسالة المرقمة (١٠٣) الى الملا رسول الكويي، هذا الملا عباس الذي كان من أهالي مدينتكم أوجيه، بأن لايكون عائقاً أمامكم معاذ الله لأن لايكونوا مثل أهل السليمانية محرومين من هذه الدولة السرمدية. إذ نصها بالفارسية (واينكه ملا عباس همشهري شما است، سدراه شما نشود، وخدا ناخواسته مانند بعضي مردم سليمانيه ازين دولت سرمدي بي بهره نما نند...).

ب ـ ازداد عدد مريديه ومنسوبيه في مرحلة أخرى. فيكتب في الرسالة المرقمة (٥١) الى السيد عبيد الله الحيدري حول أعوانه في السليمانية، فمن العجب ان مولانا اهتم كثيراً بالسليمانية دون المدن الأخرى مثل بغداد واستنبول واربيل وسابلاخ! حيث يقول: (ثم أخبركم بأن انكار أهل السليمانية تبدل باخلاص مارأينا مثله في بقعة من بقاع الارض، كما تسمعون نبذة منه من حامل الرقعة......الخ).

***

بين اعوام (١٨١٧-١٨٢٠م) كان مولانا خالد الشخص الاول في الامارة البابانية. بين أيدينا كثير من الادلة، تومئ الى ان العائلة المالكة

والنــاس جميعــا يعتبرونه الســلطة العليا، واعلى مرجع ديني-سياسي.

بــين أيدينا مصــدران مهمان حول هذه المسألة، وهما: ســفرة ريج ورسالة مولانا الى داود باشا:

١-ان كلوديوس ريج يقيم بضعة اشــهر في الســليمانية عام ١٨٢٠ ويسجل بدقة بعض المعلومات والاخبار التابعة لمولانا. فلم يشر في مســجلاته الى انه رأى مولانا وحدثه، أو انه حاول الالتقاء به والحوار معه! بل انه يجمع المعلومات والاخبار من لســان اعضاء الطبقة العليا ويســجلها في دفــتر مذكراته، يوما تلو آخر.

-(يوجد في الســليمانية صــوفي عظيم، اسمه «الشيخ خالد»، وكان الكرد يعتقدون لو دعي باســم غير (مولانا) فهو اجحاف بحقه، ويعتــبرون كلامه نصحا، ينتمي الى عشــيرة الجاف، وهو على الطريقة النقشبندية، اخذ الطريقة الصوفية في (دلهي) على يد (سلطان عبــدالله). وكان لــه أكثر مــن ١٢٠٠٠ مريد في الدولــة التركية باكملهــا والدول العربية. والكرد جميعهم يعتبرونه وليا، وكثير منهم يعتبرونــه قرينــا لنبيهم. اخبرنــي عثمان بيك: هو ومحمود باشا واكثرية رؤساء الكرد كانوا مريدين لــه، لأنه-على الاقل-في نفس مرتبة الشيخ عبدالقادر).

-(قبــل فترة وجيزة، بعدما قرر محمود باشــا الالتجــاء الى الاتــراك، زار مــع عمه عبــدالله باشــا واخويــه عثمان وســليمان، الزاهــد الاعظم الشــيخ خالد الســليماني، وحلف ثلاثتهم على ان يكونوا ظهيرا لمحمود باشــا، واذ يُنتظر من ولي عهد كرماشان ان يحــاول تجلب احدهم ويحثــه ضد الاتراك، حلفوا بالحســام والقــران والطلاق، على: ان ايا منهم اذا اتته رســالة من لدن الاتراك او ايران، فينبغي له ان يفتح الرســالة في بيت (الشيخ خالد) وعلى مرأى اناس هم يتفقون على حضورهم. وفي هذا المنوال، كان اول من أبتلي هو عثمان بك، اذ انه بعد فترة قصيرة، وصلته رســالة من ولي عهد كرماشان، طلب فيها ان يزوره الى كرماشان، ووعده ان يعينه آمرا للســليمانية، وفور وصول الرسالة اخبر عثمان بك اخويه محمود باشــا وســليمان. وبعد ذلك وصل عبدالله باشــا رسالة بنفس المضمــون، لكنه خالف كل العهــود والوعود المتفق عليها جميعهم، حيث أســرّ الرسالة. وقد علم محمود باشــا بهذا الامر، حيث ان والي بغداد اوصله الخبر عن طريق جاسوس (مخبر) ســريع، وطلب من محمود باشا ان يعتقــل عمه عبدالله باشــا. في الوهلة الاولى لم يصدق محمود باشــا بالخــبر، بل فنّده، واعترض على مداناة عبدالله باشــا، مع ذلك فقد أمر ان يراقب تعامله بشــكل دقيق. وفي النهاية اخبره صاحب خزينة عبدالله باشــا، بان عمه يحضّر نفســه للسفر الى كرماشان، لذا وصل الامر الى اعتقاله).

-(صبيحــة هذا اليوم، فرّ الشــيخ خالد المشــهور، رغم ان فراره كان ســرا ومفاجئا، الا انــه اســتطاع ان يأخذ زيجاتــه الاربع، ولــم يُعلــم حتى الان الى ايــن اتجهوا. قبل ايــام قلائــل كان الكرد يعتبرونــه اكبر من عبدالقادر، دأب الامير علــى الوقوف امامه، ويقدمه القنة. اما اليــوم فيعتبرونه كافرا، ويروون جمّا عن تكبره وكفره والحاديته...

لقد خسر الشيخ صيته بعد موت ابن الامير، لأنه وعد ان يشفيه، ويطالع له كي يعلم ماذا كتب الله له واشـياء اخرى... وهناك اقاويل كثيرة عن فراره، ذهـب بعض الى انه غرس بذور الشر بين الامير واخوته، وهم ارادوا ان يشـافهوه امام الامير، والبعض الاخر يقول: انه منشـغل بوضع دين جديد، حتى يعين نفسه كبير البلاد... وهكذا قيل بشأنه كثير، واغـزوا اليه بهتانات واتهامات كبرى لم يكن لها اصل في الواقع، وذلك لأن العلماء والسـادة وعلى رأسهم الشيخ معروف كانوا يكرهونه... اذ هو هزمهم ايام سلطته).

٢-في نهايـة ربيع عام ١٨٢٠م كتب مولانا رسـالة لوالـي بغداد، علـى امـل التحكيم (التوسط) بين السلطة الكردية (البابانيين) وسـلطة بغـداد واصـلاح ذات بينهما. فقد يحتمـل ان داود باشـا طلـب، عـن طريق الرسـالة او عن طريق الموصي، منه ان يلعب دور الوسيط، وتوقع اصناف السلطة الكردية الرئيسـة اتفاقا بحضـور مولانا ولاينقضنّ احد هذا الاتفاق. لم يكن مولانا رقيبا محكا فقط من بين اصناف السـلطة الكردية، بل كذلك مرجع. أي: الشخص الذي بيده القرار الاخير، وليس لأحد ان ينقض كلامه.

٣-ثمة في الرسالة تبرز حقيقة ان مولانا لم يكن راجيا سـاجدا راكعـا داعية، مقدما بطلـب الى ملك، بل العكس صحيح: ان كلمة (واسـتحضرنا)-امير امراء البابان-اشارة الى قوة جاذبيته. اذ لم يقل: دعوتهم، او التقيت بمعاليهم المقام، بل كتب: اتوا بهم الي.

فان عبـارة (فمـلأت قلوبهـم واذانهم من زواجر الوعظ...) سـياق فضّ وخشن. حيث يعني التنعت. ان المعنى المعجمي لكلمة (زجـر): منه ونهاه، طـرده صائحا به. فاذا استطاع شخص ان يوبغ شخصا اخر بالوعيد والتهديد، فلم يكن مسـتعدا قط ان يحسب نفسه كفءاً لمسـتواه. ومن المعلوم ان مولانا اسـتخدم في الرسـالة أفض الكلمات بقصد، ازاء هئيـة السـلاطين. فيكتـب: (ومعظم اكابـر اعوانهـم مجتمعـون...) أي: انه دعا مـلأ الطبقة العليا وأوبغهم فرادى وجماعة. فاجبرهم على ان يقتفوا اوامره (حتى اجابوا وانقـادوا...) واقتفوا اثره. اذ ومن المؤسـف له ليس بـين ايدينا نص الاتفاق الموقع بين الطرفين والذي بعثاه الى والي بغداد.

عام ١٨٢٠م كان مولانا هو السلطة الاولى، ومحمود باشـا هوالسـلطة الثانية، وعثمان باشـا هـو السـلطة الثالثة، ثـم يأتي اناس اخرون من قمة الهـرم الى تحته، واحدا تلو آخر. وكانت مشـكلة السلطة الكردية آنذاك هي ان السلطة الاولى غير مسلحة. والسلطات الاخرى (الثانية والثالثة) كانت مسلحة، حتى ان بعضا من اخوة محمود باشـا الذين لعبوا دور المعارضة، مثل: (حسـن باشـا وسليمان باشا و...) كلهم كانوا مسلحين، وذوي علاقة وطيدة بالقوات الصغـرى والكبرى الماثلتين في المنطقـة. ان ملك البابانيين لم يكن قويا من الناحية العسكرية والادارية والاقتصادية والمالية، ليواجه ويتحمل قوة معارضة تأتيها مؤنة الحرب من الجيش والاسلحة.

ان المجتمـع المسـلح واللامدنـي تحكمه الاسـلحة وتقرر مصيره، لا الكلمة والعقيدة. وان مولانـا لـم تؤمـن بالجيـش وسـلطة العشائر. اذ اسـتطاع آنذاك ان يكرر تجربة

الدولــة الصفويــة ويذيب القوات المسـلحة الصغرى في المشروع السياسي-الصوفي-المسلح. انـنـي لا ابعـد ان مولانا قد نـوى ان يجلب المسؤولين والشـخصيات القوية الى طريقته. ان استراتيجه لم يكن تهييج شجرة التفاحة تلك حتى تسـقط آخر تفاحتها، بل انتظر، انتظر وصول واسـقاطها. ففي رسالة كتبها لعثمـان باشـا (ر.٦٢٠): (پس اگـر بمقتچاى سكر درويشـي وذوق حال احيانا قصوى در تعارفات رسـمي با يكي از شما واقع شود...) فـان وراء هـذه الملاحظـة تقـرأ مجموعة قصص وملاحـم وحوادث، كمـا يلفى فيها تهميـش وتنقيـص للعائلة المالكـة. وما هو ظاهر ان معاملة مولانا هذه كانت مقصودة ومدروسـة، ولم تكن نتيجة عـدم الانتباه والمصادفة و(سـكر و درويشي). فهو اراد ان ينظر الى عائلة مالكـة قوية كعائلة صغيرة ذليلة. اذ يعتقد ان الاعتناق للطريقة يعني الاعتراف بحكمه السياسـي والديني المطلق. فتكون سلطته هي الاساس والسلطات الاخرى هي ثانوية ومنقادة.

ان علاقة السـلطة الدينية والسياسـية، بنيت على الوهم، بعيدة كل البعد عن واقع ميـزان القـوة في ذاك الزمن. وان السـلطة الدينية الجديدة لم تكن تملك قوة مسـلحة مستقلة ولا قوة اقتصادية ضخمة، ولا تجربة ادارية وسلطوية. وبالعكس، فان أمراء بابان، (جاءوا من البرية وأخذوا الأولية). ويبدو ان السلطة الجديدة لم تستطع ان تذيب ذاته في آلة السلطة القديمة، وتسلب القيادة منها.

ان زمام السـلطة الدنيوية، كما كان، بيد عائلة البابانيين. واحتكرت القوات المسـلحة والادارة، والامـور الاقتصاديـة والمالية. أي: ان بنيــة ادارة الدولة، كانـت مغلولة في يد واحدة. وان فريق السلطة الدينية-القادرية-البرزنجيــة، كان جـزءا ضئيلا مـن البنية الثقافية لذاك العصر. كان الحكم النقشبندي الجديد في طور البناء والترسيخ واثبات الذات. اذ هي مؤسسة حتى ذاك الوقت كانت خارج بنية الامارة. ومن منظور اعتراف بعض من اعضـاء العائلـة المالكة بقيـادة مولانا، فانه ظنّ ان سلطته كانت واحدة وحيدة لابالحبر على الورق، بل بشـكل واقعي، وان السلطات الاخرى، هي صغيرة وضئيلة.

وحينما تنتبه السلطة القديمة من وهم السـلطتين، وتنهض من ضباب رقد مذعر، فان السـلطة الجديـدة تعيدهـا الى المحيط الاول، ولا تدعهـا ان تولـج لعبة الحكم مرة اخرى.

الطبقـة الحاكمـة والسِـرب القادري

احد الاسئلة الاساسية في هذا البحث، هو هل محاربة مولانا والطريقة النقشـبندية، هي حرب الطبقة الحاكمـة، حيث ان جزءا من الشـيوخ القادريين والبرزنجيين اتخذوه مبعـوث السـلطة الدنيويـة، فقـد حصلت اصطدامات ومبارزات ايديولوجية وعقدية، ام هـي حرب فرقـة دينية، اذ اسـتطاع ان يجلب الطبقة الحاكمـة رغما عنها الى وغى شاسعة؟

عندما نأى مولانا عـن عاصمة الامارة، ومضى الى منطقة (سه ركه ت) الباردة التابعة لـ(هورامان)، لامضاء الصيف وزيارتهم، ثمة

يسمع مولانا اخبار مضايقة وتهريب مريديه وانصاره، (انواع حركات عجيبة نسبت باحباء اين جانب كرده ميشـود. ايـن جاي تعجب است). ويستطرد في الرسالة نفسها: (ان سبّ واغتياب الفقراء ليـس عمل الرجال). ربما انتحلـوا له كلاماً فارغـا والاتهامات الواهية بحقــه في اماكن مختلفــة، ويواجه حملات اعلامية عنيفة، فصحيح انه لايجيب السب بالسـب، لكنه لايسكت بشـكل قطعي. وكما يبـدو انه أُبلغ بزيارة لــه من قبل عدد من شيوخ السليمانية كـ(الشيخ معروف النودهي والملا صالح والشـيخ عبدالرحيم) الى (سـه ركه ت)، بهـدف المصالحة واصلاح البين من جديد. ان مولانا نفسـه انتظر منهم الحوار والمناقشـة، بقصد المصالحة والإياب. كما انه ينتظر ان يفتح باب الحوار مرة اخرى حول بعـض الاختلافـات والمشـاكل الدينية. فهو بـدوره اراد ان يذود عـن معتقداته ويثبت كنه قناعته. فقد كتب لعثمان باشـا: (انني مسـتعد للتحاور والتناوش والتناقش معهم. فاذا بان ان لديهم عدا البخل والمعاندة وفساد الغرض، شـيئا اخـر، فهذا حسـن. والا فانا مستعد ان أدع الارشـاد والمشيخة، واي كلام أقوله هو فارغ وعبث). اذ سرد هذه الابيات بالفارسـية كالآتي: (وشـما خودهم حاضر مجلس شـوند، اين فقير با اوهـا مباحثهو طفتطو ميكنم. اطر معلوم خاطر شـد كة سواى عناد وحسد وافساد غرض دطر دارند، خـوب. والا بعد أز آن اطر مسـكين دعواى ارشـاد ومشيخت نمود معلوم ميشود دعواى ثوض وعبث ميكنم).

فـان مولانـا، يريد، عن طريق سلسـلة متوالية من الحجج المسرودة وبكل صراحة، يريد ان يقول لعثمان باشـا: (امطئنّ، انهم لايأتون الى هنا، فلا تسمع لكلامهم بعد الان، اذ انه على علم بانه لا يفعل هذا، لذا يكتب: انا انتظر هذا الوفد في (سەرگەت) ليأتوا الى هنـا! ربما يقولون: أدّى نمضـي اليه؟ انهم لا يأتون مـن اجلي، بل ابتغـاء لمرضاة الله. فـاذا هم حريصـون على عـدم اتيانهم الى (سـەرگەت)، فلا مرية في ذلك، نلتقي كلانا في (كول عنبر)).

ان مولانـا يُذكِّره بدقائق حادثة طرأت في ماض قريب: كيف ان الشـيخ عبدالكريم والشـيخ عبدالرحيم ذهبا الى الشـيخ رضاء بيلـو، في عهد حكم عبدالرحمن باشـا، مع انه شـتان بينه وبين مقامه ومرتبته. فهو يكتـب: اذا لـم يأت الملالي، فانـت ذو القوة والبطـش والدولة، ولأبيـك فضل كبير على هذا المسـكين، لسـت أدري لماذا تـؤذون أهل الفقراء هباء...؟).

ان هذا المقطع من مسرح نموّ الاحداث، انتهى كالآتي: لم يمـض وفد رجالات الدين ولا اعضـاء العائلـة الماكلـة، الى هورامـان، للتباحـث والحـوار، فقد كتب في الرسـالة الرقم (٣٩) لـ(صدرالدين محمد اسعد افندي حيدر ماوراني) بالعربية: (وبعد ماسـمعنا ان محمود باشـا حاكم بابان يريد أن يرسل الينا قاضي السـليمانية مع اشخاص آخرين معتبرين، يدعونا الى البلد لأسـتمالة قلوبنا والأعتذار عما سـلف منهم في حـق الفقير، أنتقلنا من قريتنا الى (اورامان) من مضافات (سـنه)، ثم بلغنا أنه فسـخ عزيمته حيث منعـه بعض من لايخفى عليكـم من علماء

السليمانية، فأسترحنا بحمد الله تعالى عن تكليف مرافعة مأمولهم، وتجشم محاورة رسولهم، ...).

يبين هذا المقطع بجلاء، ان جماعة من علماء السليمانية منعوا تشكيل وفد ليزور (هورامان): فهو ألغى قرار ذهاب الوفد، لأن جماعة من العلماء منعوا ذهابهم. أي: آنذاك ان العلماء لم يكونوا مستشارين مهمشين في صنع القرار النهائي، حول عودة أو بقاء مولانا، بل هم جماعة ضاغطة قوية حيث استطاعت ان تعكس قرارا صُنع بخلاف المراد، واضطر الامير قسرا ان يصنع القرار المصيري حسب هواهم.

لذا: يتبين من المقطع اعلاه، ان هناك كتلة من العلماء، كتلة قوية، هي التي تقر المصالحة وعدمها، وكانت الطبقة المالكة تحت امرتها.

المصادر:

١- العزاوى، عباس: شهرزور ـ السليمانية (تحقيق: محمد علي القرداغي) ط١، بغداد، ٢٠٠٠ ص٢٥٢.

٢- حكيم، هلكوت: ابعاد ظهور الطريقة النقشبندية في كردستان، في: دراسات كردية، ع١، پاريس، ١٩٨٤، ص٥٥.

٣- مدرس، الملا عبدالكريم: ذكرى النبلاء، ج١، بغداد ١٩٧٩، ان رسائل مولانا نشرت في عدة كتب، وعندما نقول الرسالة المرقمة... فهذا يعني رقم تلك الرسائل التي نشرت في كتاب ذكرى النبلاء، ج١.

٤- سيفري، راجر: ايران في العهد الصفوي، ترجمة: صلاح الدين اشتي، مركز زين، السليمانية ٢٠٠٦، ص٥١.

٥- محمد، كمال رؤوف: عقيدة الايمان، العقيدة الكردية، لب العقائد، اراس، اربيل، ٢٠٠٤، ص٧٦-١٠٣.

٦- الخال، محمد: (الشيخ معروف النودهى): دار مطبعة التمدن ـ بغداد ـ ١٩٦١، ص١٧.

٧- الفكر الكردي: فاضل كريم احمد، السليمانية، مكتب الفكر والوعي.

قصائد حب كردية و دم الصنوبر

قراءة في العشق وبحث عن المدينة الفاضلة



خلود الفلاح *

الشـــاعر والمترجم الكـــردي العراقي بدل رفو المزوري والـــذي يعمل باجتهاد ومثابرة متميزة على بناء جسـور تواصل ثقافي بين الثقافتين العربية والكردية سواء بترجماته المنشـورة في الصحافة المكتوبة أو بإصداراته من الكتب.

هــذه الأيــام يحتفــل الكاتب بــدل رفو المزوري بصدور كتابين له: الشاعر بدرخان السندي: دم الصنوبر، قصائد حب كوردية.

يتضمــن هذا الكتــاب قصائد لشـعراء من أجيال متباينة، جمعهم القلق الإنســاني والشـعور بالفقد والحنــين لذكريات الماضي الجميل والأصدقاء ولمراحل الطفولة ومقاعد الدراسة.



«قصائد حب كوردية» تغنى شعراؤها بالحب، حتى وان حاصر اغلبها الخوف من القادم ولكنها تعلن في نهاية المطاف أن هناك دائما متسعا من الوقت للبوح ومكاشفة الذات والحلم بالقادم.

«قصائد حب كوردية» يطرح سؤاله :هل حقيقة ما زال هناك عشاق وعاشقات؟ فيكون رد الدكتورة هدية الأيوبي في مقدمة الكتاب: إنهم يحبون ويسهرون ويتألمون ويشتاقون.. إنهم عشاق طبيعيون جداً.

كأن الحب القادم من وراء الجبال لم يتنفس سوى هواء كوردستان النقي بعيداً عن عالم لوثته سموم النفاق والمادة.

الوفاء..الدموع..الشوق .. الخجل ..الحبيبة..الحبيب..مشاعر دافئة نفتقدها في ظلام صراع الحضارات. في حضن طبيعة كوردستان الساحرة ينمو الحب وشجر الكلام.

في حضرة العشق تبتسم الشفاه للحياة هازئة من متاعبها، من ضجيج الحروب في الخارج. إنه الحب الصافي الخجول، حيث العاشق يفتدي الحبيبة بروحه ، حيث مازال للقبلة لونها البريء، ولعيني الحبيبة نكهة الضوء.

عشاق على الدرب الذي تاه عليها آلاف الأبطال، وانكسرت على صخوره ملايين القلوب. يمزق الشوق ستائر المسافات، يعلو نبض القلب، يرسم قوس قزح حافل بالأمنيات والفرح.

من خلال قصائد الكتاب نقرأ العشق ونسأل هل مازالت هناك قصائد تتغنى بالعشق وتمجده؟

في هذه القصائد يبدو الشعر قادماً من عالم كل ما فيه جميل. عالم من الطمأنينة والألوان والهدوء النفسي، حتى يخيل إلينا أن هؤلاء الشعراء يعيشون في (المدينة الفاضلة) التي حلم بها أفلاطون، إلى درجة أن حبهم أفلاطوني أو عذري.

كأن قصائدهم هاربة من مادية العالم إلى جنة لا تسمع فيها لاغية. الحب بكل

براءته وانفعالاته وشقاوته المحببة ومعاناته الممزوجة بأمل جميل. إنه ببساطة الحب في ذات زمن جميل كان أو ربما سيكون.

من مختارات الكتاب:

أهوائي وأنفاسك/ سر شريد/دقات ساعات تصاحب/السهرات المريرة/لأحلامي المرهقة/ وشهواتي الظمآنة/على أي من خطوط الأنوثة/تمضين؟/إن كنت تعشقينني/تعالي واحضنيني.الشاعر (إحسان حسن زبير)

عيد الحب/حبيبي ... / اقترب عيد الحب / فما أهديك؟؟/ وردة حمراء/ قبلة حمراء/ أو احتضان أحمر/ أو أغني لك أغنية حمراء/ في هذا الشتاء/ حيث لا ثلج/ وأنت رجل ثلجي/ ابيض ابيض/ مثل روح الغيوم.(الشاعرة تريفة دوسكي)

أتتذكرين حين شيدنا / بيوتا لرؤانا البعيدة/في أعين كل عشاق العالم / حين حلقت كل / طيور العشق/ من خط أمانينا. (الشاعر حسن نوري)

ألم تعرف بعد أين أنا؟/ راقدة أنفاسي على وسادتك/ تنفس وتذكر اسمي!/ يقظة أنا/ ووعيي ينصت لسيمفونية صوتك. (الشاعرة سلوى كولي)

الكتاب الثاني الشاعر:بدرخان السندي: دم الصنوبر وفيه يترجم الكاتب بدل رفو المزوري قصائد نصف قرن من إبداع شاعر خدم الأدب الإنساني.

ومن قصائد الشاعر بدرخان السندي: غزلنا ... وغزلنا ... وغزلنا/ من خيوط الأفئدة /من ألوان الورد من مكابدات الشجن/ ومن لحى الآباء والجدود/ ومن رموش الأطفال/المحمولين على الأكتاف/غزلنا... وغزلنا/ لكن، واحسرتاه!/ نسيجنا كان غير مكتمل/ نسيجنا كان غير مكتمل.

قلت لطفل صغير/اضحك/ لكنه بكى/ ابك/ لكنه ضحك/ وانتابتني الحيرة /ما الذي قلته ؟.

مدينتي على سفر/مدينتي قررت الرحيل/ولن تتراجع... /سائحة، مسافرة / زورق وربان أنا / تهيأت للرحيل /الليل كان يحتضر/ حين ابتسم فجر جديد /كبرعم مخمل/ وعلى ضمانة سر صامد/ قدمت إليّ/ مدينتي / تحت عشق شجرة/ شفافة وسرمدية/ بين الوجود والعدم.

٭ شاعرة واعلامية ليبية\ليبيا

الوظيفة الخلقية والإجتماعية للجامعة

للدكتور فائق مصطفى

د. فاضل عبود التميمي
جامعة ديالى/العراق

عُـرف د. فائـق مصطفـى أحمد أسـتاذا، وباحثـا أكاديميّا صدرت له المؤلفات الآتية: (أثر التراث الشعبي في الأدب المسرحي النثري في مصر)، و(الأدب العربي الحديث بالاشتراك مع د.سـالم الحمداني)، و (في النقد الحديث بالاشـتراك من د.عبـد الرضا علـي)، و(في ذاكرة المسـرح)، و (سـحر السرد،مشـترك)، و (دفاع عن المقالة الأدبية)، وله كتب أخرى قيـد الطبع، فهو في مؤلفاتـه، ومحاضراته، ومناقشاته ينتمي الى منظومة مفكِّرة هدفها الإنسان بغض النظر عن زمانه، ومكانه.

أسـوق هـذه المقدمة الموجزة بمناسـبة صـدور كتابـه الجديد(الوظيفـة الخلقية والاجتماعية للجامعة) الصادر عن دار سردم للطباعة والنشر في السـليمانية ٢٠١٠م الذي يمكن للقارئ أن يدخل اليه من أربع عتبات مهمة:

١- عتبة الإهداء: التي تبدو للقارئ ممشوقة القوام تغـذ الخطى باتجاه شـقيقي المؤلف: (عبـد الرحيم)،و(فاطمة)اللذيـن تميّـزا بخلقهمـا الرفيع، وعطائهمـا الثر، وكانا قد علمـاه أن الإنسـان الحق مـن اجتمع عنده الخلـق أولا، والعلم ثانيا، فـكأن المؤلف عبر الإهداء أراد أن يربط بين ما(تعلم)وما يريد أن(يعلـم) في بنية اسـتهلالية همّها تنوير القارئ، وربـط التلقي بالموضوعة الأسـاس التي كتب الكتاب من اجلها.

٢- عتبة التقديم: التي كانت سـردا جميلا أوجـز فيه المؤلف طبيعـة التجربة، منتجة الكتـاب، التي تمتد الى أكثـر من ثلث قرن، مبتـدءا من العـام ١٩٨٧م الـذي عُيِّن فيه مدرسـا في قسـم اللغة العربية كلية التربية جامعة الموصـل، وقد عمل برغبة وشـغف على تطبيق الوظيفة الخلقية، والاجتماعية

للجامعــة في محاضراتــه، ومقالاته، وبحوثه إيمانا منه بالأثــر الخطير الذي تؤديه مهنة التدريــس في عقول الطلبــة، والمجتمع، فهو يــرى أن الأســتاذ الجامعي، والمربــي في كلّ المؤسســات التربوية مطالب ببناء شــخصيّة حضاريّــة ســليمة للطالب؛ ولهـذا وجدناه يدعــو الى اســتثمار الوظيفتــين الخلقيــة والاجتماعيــة وتأكيدهما لكي يكون المجتمع في أحسن حال.

٣- عتبــة الإعتــذار: التــي تنــمّ عن خلق رفيــع تحلى به المؤلف، وعــرف، فهو يعتذر للقارئ الذي وصفه بالكريم من تكرار بعض المعلومات في متن الكتاب؛ لأنه كتب مواده في أزمنة متباعدة، ثــم قُدر له أن يجمعها بين دفتــي كتاب مــن دون أن يتمكن من حذف المكرر منها ، ثم ألحق الاعتذار بشــكر وجهه الى السيد (زانا شــاباز) الذي أعانه في إخراج الكتــاب منطلقــا من حماســته للوظيفتين المهمتين: الخلقية، والاجتماعية .

لاشــك في أنّ الباحــث كان بمقدوره أن لا يعتذر، وأن لا يشكر كما يفعل الكثيرون لكنّ تمسكه بالوظيفتين الســابقتين جعله على درجة عالية من المسؤوليّة الأخلاقيّة التي أباحت له الحوار اعتذارا، وشكرا.

٤-عتبــة المتــن التي تنقســم على أربعة فصــول، كلّ فصل يشــتمل علــى عدد من المباحث، في الفصــل الأول من الكتاب اجتهد المؤلــف في تحديد وظائــف الجامعة الثلاث: الخلقيّة والعلميّة، والاجتماعيّة، بالرجوع الى مصادر مهمة رأى أنها ضرورية في تحديد طبيعة تلك الوظائف، وتوصيف آلياتها منوّعا مصادره بين قديم لمّا يزل فاعلا في ثقافتنا،

الدكتور فائق مصطفى



الوظيفة الخلقية و الاجتماعية للجامعة

وحديث أثبــت بالدليل القاطع علو خطابه؛ لكــي يوازن بينها فلا يعلي مصدرا على آخر بحســب القدم والحداثة، فالذي عند المؤلف الخــبرة، والتجربة بغض النظر عن زمانهما، وهكذا يستعين بمقولات(ابن الجوزي) بجوار مقــولات (زكي نجيــب محمــود)، و(أحمد أمــين)، وغيرهما مؤكّدا ضرورة الإحســاس بالجمال في المهمة الكبرى: صناعة الإنسان عبر الســؤال المهم: كيف يمكن أن تحقق الوظيفة الخلقية هدفها في الجامعة؟.

إن مــن مزايــا هــذا الكتــاب توجهه الى الجميــع، واعتماده منهجــا تطبيقيا يحاور طالب الطب، وطالب العلوم الإنسانية جامعا بين ضرورة التيقن بالعلم، والمعرفة، والشك بالتصــورات القلقة عارضــا أهمية الوظيفة الاجتماعية المتعلقة بأثر الجامعة في تطوير

مجتمع المعرفة، وتنميته بوساطة المنهج القائم على الربط بين العلم، والمجتمع، واستحداث مراكز بحثيّة متخصصة مهمتها دراسة المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية.

ومن منطق الحرص على الوظيفتين الخلقية، والاجتماعية نادى المؤلف بضرورة إصلاح نظام التعليم العالي عارضا جملة من الأسباب، والتصورات التي من شأنها الارتقاء بالمجتمع الجامعي وتأهيل آلياته.

لقد كان المؤلف في أعلى درجات الصراحة وهو يتحدث عن جامعة السليمانية، والتقاليد الجامعية فيها منطلقا من ضرورة تأشير الخلل، والإشارة الى العلاج، وليس في هذا عجب فالمؤلف أستاذ في الجامعة نفسها، ويبدو أن حبّه لها جعله صريحا، و واضحا في تحديد المشكلات، وطرائق العلاج مارّاً على مؤتمر التعليم العالي الأول في كردستان بايجابياته، وسلبياته، ومركّزا على ضرورة العناية بالإرشاد التربوي وأثر الجامعة في التنمية البشرية مؤكدا على الوسائل التي تؤدي بها الجامعة الوظائف المتعلقة بالتنمية البشرية.

اما الفصل الثاني فكان بحثا في الوظيفة الاجتماعية للجامعة منطلقا من مدينة السليمانية بوصفها ميدانا رحبا، أو أنموذجا خاصا لتطبيق الوظيفة، فهي مدينة تدخل القلب كما يصفها المؤلف لكثرة خضرتها، وحدائقها، وجمالها وعند المؤلف أن حبّ الحدائق، والنباتات علامة مهمّة من علامات رفعة الذوق، ورقي الحواس، وسمو الأخلاق، وتقدّم الأمم ناقلا عن عباس محمود العقاد، وأحمد أمين ما يوائم نظرته، ومنهجه في التفكير مستحضرا قصيدة الشاعر الخالد كوران (كوردستان) التي يحلم فيها بمدينة عامرة بالجمال، والطبيعة، والحس، والحركة.

ومن الحدائق، وأشجار التوت ينتقل المؤلف الى قضية الوعي المروري بوصفها مظهرا حضاريا يتمثل فيه الذوق الرفيع، والأخلاق العالية، وقد وجد أن السليمانية تتحقق فيها إنسيابية مرورية عالية الالتزام، والدقة بسبب انتشار أعداد من رجال الشرطة، وحماستهم في ضبط المخالفات، فضلا عن مشاركة المرأة في ذلك، وشيوع الوعي المروري عند الناس، ولكنه في الوقت نفسه تحدث عن السلبيات أيضا؛ لكي يعطي البحث حيادية موضوعية واضحة، ولم يقف المؤلف عند هذا الشيء وإنما أعطى مقترحات من شانها أن تسهم في تطوير انسيابية الحركة في المدينة، كل ذلك وحديث المؤلف لا يبتعد عن وظائف الجامعة الخلقية، والاجتماعية التربوية ولا سيّما في مبحث دور الجامعة في إشاعة الوعي المروري.

في المبحث الخاص بـ(المرأة)وجد المؤلف أن المرأة لها حضور بارز في حياة المدينة لأنها تمارس كل الأعمال التي يمارسها الرجل، ولكنه من منطق نقدي تربوي وجد أن تلك المرأة تميل الى الإفراط في استعمال المكياج، وله الحق في هذه الملاحظة لأنه يعلم أن المرأة الكردية جميلة بطبعها، وطبيعتها؛ ولهذا يدعوها الى الاعتدال لكي لا تتحول الى دمية شكل، فهو يريد منها أن تكون عاملة، ومنتجة مهما كان وضعها الاقتصادي لأن العمل يحقق لها شخصية إنسانية تسهم في ازدهار المجتمع،

ويريد لها أن تحسن تربية الأطفال لما لتلك التربية من اثر في رقي المجتمع وتطوره.

في مبحث التربية الاجتماعية رأى المؤلف سيادة القيم الاجتماعية الايجابية في مجتمع السليمانية؛ بسبب روح الشباب، والإحساس بالجمال، ودفء العلاقات الاجتماعية، لكنه من منطق الحرص على المجتمع نفسه وجد أنّ الإسراف في المأكل، والملبس، واستعمال الهاتف، وكثرة الزيارات العائلية سلبيّة اجتماعية رغب في تركها داعيا الى العقلنة، في كل شيء.

في مبحث الثقافة (الآداب والفنون) رأى المؤلف أن الجانب الجمالي عند الإنسان يتشكل من الإيمان بالعقل، والإحساس بالجمال، والمقدرة على ضبط زمام النفس رائياً أن المظاهر الثقافية في مدينة السليمانية تتجلى في: انتشار الخضرة في كلّ مكان، والجمال، وتسيّد الشعر، ووجود الصحافة، والفنون الجميلة، وانتشار المراكز الثقافية، وهو يرى أن مستقبل الثقافة في السليمانية سيكون مشرقا بفضل أجواء الحرية، والديمقراطية التي يعيشها إقليم كردستان، فضلا عن رعاية الحكومة .

ومن الأمور المهمة التي ناقشها المؤلف في الكتاب مبحث (الوعي البيئي) الذي ربط فيه بين فهم الإنسان للبيئة، وعنايته بها عادّاً الوعي البيئي جزءا من الوعي الاجتماعي، ومقدّما جملة من الاقتراحات التي من شأنها العناية في البيئة لتكريس جمالياتها، والحفاظ على فضاءاتها...فالدعوة الى العناية في البيئة تنحصر اليوم في جهود مؤسسات رسمية خاصة، ولعلّ دعوة المؤلف جاءت مؤكدة لتلك الجهود، ومحتفية بها، وهي إذ تنطلق من الجامعة فأنها تريد تبرّز أثرها، ووظائفها في حياة القرن الحادي والعشرين.

الفصل الثالث من الكتاب حمل عنوان (كيف ترتقي شخصية الطالب الجامعي؟)، وقد انبثقت عنه مباحث عدّة كلّها تصبّ في خدمة الطالب الجامعي، ففي مبحث (الطالب الجامعي والثقافة) رأى المؤلف أن الجامعة لا تجعل الطالب مثقفا بالشهادة التي ينالها إلا إذا اعتمد على نفسه في تثقيف نفسه، وبناء شخصيته على وفق ما يقرأ، ويقتبس، وينمي الإحساس بالجمال عبر سماع الموسيقى، وقراءة الأدب، ومشاهدة المسرح، ومعارض الفن التشكيلي طاردا عن نفسه الشر، وما يحيط به.

ثم عدّ المؤلف الذوق الرفيع صفة من صفات المثقف وكأنه بهذه الصفة، وما سبقها من تصورات أراد أن يبسط القول في المدارج التي ترتقي عبرها شخصية الطالب ولاسيّما الجامعي المدرك لطبيعة الحياة التي يعيشها.

في مبحث (مرحلة الجامعة زهرة عمر الإنسان) تأكيد لفكرة أن يستغل الطالب الجامعي سنوات وجوده في الجامعة استغلالا مثاليّا، ومنهجيّا يقوم على الإفادة من كل دقيقة لتعليم نفسه، فهو في مرحلة زهرة العمر التي يتشكل فيها عقله، وذوقه، وشخصيّته ليكون في المستقبل القريب إنسانا متكامل الصفات.

أما عن دور الأكاديمي، والمثقف في المجتمع فيرى المؤلف أن المثقف إنسان هذبته العلوم، والمعارف، والآداب، وارتقت حواسه؛ ولهذا صار له أثر في المجتمع بوصفه صاحب سلطة

ثقافية لا تعلو عليها سلطة أخرى.

إن ولـع المؤلف بالثقافة بدلالتها الخاصّة، والعامّــة دفعه لأن يكرّر مقولات حاكمة في حياتنــا المعاصرة تحث على احــترام المكان، وتدعو الى ثقافة التسامح، وترقية الحواس، وتدعــو الى اعتماد النقد الذاتــي، والتمييز بين الضرورات، والكماليات بعد أن شاهد عن قرب انزياح الحياة المعاصرة نحو الاستهلاك، والعناية بالقشور، وشيوع ظاهرة السرعة في الانجاز على حساب الجودة.

في مبحــث (الطبيب والذوق) ســرد المؤلف حكايــات عمّــن يملكون الــذوق، وعمّن لا يملكونــه راجيــا مــن القــارئ أن يحكم في طبيعة المادة المسرودة، داعيا بقوة لأن يمتلك الطبيب الذوق، وهو يعايش مرضاه من دون أن يفرّط بامتلاك الآخرين الذوق نفســه، والمؤلف في مســعاه الخير هــذا لا يحقد على من يراه عديم الذوق بل يشفق؛ لأنه الأخير جاهل بأعظم نعمة وهبها الله للإنسان.

في المبحث الأخير من الفصل الثالث أجرى المؤلف حوارا مع نفسه حول الوظيفة الخلقية للجامعة أجاب فيه عن ثلاثة سؤالات تبحث في طبيعة منهج المؤلــف في التدريس، وبمن تأثــر في المنهج، وما أبرز الأمــور التي يعنى بتكوينهــا عنــد الطالــب، وفي إجاباته يجد القــارئ خبرة تربط بــين الغايــة العلمية، والإرشــاد التربوي هدفها تربية الذوق عند الطلبــة وحثهم علــى الإحســاس بالجمال، والوعي بالمجتمع، والإيمان بالعقل، والثقافة، ونبذ الذاتيّــة المفرطة في بدائيتها، وإحلال النظرة الموضوعية.

امــا الفصل الرابــع الأخير من الكتاب فقد كان مجموعــة من المقــالات التي تدور حول تنمية الإنســان، والمجتمع كان أبرز كاتبيها: أحمد أمين، وزكي نجيب محفوظ، ومحمود الســيد، وهي بمجموعها تحــثّ على تنمية الــذوق، وتدعو الى بســاطة العيــش، وتعلّم الحكمة ومعرفة النفس، وتعلم القراءة.

الحق أن المؤلف الكريم اختار هذه المقالات لتكون الفصل الأخير من كتابه بعد أن وجد أن الكثرة من شــباب الجامعات في أيامنا هذه يعزفون عن القراءة ولاســيما قراءة المقالات ذات النفس الأدبــي، والتربوي، فهم في غربة عــن كتابات اليوم، ولا رابط بينهم، وكتابات الأمــس ذات النفــس الأخلاقــي، والحكمي، فعســى أن تكون هذه المقالات مرجعا قريبا لمن يريد أن يقرأ، ويتعلم.

لقد وجد المؤلف نفسه منحازا الى قسم من أخلاقيــات الماضي، وليــس الى الماضي المجرد من فاعلية الجوهر الإنساني الفريد، مظهرا من تلك الأخلاقيات دررا يســوح بها العقل، وينتمي الى فضاء الحريــة، والإبداع مضيفا إليها مــا جدّ من وســائل العلــم، والمعرفة التي لها مســاس بخدمة الإنســان.... والحق أن المؤلــف الكريــم كتب هــذا الكتاب تحت وطأة الخبرة التي اكتســبها، وهو يعيش بكل جوارحه فضاء مهنة التعليــم، والكتاب أولا وأخــيرا دعوة كريمة للجامعات، والمؤسســات العلميــة، والثقافيــة لأن تعنــى بالوظائف الأخلاقية، والاجتماعية في هذا العصر الذي بدأت تنحسر فيه الوظائف تلك تحت ضغط التحــولات العلمية، والاقتصاديــة، فهل من مجيب؟.



فاضل رسول

العراق-ايران
اسباب وابعاد النزاع

تأليف: الدكتور فاضل رسول

هذا الكتاب ضمن سلسلة الكتب العربية التي اصدرتها دار سردم للطباعة والنشر، وقد تضمن الكتاب سردا تاريخيا حول النزاعات الماثلة بين الدولتين المتحاربتين (العراقية-الايرانية)، وقد تطرق الكاتب الى ذكر أسباب تلك النزاعات من الناحية التاريخية والسياسية، ذاكرا دور الطوائف العراقية من السنة والشيعة وغيرهما في هذه النزاعات. وكذلك تناول المؤثرات الخارجية التي أدت دورا مهما في تعميق تلك النزاعات.

دراسات نقدية مقارنة

تأليف: أ.د.ظاهر لطيف كريم وأ.م.د.نيان نوشيروان فؤاد

هذا الكتاب ألف بالاشتراك، وقد تضمن الكتاب مجموعة من الدراسات النقدية المقارنة حول قصائد وقصص كردية حديثة. وكان كاتبها متبعا للمناهج النقدية الحديثة بغية مقارنة النصوص الكردية بالنصوص العربية والانكليزية، كمقارنة نصوص الشاعر الكردي المبدع شيركو بيكس مع نصوص الشاعر العربي بدر شار السياب، وهكذا..

وقد ذكر المؤلفان في مقدمة الكتاب انه: على الرغم من تاخر الافكار المقارنية في المجتمع الكردي، الا ان هناك اليوم من يهتم بهذا التخصص الدقيق في مجالات البحث عن النقد والتحليل. بمعنى ان هناك من يرغب في التواصل المعرفي للثقافات العالمية والاستفادة من خبراتها.

عموما ان الادب المقارن هو نوع مهم من فروع المعرفة النقدية، يتناول المقاربة والمشاكلة بين نصف او اكثر ينتمي كل منهما الى ادب. قد يكون هدفه كشف الصلات التي بينها وابراز العلاقات الادبية والتاريخية. وقد يكون هدفه الموازنة التعبيرية او المضمونية بينهما، وقد يكون معرفة الصورة التي ارتسمت في ذهن القارئ. او ان هدفه التقريب بين الشعوب والامم على اساس روح الاخوة، لاننا لا نفهم النص المحلي في تفصيلاته الا اذا درسناها في خصائصه

١٥٢



الثقافية المرجعية-الخارجية منها-. رينيه ويلك في كتابه «نظرية الادب» اكد ان الادب واحد كما ان الفن واحد والانسانية واحدة. وهذا يعني ان انفصالية الاداب ناتجة عن فعل خطابات مصطنعة ومفروضة خارجية لاسباب سياسية واقتصادية وايديولوجية لان في مثل هذه الحالات فان الاداب التابعة يجب ان تخضع لشروطية الاداب البارزة، حينئذ تنشر مقطوعات ونماذج مقلدة حقيقيا والتي تؤدي الى محاكات مختلفة. لذا تتطلب اعادة تاهيل النماذج بصورتها الانتاجية، بعد التفكير بمبدأ المثاقفة التي اخذت اشكالية التاثير والاتصال من منظور جديد. هنا ان المنظومات الادبية عموما لا ترتبط بالفضاءات الجغرافية والاجتماعية الخاصة. بل تؤلف الحقول المتعددة في دائرتها الكلية كما نجحت المنظومة الاسبانية في تركيبتها الكلاسيكية والكاتالانية والكالسنية والباسكية.

لذا ان الهدف النهائي للادب المقارن هو البقاء فوق الحدود والطموح الى ان يكون دراسة وعلما فوق قومي كما اشار الى ذلك دانبيل-هنري باجو.

من هذا المنطلق فان الادب المقارن فضاء معرفي يدور على ارضية دراسات متنوعة تعبر عن السنة هذا الحقل الحيوي من حقول المعرفة التي تجسد مواطن التفاعل الابداعي بين الاداب المختلفة اللغات من جهة وبين انواع الفكر الانساني من جهة اخرى. لذلك توسعت افاقه لتشمل ميادين النقد الادبي والمذهب الادبية والاجناس المختلفة الادبية والاشكال الفنية والنماذج البشرية والموضوعات المقارنة. تناولت دراسات هذا الكتاب مجموعة من البحوث في هذا المضمار من خلال فتح ابواب المقارنة والنقد الادبي بشكل متلاقح مع المناهج النقدية الحداثوية وما بعد الحداثة لبيان عصرنة هذه الدراسات في ضوء مواكبة الرؤى التواصلية بين هذا النمط من الادب وبين عولمته من جانب اخر. فان النماذج متنوعة تحطم الحواجز وتنفتح اطيافها على العالم وجميعها في بودقة واحدة وذلك من اجل تكوين كيان متفاعل وصوت جديد مكون من مجموعة من الاصوات المختلفة مع الاحتفاظ بعنصر اصالة كل صوت. وهذه هي جمالية هذا العالم الذي يمكن ان نسميه بالنسج المقارن. باعتبار ان علائقية النصوص المختلفة تشكل مثاقفة النماذج. في دراسة بعنوان «من الادب المقارن اليوم الى الدراسات الثقافية ١٩٩٩»

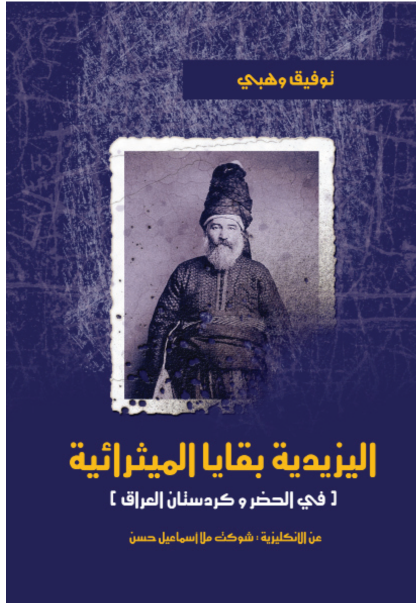
استكشف الناقد المقارني الامريكي ستيفن تونوس امكانية تطوير نهج جديد يجمع بين خصائص الادب المقارن وبين سمات النقد الثقافي اقترح ان يسميه الدراسات الثقافية المقارنة. هذا العنوان الجديد يعرف بانه مقاربة سياقية تتناول الثقافة بمختلف مكوناتها البراكماتيكية والايديولوجية والسياسية والثقافية. وهي دراسة اليات انتاج النص سواء من خلال المحتوى او صورة شكلية او قراءة النص من الداخل الى قراءته من الخارج. ويرى ايضا ان مسار الدراسات النظرية والتطبيقية التي انجزت حتى اليوم تبين ان هذا التخصص الذي يتداخل مع عدد من العلوم الانسانية الاخرى يتضمن في ميادين بحثه المتعددة والمتنوعة وفي مكوناته المنهجية التي يتم رفدها باستمرار مما يستجد من طرق البحث والتحليل من يؤهله لدراسة مختلف التجليات الثقافية لاي ادب وكذلك الحوار بين الثقافات.

اليزيدية بقايا الميثرائية-في الحضر وكردستان العراق

تأليف: توفيق وهبي

الترجمة من الانكليزية: شوكت ملا اسماعيل حسن

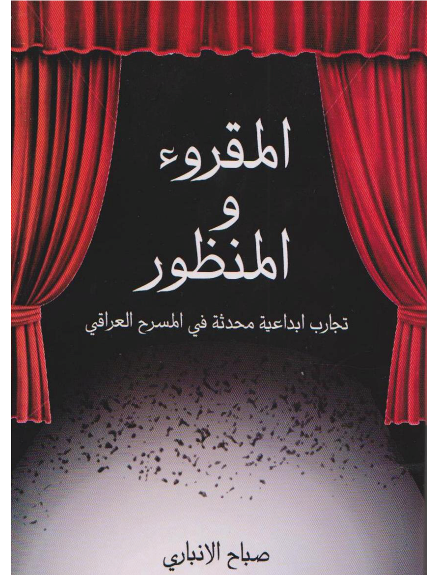
هذا الكتاب يحتوي على تاريخ حقبة زمنية من تاريخ اليزيدية، وقد اوضح المؤلف الغرض الاساس من هذه الدراسة، حيث يقول: (الغرض من هذه الدراسة نشر ما اكتشفته سنة ١٩٥٤ لأول مرة من بقايا عناصر الديانة الميثرائية في اليزيدية ومن المنحوتات والرقم التي تم استخراجها من (الحضر) جنوب غربي (الموصل)، ومن اثار الميثرائية ومنها اثبات جازم بان اليزيدية ليست عقيدة (عبادة الشيطان). وتتضمن



هذه الكراسة ايضا اراء عن وجود آثار الميثرائية في المنطقة الواقعة بين نهر ديجلة وسلسلة جبال زاكروس. وكذلك دراسة موجزة لديانة الكرد حتى ظهور الاسلام، وبعض ملاحظات حول قسم من المذاهب ذات الاسرار (الباطنية)).

المقروء والمنظور-تجارب ابداعية محدثة في المسرح العراقي-لصباح الانباري

صدر عن دار سردم للطباعة والنشر ضمن سلسلة الكتب العربية كتاب (المقروء والمنظور-تجارب ابداعية محدثة في المسرح العراقي-لصباح الانباري)، يحتوي على عدة دراسات قيمة حول المسرح العراقي، وقد اشار الكاتب الى ذلك في المقدمة بقوله: (منذ بدأت الكتابة عن المسرح العراقي وأنا أحاول رصد المتميز منه تأليفا وإخراجا. وفي رحلة بحثي عن الأنموذج المتميز وضعت يدي على عدد غير قليل من النصوص العراقية المبدعة، لم يسعفني الوقت كي اكتب عنها جميعا لكنني



عملت جاهدا على إبراز جماليات ما تناولته منها والكشف عن مكمن الإبداع فيها. ولكي تكتمل الصورة،عندي،تابعت عروض المسرح راصدا ومحاولا وضع يدي على أكثرها تميزا، وأبرزها تقنية وتجريبية وإبداعا فقدمت قراءات بصرية للعروض التي واتتني فرصة مشاهدتها، وهي فرص ضئيلة جدا،اشتغلت فيها على الصورة بنية أساسية في تحليلي النقدي لمكوناتها الجمالية).

وفي فصل المقروء: تناول الكاتب نصوصا مسرحية متميزة لكتاب بارزين امثال: عادل كاظم، محيي الدين زنكنه، جليل القيسي، د.حازم كمال الدين، قاسم مطرود، كريم جثير.وقد جاء الفصل مبوبا على شكل دراسات منفصلة تناولت في الأولى موضوعة استلهام التراث استلهاما مشرقا بثلاث طرائق درامية هي التعارضية والملحمية والحكواتية، واشتغلت فيها على نصوص بارزة لكل من محمد موكري، محي الدين زنكنه، عادل كاظم،د.حازم كمال الدين.وفي الدراسة الثانية تناولت نصا مهما للكاتب العراقي الراحل كريم جثير واشتغلت فيه على بنية التشاخص الدرامي بين شخصية النص المحورية وبقية الشخوص جاعلا من التشاخص طريقا للوصول الى جوهر الشخصيات التي يبدو وكأن النص كتب لها حصرا. وفي الدراسة الثالثة تناولت عقدة الشعور بالوحدانية في المسرحيات المونودرامية فاشتغلت على نص الكاتب العراقي بنيان صالح وأجريت مقارنة بينه وبين نص الكاتب السوري فرحان الخليل مشيرا الى حجم المقاربة والتناص بين نصه الموسوم بـ(الفزاعة) ونص بنيان

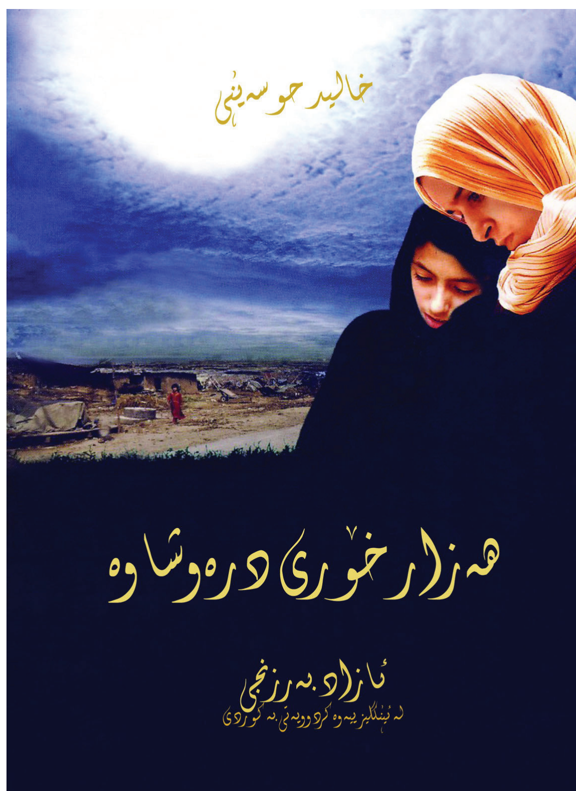
صالح الموسوم بـ(منيكان).وانتقلت بعد ذلك ، في محاولة أزعم أنها جادة، الى دراسة مجموعتين مسرحيتين الأولى للأديب الراحل جليل القيسي والثانية للكاتب المسرحي قاسم مطرود لأنتقل بعدها الى فصل جديد هو:
فصل المقروء والمنظور: وفيه تناولت مسرحيتين هما (للروح نوافذ أخرى) لقاسم مطرود تأليفا واحمد حسن موسى إخراجا،و(العلبة الحجرية) لمحي الدين زنكنه تأليفا وفتحي زين العابدين إخراجا.

أما الفصل الثالث/المنظور فقد خصصته للعروض المسرحية تحديدا واشتغلت فيه على بنية الصورة الدرامية بشكل عام مفتتحا إياه بدراسة مطولة عن الرقص الدرامي وإشكالية المصطلح،تناولت فيها عرضي المخرج المغترب طلعت السماوي (٢٠٠٣...بعد الطوفان) و (تحت فوق/ فوق تحت) ونظرا لحداثة هذا الجنس الفني وقلة عروضه على خشبة المسرح ومن اجل إعطاء صورة واضحة عنه تناولت،في معرض دراستي،عرض الفنان السوري معتز ملاطيه لي.ومن جملة العروض التي تناولتها بالنقد والتحليل العرض العراقي/السوري (حمام بغدادي) الذي كتبه وأخرجه الفنان العراقي جواد الأسدي وقدمه من على خشبة المسرح،في مهرجان أيام عمان المسرحية الثانية عشر، الممثلان السوريان فايز قزق ونضال سيجري فضلا عن عرضي المخرجين كريم جثير وكاظم النصار، عسى أن يكون هذا المشروع المتواضع الصغير حافزا غير متواضع لمشروع مسرحي نقدي كبير.

التعبيرية التجريدية وهبي رسول



يضمن الكتاب فصولا عدة حول هذا المنهج الفني الحديث الذي قد برز استجابة لمتطلبات العصر الحديث.
بدأ الكاتب بسرد المفاهيم المتبلورة حول هذا المفهوم في النحت والرسم المعاصر. ومن ثم تطرق الى اهم ركائزها في الفنون المعاصرة ومنها الى ما بذله الفنانون والرسامون الكرد في هذا المنوال.



رواية: ألف شمس لامعة

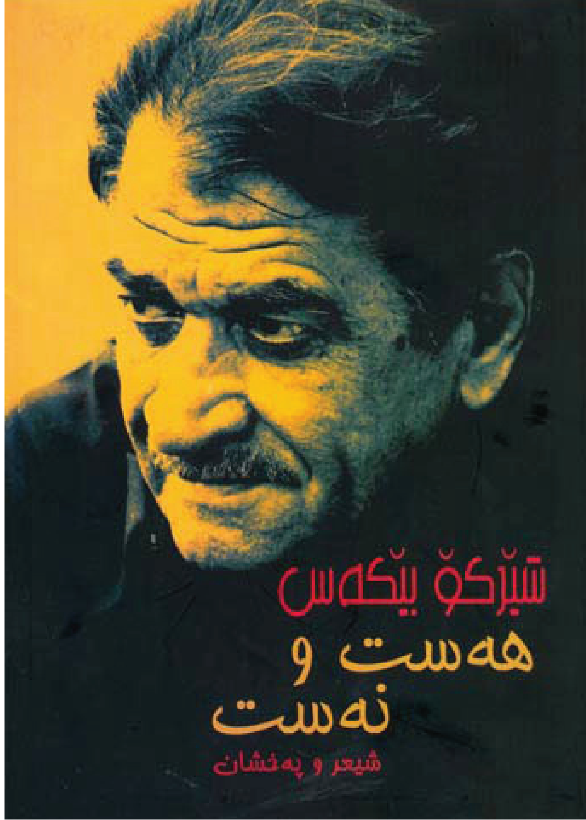
تاليف: خالد الحسيني

ترجمة: ازاد البرزنجي

لقد برز اسـم (خالـد الحسـيني) في عالم الادب وخصوصا في مجال الرواية، وذلك عن طريـق روايتين كتبهمـا في العقد الاول من الالف الثالث، اذ حاول مضنيا ان يبرز حقائق واقع افغانسـتان وحياة الافغانيين ويعرفهم بالعالم اجمع.

لقـد كتب هذه الرواية في عام ٢٠٠٧، يتحدث فيها عن حياة الافغانيين في السنوات العشرين الماضيـة تحت في ء سـلطة الطالبـان. تؤدي امرأتان دور البطل فيها وهما (مريم وليلى)، حيث تنشئان في جو مفعم بالعذابات والالام ومن ثم تصبحان نموذجين للمرأة الافغانية وذلك لكونهما ضحيتين من ضحايا السـلطة الطالبانية، وتنتهي حياتهما بالمأساة.

لقد قام بترجمة هذه الرائعة المترجم النابغ ازاد البرزنجي من اللغة الانكليزية، وطبعتها دار سردم للطباعة والنشر.



الشعور واللاشعور

شيركو بيكس

كلمـــا تقرأ المقلتان نصا من نصوص شـــيركو بيكـــس، تمتلئ الافئدة نورا، وتفعم الاجفان عـَبرات، وتطفح الازهار بهجة ونهجة وبرجة. من وحي هذا المنظور فلامرية ان نقول لهذا الشاعر: انك تبدع في كل ما تقول، وترتجف القلوب عندما تصغي الى همســـاتك الرائعة..

فمـــا اجمل تلك الكلمـــات! وما ارفع من هذه القمة الا انت وقصائدك..

في الاونة الاخيرة صدر ديوان جديد للشاعر المبدع شيركو بيكس، يتضمن الديوان قسمين: القسم الاول: قصائد جديدة للشاعر، والقسم الثانـــي: نصوص نثريـــة كتبها الشـــاعر في مناسبات مختلفة.

يذكـــر ان هذا الديـــوان طبع في دار ســـردم للطباعة والنشر.